الملابس المملوكية

تأليف: ل . ا . ماير

ترجمة:
صالح الشيتي

مراجعة وتقديم:
الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد

الملابس المملوكية



تأليف: ل . ا . مايـر

ترجمة: صـالح الشيتى

مراجعة وتقديم: الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذه هي الترجمة العربية لكتاب

MAMLUK COSTUME

by : L.A. Mayer

Kundig, Genève, 1952

مقدمة ..



يتناول هذا الكتاب موضوع « الملابس المملوكية » ، ويعتبر عصر المماليك ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) من أزهى عصور تاريخنا القومى ؛ وما زالت آثاره المادية من فنون وصناعات تزخر بها المتاحف العالمية وعلى رأسها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ٠

والحق ان أول ما يسترعى النظر فى عصر المماليك عناية سلاطينهم الكبيرة بالأزياء والملابس التى كانت تحاك وتطرز وتزين بحوانيت الخياطين والرسميين (المطرزين) والخلعيين والفرائين وتباع فى احياء القاهرة وأسواقها التى تربو على الخمسين ومن أهمها سويقة أمير الجيوش على رأس حارة برجوان الممتدة من شارع المعز لدين الله بالجمالية الآن ، وكانت على عهد المقريزى فى القرن ٩ هـ / ١٥ م عامرة بالرفائين والحياكين وباعة الثياب المخيطة ، وغير سويقة أمير الجيوش سوق الجوخيين ، الذى أعد لبيع الجوخ « المجلوب من بلاد الفرنج » لعمل الستائر وثياب السروج ، وسوق الشرابشيين حيث تباع أغطية الرأس التى يلبسها السلطان والأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم « فكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع وبيعها على السلطان فى ديوان الخاص وعلى الأمراء » وسوق الحوائصيين وتباع فيه حوائص الذهب والفضة التى يتمنطق بها الأجناد وسوق البخانقيين الذى تباع فيه الكوافى والطواقى لأمراء المماليك والصبيان والبنات بحيث كثر استعمال هذه الطواقى فى عصر

المماليك الجراكسة للرجال والنساء على السواء (١) وسوق الخلعيين بالقرب من باب زويلة حيث تباع الثياب المخيطة الخليع وهى التى قد لبست ، أما سوق الاخفافيين فتباع فيه خفاف النساء ونعالهن فى حوانيت الأساكفة .

ولم تكن أزياء المماليك والأمراء من الأجناد لتستكمل زينتهـا بغير القسى والنشاب والزرديات وآلات السلاح واللجم التى كانت تبـاع بخط بين القصرين فى أسواق خاصة هى سوق السلاح وسوق المهامزيين وسوق اللجميين بالقرب من ضريح قلاوون الآن حيث كانت تقوم كذلك سـوق القفصـيات لبيع الخواتم والفصوص وأساور النساء معروضة على أقفاص صغار من حديد مشبك (٢)

ولم تكن الملابس فى الواقع تنسج أو تطرز فقط لطبقة المماليك التى عاشت طبقة ارستقراطية فى مصر والشام ، وانما كانت هناك الى جانب ملابس السلطان ، ملابس للأجناد وملابس للخليفة وملابس للعلماء من رجال الدين المسلمين ، وخلع للتشريف ، وملابس للطوائف الدينية غير الاسلامية من مسيحيين ويهود وسامرة ، وملابس للنساء كذلك ولم يغفل ماير Mayer الزى العسكرى كأبرز الملابس المملوكية المميزة لهذا العصر الذى غلبت على طبيعته الصبغة الحربية بين أمرائه المماليك بغية الوصول الى العرش فى ظل مبدأ « الغلبة للأقوى بين أقرانه » Primus inter Pares وقد تناول ماير هذا الزى العسكرى الأرستقراطى ـ بأسلحته وخوذه ودروعه وزرده وسيوفه وبلطه ـ فى فصلين رائعين يغطيان أكثر من ثلث الكتاب وهما فصلان يعتبران بحق مرجعا أساسيا عن الملابس والأسلحة العسكرية فى عصر المماليك .

وقد وصف المؤلف كل هذه الملابس المملوكية وصف العالم الواسع الاطلاع ، بحيث لم يترك مرجعا هاما تقريبا وردت فيه اشارة الى ملابس عصر المماليك الا رجع اليه وأفاد منه ، فلم تقتصر مراجـع المـؤلف على ما زخرت به كتب التاريخ والأدب فى عصر المماليك ، بل رجع أيضا الى المخطوطات العربية المصورة المحفوظة بفينا ومتحف طوبقابوسراى والمتحف

---

(١) ويعلل المقريزى تشبه النساء بالرجال فى لبس الطواقى ذات الاطار الفرو بأنه فشا فى أهل الدولة المملوكية محبة الذكران فقصد نساؤهم التشبه بهم ليستـملن قلوب رجالهن فاقتدى بفعلهن فى ذلك عامة نساء مصر ، وثانيا لانخفاض مستوى المعيشة وشيوع الفقر مما اضطر نساء أهل مصر الى ترك لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الطواقى التى بالغن فى عملها من الحرير (مقريزى : خطط ج ٢ ص ١٠٤) .

(٢) عن هذه الأسواق كلها انظر المقريزى خطط ج ٢ ص ٩٥ ـ ص ١٠٧ .

البريطاني ومكتبة البودليان والمكتبة الأهلية بباريس يستقى منها ما رسمه الفنانون المسلمون من ملابس وآزياء مملوكيــة ، كما رجــع الى الصـــور والأزياء المحفورة على التحف المعدنية التى ترجع الى عصر المماليك والتى تزخر بمشاهد من حياة البلاط والقصور والمجتمع المملوكى بوجه عام ، والى ما سجله الرحالة والحجاج الاوربيون عن مشاهداتهم فى الشرق العربى عامة ومصر بوجه خاص وما صـــوروه فى كتبهم من ملابس مملوكية للسلاطين والأمراء والشعب من كلا الجنسين ، ولعل أهم هذه الرحــلات رحلة برنارد فون برايدنباخ Bernhard von Brydenbach ورحلة آرنولد فون هارف Arnold von Harff ، كما رجع الى الصور التى رقمهـــا المصورون الايطاليون عن بلاط السلاطين المماليك ، ذلك الى جانب ما قام المؤلف بدراسته من بين مخلفات الملابس المملوكية الموزعة فى المتاحف العالمية ٠

والواقع ان كتاب ماير هذا عن «الملابس المملوكية» يعتبر عملا علميا غير مسبوق ، اذ ان ما سجله كاترمير Quatremère (١) من حواشى وتعليقات على كتاب السلوك للمقريزى من سنة ١٨٣٧ ــ ١٨٤٢ وما جمعه دوزى Dozy (٢) من اسماء للملابس عند العرب فى معجمه سنة ١٨٤٥ ، وما كتبه R. Levy من تعليقات عن الملابس الاسلامية من المراجع العربية فى مجلة الجمعية الاسيوية الملكية J.R.A.S. سنة ١٩٣٥(٣) رغم انها مجهودات علمية لها وزنها وتقديرها ، الا أن واحدا منها لا يعتبر عملا علميا متخصصا وكاملا عن الملابس المملوكية وحدها ٠ ولعل قيمة هذا الجهد الذى قام به ماير Mayer تظهر بوضوح اذا عرفنا أن هذا الموضوع (الملابس المملوكية) لم يتناوله بالبحث أحد علماء الآثار الاسلامية فى الشرق أو الغـــرب فى مدى عشرين عاما أى منـــذ أن انتهى « ماير » من نشر كتابه هذا سنة ١٩٥٢ وأهداه الى أعظم هواة التحف الاسلامية من بنى جنسه وهو « رالف هرارى R.A. Harari » فهو بذلك آخر وأحدث ما كتب فى موضوع « الملابس المملوكية » غير منازع ٠ فلا غرابة اذا استقبله علماء الآثار بكثير من الاعجاب والتقــدير يبدوان فيما كتبـــه كل من آنو Anon (٤) وفيت Wiet (٥) ولام Lamm (٦) وموسكاتى

1. Quatremère: Sultan Mamlouks, Paris, 1837-45.
2. Dozy, Reinhart: Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes, Amsterdam, 1845.
3. Levy, Reuben: Notes on Costume from Arabic sources (in JRAS, 1935, pp. 319-338).
4. Anon, Burlington Magazine, XCV, pp. 313-14.
5. G. Wiet, Syria, XXX, pp. 344-7.
6. J. Lamm, Z.D.M.G., CIV, pp. 507-8.

وشيمل (٢) Schimmel وفلورنس داى Florence (١) S. Moscati Day (٣) وهـــارتمان Hartmann (٤) وفرانسوا بوشيه François Boucher (٥) ووالترتل Walter Till (٦) وكونل Kühnel (٧)

ورغم الاصطلاحات الفنية المتعددة التى زخر بها هذا الكتاب ورغم ما امتلأت به صفحاته من مراجع ومصـــادر متعددة ومادة علمية غزيرة فان المؤلف لم يتوسع فى الرسوم التوضــــيحية اللازمة لابراز الأزياء المملوكية المختلفة بتمامها فى ضوء ما أوردته المراجع التاريخية أو ما وقفنا عليه من التحف المملوكية الباقية ولو أنه فعل ذلك لأضاف أبعـادا علمية وفنية جديدة الى تلك الرسوم والأشكال التى وردت فى أطالس الحملة الفرنسية الملحقة بكتاب « وصف مصر » (٨) والى تلك اللوحات التى رسمها كل من بريس Prisse (٩) وبريزيـوزى Preziosi (١٠) ٠

كما ان « ماير » لم يتعرض هنا للمقومات الفنية لمصر المملوكية فى صنع الأقمشة والمنسوجات فى عصر المماليك وهى صناعة كانت بدورها سببا مباشرا لامداد الخياطين والخلعيين بما يلزمهم من خامات غنية بزخارفها وخيوطها لتنفيذ الأزياء الحربية والمدنية والدينية معا بل لولا توفر هذه المنسوجات المملوكية المتنوعة لما أمكن لبيوت الأزياء فى مصر أن تنتج هذا الحشد الوفير من القمصان والسراويل والأقبية والكوامل والسلاريات والفرجيات والشاشات والطواقى والأحزمة وغيرها من أزياء الرجال والنساء فى مجتمع المماليك ٠

وعلى أية حال ، لسنا بحاجة للاشارة هنا الى أهمية مصر كمركـز للنسيج منذ فجر الاسلام ، ولكن الذى يجب أن نؤكده هو أن انتاج الأقمشة المنسوجة والمطرزة كان من أبرز الصناعات فى خدمة الأزياء

1. S. Moscati, Orientalia, N.S., XXIII, pp. 200-201.
2. Annemarie Schimmel, Welt des Islam, n.F., II, pp. 298-9.
3. Florence E. Day, Ars Orientalis, I, pp. 229-232.
4. R. Hartmann, O.L.Z., XLIX, cols., 246-9.
5. François Boucher, G.B.A., 6ème pér., XLV, pp. 247-8.
6. Walter C. Till, Journ. Near Eastern Studies, XII, pp. 196-8.
7. Ernst Kuhnel, Oriens, XI, pp. 276-9.
8. Description de l'Egypte, Etat Moderne, Planches. Costumes et portraits. (Plates A-K, LL and MM), Paris, 1822.
9. E. Prisse, Oriental album, characters, costumes and modes of life, in the Valey of the Nile (London, 1848).
10. Preziosi, (a) Souvenir du Caire, (20 coloured plates), Paris, 1862.
(b) Le Caire : moeurs et costumes (atles falio, pp. iii with 20 coloured plates), Paris, 1883.

والموضات المملوكية (١) فقد نجحت مصر فى انتاج نوع من الأقمشة المطبوعة بزخارف نباتية وكتابات نسخية عن طريق القوانب الخشبية المحفورة ، كما اتبعت المصانع أسلوب التطبيق فى زخرفة الملابس والخلع بتثبيت أجزاء مقصوصة من قماش بأشكال معينة وألوان متعددة على الثوب عن طريق « غرزة الرفى » ولكن أعظم المنسوجات شهرة فى عصر المماليك تلك الأقمشة الحريرية ذات الزخارف المنفذة بالمكوك على نول السحب (٢) ومن بين هذه المنسوجات الحريرية النوع المعروف باسم « الطردوحش » وقد أشارت بعض المراجع التاريخية الى الاقبية ذات الزخارف من الطردوحش والأشرطة المموجة بقصب مذهب من عمل الاسكندرية (٣) ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بقطع كثيرة من هذا النوع كما أشاد القلقشندى بشهرة الاسكندرية فى نسج الاقمشة المملوكية الحريرية حيث يذكر : « وفيها ينسج القماش الفائق الذى ليس له نظير فى الدنيا واليها تهوى ركايب التجار فى البر والبحر وتمير من قماشها جميع أقطار الأرض » (٤) وأمدنا النويرى بوصف رائع لطراز أو مصنع نسيج بالاسكندرية أثناء زيارة السلطان الأشرف شعبان أحد سلاطين المماليك الذى « رأى كل صانع ينسج على منواله من أصناف الأقمشة المنمقة والبدلات المطبقة المتخذة لحريم السلطان المختلفة الألوان » (٥) ٠

وكان للنشاط التجارى فى عصر المماليك فضل كبير فى اتصال مجتمع الاسكندرية والقاهرة بكثير من أزياء المجتمعات الأوربية والهندية والايرانية والصينية عن طريق هؤلاء التجار الذين تولوا نقل المتاجر من المنسوجات الحريرية والجوخ والمخمل (القطيفة) بين الشرق والغرب وبيعها فى الفنادق والخانات والوكالات التجارية والقياسر والأسواق المصرية المنتشرة فى المدن والعواصم فتركوا لنا نوعا من الملابس الفرنجية التى شاعت فى عصر المقريزى (٦) ٠

(١) انظر الأقمشة المملوكية بمتحف برلين التى نشرها كونل Kuhnel ولام Lamm
Kuhnel, E., Islamische Stoffe Aus Agyptischen Grabern, Berlin, 1927.
وانظر عن التطريز المملوكى Lamm, C.J., Some Mamluk Embroideries (1937) Ars Islamica. Vol. IV, pp. 65 ff.

(٢) انظر عن الأقمشة الحريرية المملوكية ما كتبه Schmidt, J.H., Damaste der Mamlukenzeit. Ars Islamica, I, pp. 99-109.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٥٣ ٠

(٤) المرجع نفسه جـ ٣ ص ٤٠٨ ٠

(٥) النويرى : الاعلام بالالمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى واقعة الاسكندرية ــ مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٩٤٢ ــ تاريخ ورقة ١٤٢ وانظر محمد عبد العزيز مرزوق : طراز الاسكندرية (مؤتمر الآثار الأول ١٩٤٧) ص ١٧١ وما بعدها ٠

(٦) المقريزى خطط جـ ٢ ص ٩٨ ٠

كما أن هجرة الفنانين والصناع الى مصر بعد تخريب المغول لمراكز الحضارة الشرقية الاسلامية في ايران والعراق والشام (١) كانت فرصة سانحة لاثراء الأقمشة والأزياء المملوكية وادخال بعض الموضات والتصميمات عليها كما حدث بالنسبة لتلك الأقبية التترية التى أشار اليها «ماير» فى الفصل الذى عقده للحديث عن ملابس « الارستقراطية العسكرية » ، ولعله من المنسوجات المصرية الوثيقة الصلة بالصين فى عصر المماليك تلك الأقمشة الحريرية التى تحمل اسم السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون المتوفى سنة ٧٤٢ هـ وعلى بعضها حروف بخط كوفى أشبه بالاختام الصينية وقد وجد كثير من هذه الأقمشة بزخارفها الصينية كالتنين وغيره فى المتاحف المصرية والأوربية وخاصة متحف برلين ومتحف فكتوريا وألبرت كما وجد بعضها فى كنيسة سانت مارى بمدينة دانتزج (٢) ٠

وبعد : فاننا نأمل أن يحقق كتاب « الملابس المملوكية » الفائدة العلمية المرجوة من ترجمته للباحثين فى تراثنا القومى والآثار والفنون الاسلامية والتاريخ والأزياء على سواء ٠ كما أرجو مخلصا أن أرى القارىء العربى وقد تلقى هذا الكتاب بما يستحقه من عناية واهتمام فى ضوء تلك الجهود الرائعة التى تبذل لتيسير الاطلاع على مثل هذه المراجع العلمية المتخصصة عن تراثنا وحضارتنا لتسد فراغا هائلا فى المكتبة العربية (٣) ٠

د٠ عبد الرحمن فهمى محمد

---

(١) يذكر المقريزى أنه لما « خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكزخان فى أعوام بضع عشر وستماية الى قتل الخليفة المستعصم ببغداد فى صفر سنة ٦٥٦ هـ كثر قدوم المشارقة الى مصر » انظر خطط جـ ١ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ٠

(٢) أنظر ديماند : الفنون الاسلامية « ترجمة أحمد عيسى » ص ٢٥٩ وص ٢٦٠ ٠

(٣) سيجد القارىء العربى كثيرا من المصطلحات العربية قد احتفظ بكتابتها باللاتينية حسب ما أوردها Mayer نفسه حرصا من المترجم فى المحافظة على نطقها وفق المصطلح العلمى وتسهيلا للقارىء بحث أصل اللفظ كلما شاء ذلك ٠

تصدير

ان هذا الكتاب الذى وضع أصلا ليكون تاريخا للزى الشرقى العربى سيبدو ـ لجملة أسباب ـ مختصرا ومبسطا للغاية ، ليكون بمثابة دراسة شاملة للأزياء المملوكية وحسب · ولكى يكون موضوع الكتاب مرتبطا بعنوانه ارتباطا وثيقا ، كان من الضرورى ليس فقط اغفال البيانات والمعلومات الخاصة بالعصرين الأيوبى والزنكى بل رئى كذلك أنه من الأصوب تأجيل مناقشة موضوع النسيج ، والحلى ، وبعض المشكلات مثل الأسلحة المزخرفة بالتنزيل (التكفيت) الى فرصة أخرى ، اذ أن أمرا كهذا يصبح متعذرا دون معالجة موضوع العالم الاســـلامى ككل لا يتجزأ ، وبالتالى فان تلك المراجع التى تعود الى عصور مبكرة ـ غالبا الى الفترات الأخيرة من العصر الأيوبى ـ هى وحدها التى سلمنا بصـحة اثباتها لأهميتها تماما من وجهة النظر المملوكية · وهذا الأمر نفسه ينطبق على المصادر « الببليوجرافية » (عدا بعض المقالات الخاصـــة بالتكفيت) وقد اقتضى اختزال المتن انقاص عدد من الوثائق المصورة · فتضمن هذا الكتاب اللوحات التى لا غنى عنها فقط والتى يظهر معظمها هنا لأول مرة ·

ومن دواعى الغبطة والسرور أن أتقدم بالشـكر لجميع الذين مدوا الى يد المساعدة لانجاز هذا العمل · وهم ، السادة : مديرو وأمناء متحف السانكانتنير (Musée du Cinquantenaire) ، ومتحف بورت دى هال Musée de la Porte de Hal وكلاهما في مدينة بروكســل Brussels ودار الآثار العربية (متحف الفن الاسلامى حاليا) ، والمتحف القبطى ،

وكلاهما في مدينة القاهرة ، ومديرية الآثار العامة بالقدس* ، ومتحف طوبقـــا بو سراى بمدينـــة اســـتانبول Topkapu Sarayi Mûzesi وقســـــم الكتب والمخطوطـات الشرقيـــة بالمتحف البريطـــــاني British Musuem ، وقســـم النســيج ، في متحف فكتوريا وألبرت Victoria and Albert Museum بلنـــــدن ، وقسم الكتب والمخطوطات الشرقية ، بمكتبة بودليـان (Bodleian Library) في مدينة اكسفورد Oxford ، وقســم الفن الاسلامى بمتحف اللوفر (Louvre Museum) في مدينـــة باريس والكوبريونيـــون The Copper Union بمدينة نيويورك New York ، وصالة فرير للفنون Freer Gallery of Art بواشـــــنطن Washington كمـــا أشـــكر الســـيد / شستربيتى Mr. Chester Beatty بلنـــدن London والسادة كالبدجيان اخوان Messrs. Kalebdjian Frères ، بباريس والسيد / هـ • كفوركيان Mr. H. Kevorkian بمدينة نيويورك ، والسيد / جورج بولهاك (Mr. Georges Pauilhac) ببـــاريس ، لســـماحهم لى بدراسة ونشر تحف من مجموعـــاتهم وتزويـدى بالصـــور الفـوتغرافيـــة اللازمة • وأشكر الدكتور د • س • رايس Dr. D.S. Rice لاعارتى صورة فوتغرافية لعمدانة القديس لويس Baptistère de St. Louis وكذلك من أجل تحقيق تفاصيل قد وردت على تحفتين قد تعـذر على معرفتها أثنـاء الكتابة ، وأشكره والدكتور هوجو بوختال Dr. Hugo Buchthal ، والدكتور فلورانس أ • داى Dr. Florence E. Day والدكتور م•س• ديماند Dr. M.S. Dimand والدكتور رتشـارد اتنجهوزن Dr. Richard Ettinghausen على الصـــور الفوتغرافية التى لم يمـــكن ادراجهـــا ضمن هـــذا الكتاب = الا أنهـــا ســـاعدت على أيضـــاح تفاصيـــل الملابس المملوكية ، وأشكر السيد / س • بنهورن Mr. U. Ben Horin والدكتور ى • هايد (Dr. U. Heyd) اللذين وجها انتباهى الى فقرات عدة في الدوريات التاريخية عن العصور الوسطى التى لولا ذلك لغابت عن ناظرى • وقد غمرنى السير جيمس مان Sir James Mann والدكتور بنجت ثوردمان Dr. Bengt Thordeman لتفضلهما العظيم باجابتهما على أسئلة خاصة بالأسلحة والدروع بصفة عامة، وأيضا على سابق توكيدهما

(*) عند شكر المؤلف لمديرية الآثار في القدس على مساعدتها أشار الى أنها «مصلحة الآثار لحكومة فلسطين بالنيابة » وأطلق عليها بعد ذلك « حكومة اسرائيل الحالية » والصواب ما أثبتناه في النص اذ لا يخفى (ماير Mayer) ولاءه لليهود في هـذه العبـارة رغم مكانته العلمية العالمية •

صحة بعض الوثائق الببليوجرافية الخطية • وانى مدين بالشكر الجزيل الى السيدة فيرا سالمونز Vera Salomons والأســـتاذ د • هـ • بانث Prof. D.H. Baneth على ماقدماه لى بسخاء من مساعدات كثيرة مختلفة

ولزاما على أن أشكر الدكتور رتشارد اتنجهوزن Dr. Richard Ettinghausen وفخامة رئيس مجمع الثقافة الاسلامية فى مدينـة حيدر آباد على رقيق تعطفهما بالسماح لى بضم ثلاث مقالات فى هذا الكتاب قد سبق لى نشرها على التوالى فى دوريات يشرفان عليهـا ، وهى « الأسلحة والدروع الاسلامية » فىمجلة « الفن الاسلامى » Art Islamica و « بعض ملاحظات على ملابس الخلفاء العباسيين فى مصر » و « ملابس نســـاء المماليك » فى مجلة « الثقافة الاسلامية » Islamic Culture ، وقد أفادنى هذا التصريح الى درجة عظيمة •

أما الدكتور ك • ورمان (Dr. C. Wormann) مدير مكتبة الجامعة الأهلية اليهودية والعبرية : فى مدينة القدس ، والدكتور أ • استراوس ـ اشتور Dr. E. Strauss-Ashtor أمين الكتب والمخطوطات الشرقية فى ذلك الوقت فقد ساعدنى كل منهما فى اختصاصه كثيرا ، وأكثر المساعدات قيمة حصلت عليهـا أثناء طبع هـذا الكتاب منْ مكتبتنا التى على جبل سكوبس Mt. Scopus وكانت صعبة المنال •

وأخيرا وليس آخرا ، أريد أن أنوه بشكرى للسيد / البير كوندنج M. Albert Kundig وهيئة ادارته على عطفهم واهتمامهم الزائد لاخراج هذا الكتاب ، وكذلك السيدة أنا بوميرانتز Mrs. Inna Pommerantz الحاصلة على بكالوريوس فى العلوم لتفضلها بمراجعة جزء من تجارب الطبع•

مدخل



الواقع أنه بالنسبة للعصور الوسطى ، نجد أن كل ما لدينا من تراث الأزياء المتخلفة عن مصر وفلسطين وسوريا قد تضمنه كتابان نشرا فى أواسط القرن الماضى ، وعندما ترجم « كاترمير » Quatremère كتاب السلوك للمقريزى تلك الترجمة الثمينة التى تفوق كل تقدير ، والتى نشرت فى عامى ١٨٣٧ و ١٨٤٢ نجده قد خصص عددا وافرا من الحواشى عن الملابس وأخرى عن الأسلحة والدروع ، كما اقتبس ــ كعادته ــ عددا من الفقرات التى تتعلق بالمصطلحات الفنية الخاصة بالموضوع · وفى عام ١٨٤١ ميلادية أعلن المعهد الملكى الهولندى عن جائزة موضوعها : « الأزياء التى كان يستخدمها العرب من كلا الجنسين فى مختلف العصور ومختلف البلاد » وفى ذلك الوقت ، كان المستشرق الشهير دوزى Dozy لا يزال عالما ناشئا ، اذ كان يبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما قد سارع الى الاشتراك فى هذه المسابقة ، وفاز فعلا بالجائزة المرصدة لها ، ونشرت نتائج عمله فى مجلد أطلق عليه اسم (القاموس المفصل لأسماء الملابس عند العرب) Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes وقد طبع فى مدينة امستردام سنة ١٨٤٥ ميلادية ، هذا وباستثناء مقال للأستاذ ر · ليفى Levy بعنوان « تعليقات على الأزياء من المصادر العربية » Notes on costume from Arabic sources لم يصدر بعد ذلك عمل متكامل خليق بالذكر ، وقد جمع دوزى Dozy مادته من عدد لا يحصى من الكتب ، ما بين عربية وأوربية ، ويعتبر قاموسه هذا عملا عظيما خالدا بالغ الذروة Monumentum Aere Perennius

بالنسبة لما كشف عن حصافة مؤلفه وسعة اطلاعه واجتهـاده ودأبه على دراسة فقه اللغة · ولكن مجرد الاقتباس من كتب الأدب،دون تحقيق الملابس موضوع البحث ، عن طريق نماذج حقيقية ، أو مادة مصورة ، لا يجعل فى مقدورنا استجلاء معالم الملابس عن طريق الرؤية المباشرة، وفضلا على ذلك التعرض لأزياء العالم الاسلامى برمته عبر جميع العصور ، حتى عهـــد (دوزى) Dozy نفســـه يعتبر نكسة كبرى من وجهة النظر المنهجية ، ولذلك سنبدأ من حيث توقف تيار البحث منذ قرن مضى ، محاولين الافادة من المادة الأثرية القليلة التى أتيحت لنا ·

المصادر



ان معلوماتنا عن الأزياء الاسلامية مستقاة ، فى الدرجة الأولى ، من المراجع التاريخية العربية ومن مكاتبات موظفى الحكومة • وأكثرها أهمية من وجهة نظرنا ــ سواء المطبوع منها أو المخطوط ــ قد أدرج فى الفهرست البيبليوجرافى المثبت فى آخر هذا الكتاب • وقد وجدنا فى جميعها فقرات عدة تتصل بالأزياء بصفة عامة ، اذ ذكرت ــ وأحيانا وصفت كذلك ــ بعض قطع من الملابس ، وأوردت أسماء الرجال الذين أدخلوا الموضات وطوروا الأزياء ، كما تضمنت المراسيم التى بمقتضاها حظر ارتداء أزياء معينة أو فرضت أزياء أخرى على الناس ، وبألوان معينة ، ولسوء الحظ جاء ذكر جميع هذه الأشياء عرضيا فى نتف صغيرة ضمن موضوع آخر وعلى وجه يكاد يعكس الشعور بالذنب بسبب الاستطراد ومن ثم اعتذر النويرى (١) لذكره أشياء ــ عملية وليست علمية خالصة ــ موجهة الى موظفى الحكومة لمجرد العلم والاحاطة •

ولسوف نرجع ــ من ناحية أخرى ــ الى المخطوطات العربية المصورة، واضعين فى الحسبان أن عملنا سيقتصر فقط على الصور التى رسمت فى مصر وسوريا فيما بين عام ١٢٥٠ ميلادية وعام ١٥١٧ ميلادية ، وقد اقتصر عدد المخطوطات موضوع البحث على ما يأتى (٢) -

(١) نهاية الارب ، جزء ٣ ص ٢٢٨ س ٤ •

(٢) يستحق أحمد موسى ، ك• هولتر ، هـ• بوختال K. Holter and H. Buchthal كل ثناء وتقدير لأنهم الأوائل من بين الكثير من الباحثين فى الفن الاسلامى الذين كرسوا كل اهتمامهم لدراسة المنمنمات المملوكية فقد حجبت مدرسة بغداد والمدرسة الايرانية مدرسة التصوير المملوكية وقتا طويلا دون أن يتناولها أحد من المؤرخين •

الجزرى : كتاب فى معرفة الحيل الهندســـــية ، وعلى الأخص الأوراق التى ما زالت متبقية من المخطوطات المؤرخة عام ٧١٥ هجرية وعام ٧٣٥ هجرية على التوالى ، ومن بينها مخطوط مكتبة بودليان Bodleian تحت رقم : جريفز ٢٧ (Greaves 27) .

كتاب كليلة ودمنه : ومن أهم النسخ الموجودة منه مخطوط بودليان Bodleian تحت رقم : بوكوك ٤٠٠ (Pococke 400) ، ومقامات الحريرى : ونقصد بصفة خاصة المخطوطات الموجودة فى فينا Vienna تحت رقم : أ . ف ٩ (A.F. 9) وفى المتحف البريطانى ، تحت رقم : اضافات ٧٢٩٣ (Add. 7293) ، وفى مكتبة بودليان تحت رقم : مارش ٤٥٨ (March 458) وتوجد مجموعة من كتب الفروسية فى مكتبات مختلفة ، ولعل أكثرها قيمة من ناحية موضوع الملابس ، واحد منها ضمن مجموعة شستر بيتى (Chester Beatty-Collection) واثنان يوجدان فى المكتبة الأهلية بباريس Bibliothèque Nationale تحت رقم : عربى ٢٨٢٤ ، ٢٨٢٦ (Ar. 2824, 2826) .

والواقع أنه بسبب عوامل تتعلق بالأسلوب الاصطلاحى ، وبحكم التقليد الذى جرى عليه الفنانون العرب فى تنفيذهم للصــور الحيـــة ، ولجملة أسباب أخرى تخرج عن نطاق هذا العمل ، نجد أن هذه المنمنمات – حتى لو كانت قد صورت بأيدى رجال ممن كانوا يألفون صنوف الملبس الذى ترتديه نماذجهم – تفتقر جميعها الى التفاصيل التى تعتبــر فى الواقع الشىء الوحيد الذى نحن فى أمس الحاجة اليه بل والرغبة الشديدة فى وجوده ، وفضلا عن ذلك ، فقد كانت رسوم الفنانين ترتبط مباشرة بجمهور قد ألف الملابس المرسومة كما كانت بالمثل مألوفة للمصورين أنفســهم ، ودفعهم ذلك فى أكثر الأحيــان الى الاكتفاء فقط بالرمز الى الأشياء ، بدلا من تصويرها تفصيلا . وبالنسبة لنا ، نجد أن النظر الى هذه الرسوم الرمزية من خلال ضباب قرون مضت – اختفت فى خلالهــا جميع التقاليد المرعية فى طرق تفصيل وحياكة الملابس المملوكية – غير مجد غالبا لأن هذه الرموز أصبحت غير مفهومة لنا .

وتتساوى فى الأهمية أيضا تلك التحف البرنزية المكفتة أصلا بالفضة . وكثير منها مزخرف بمشاهد من حياة البلاط ، وهى بدورها تعانى بكل تأكيد من جميع أوجه النقص والانتكاس التى أشــير اليهــا سابقا فيما يتعلق بالمخطوطات ، وبالاضافة الى ذلك نجد أننا حرمنا حتى من المعلومات القليلة التى قدمها الفنانون من خلال هذه الأعمال الفنية ،

خاصة وأن معظمها ـ كالعادة ـ قد نزعت عنه فضته التي نقشت عليها التفاصيل ·

ويمثل موضوع التاريخ صعوبة قصوى ، فبالرغم من أنه في الامكان تصنيف وترتيب التحف المملوكية الخاصة بالقرن الرابع عشر بسهولة ، الا أننا يجب أن نكون شديدى الحرص بالنسبة الى تلك التحف الخاصة بالقرن الثالث عشر الميلادى ونسبتها الى مصادرها، اذ تصادفنا هنا جملة مشكلات تحيرنا ونحن نحاول أن نحدد ما قد صنع من هذه التحف فى العصر الأيوبى وما صنع فى النصف الأول من العصر المملوكى ، كما يصعب غالبا تحديدها اذا كانت قد تم صنعها فى دولة المماليك أو خارجها · واننا لا نعرف سوى القليل عن مدارس أشغال المعادن الاسلامية ، كما لم تتوفر لدينا المعلومات الكافية عن مدرسة الموصل ، حتى نتمكن من الاجابة عن بعض الأسئلة الشاقة للغاية · ويرجع الفضل الى الدكتور د · س · رايس Dr. D.S. Rice باعتباره أول من أثبت أن طستا كان من بين مجموعة ف · ر · مارتن F.R. Martin (١) من عمل « محمد بن الزين » وهو المعلم الذى قام بصنع معمدانة القديس لويس Baptistère St. Louis وصنع سلطانية كان كلاهما فى مجموعة المرحوم ج · ج · ماركت دى فاسيلو J.J. Marquet De Vasselot (٢) وأثبت رايس Dr. D.S. Rice أنهما ينسبان على الأقل الى الصانع نفسه ، وبهذا زودنا رايس بتاريخ محدد لبعض قطع قليلة ذات مميزات واضحة ، وقد أمكن بالمثل التحقق من شخصية أمير من الأمراء كان يمتلك فيما مضى « طاسه » توجد حاليا بمتحف بالرمو Palermo (٣) ، وقد عاونتنا هذه التحفة فى تأريخ واحدة أخرى كانت توجد بين مجموعة زاره

---

(١) يوجد حاليا فى مجموعة السيد / ·· كفوركيان Mr. H. Keverkian بنيويورك ونشر مارتن · Martin اجزاء منه فى Altere Kupferarbeiten pl. 20 A, لوحة رقم ٢٠ ـ أ ، ونشرت أجزاء منه هنا فى هذا المجلد لوحة رقم ٤ و ٥ ·

(٢) هى حاليا ملك أرملته ، ونشرها فييت Wiet فى كتابه « تحف من النحاس » Objets en cuivre صفحة ١٧٨ ، شكل رقم ٦٤ ، ونشرها هرارى Harari فى كتاب موسوعة الفن الفارسى Survey of Persian Art الجزء الثالث ، صفحة رقم ٢٤٩٩ شكل رقم ١ ، الجزء السادس لوحة رقم ١٣٤٠ ·

(٣) ماير Mayer ثلاثة رنوك برنزية من بالرمو Three heraldic bronzes from Palermo) فى مجلة الفن الاسلامى Ars Islamica سنة ١٩٣٦ ، المجلد الثالث صفحة رقم ١٨٤ ·

Sarre (١) ، وهذه قد ساعدت بدورها على وضــع تأريخ تقــريبى لطست آخر وجد فى مجموعة هــرارى Harari (٢) ومهما يكن من شيء ، فانه سيمضى زمن طويل قبل أن أصل الى جمع أدلة كافيــة تعــود بالنفــع العام على أشغال المعادن المملوكية فى ســوريا ومصر خلال القرن الرابع عشر حتى نتفهمها على وجه أفضل ، وهــذا ما يطلق عليه بالألمانية Realia ٠

وان كنا نتقدم بالشكر على ما قام به ك ٠ ج ٠ لام C.J. Lamm اذ جعل عملية تنسيق التحف الزجاجية أكثر ســهولة من الناحيتين ، التاريخية والجغرافية الا أن نتائج هذا العمل كانت ضعيفة الأثر بالنسبة لدراسة الأزياء بالذات ، لأنه حسب طبيعة « التكنيك » المملوكى لأشغال المينا على الزجاج ، كان كل التصميم عادة يفتقر الى التفاصيل ٠ وعلاوة على ذلك فان معظم تحف الزجاج المحفوظة فى مجموعاتنا قد صنعت أصلا بقصد استعمالها فى المســاجد والمدارس وغيرها من المنشــآت الدينية ، ومن ثم ، فلا نشاهد عليها أشكالا آدمية ٠ ومن أجل هذا السبب ، قصرنا بحثنا على قليل من القنانى والأقداح ، التى يظهر بوضوح أنها صنعت خصيصا من أجل استخدامها فى حجرات السلطان الخاصة أو أمرائه حيث يتيسر اباحة الاستمتاع بالملاذ المحرمة بعيدا عن أعين الجميع فيما عــدا أخصــائهم ، هــذا ونرى على النموذج الفــاخر الموجــود بمتحف المتروبوليتان Metropolitan Museum بنيويورك ، مشهدا لفرسان وهم فى رحلة للصيد والقنص (٣) على حين أننا نشاهد على كأس أخرى كانت ســـابقا بين مجموعة دوريللو Durighello Collectior فى باريس زوجين من الموســـيقيين وكلاهمـــا يعتبر أدلة على ماذكرنا ، ومن الكسر (الشقافة) الكثيرة التى بقيت مصادفة الى وقتنا الحاضر ، أو من حطام التماثيل والأوانى الخزفية التالفة ، يوجد منها قليل جدا ما هــو كبــير الحجم بالقدر الذى يكفى للحصول منه على تفاصيل لها قيمتها ٠ واذا لم أكن مخطئا فى ظنى ، فانه لا توجد أى صور لأشكال آدمية فى أشغال الحفر المملوكية على الخشب والعاج ٠

---

(١) عن النصوص الادبية اقتباس ماير Mayer انظر الحواشى من رقم ٢٠ ــ ٢٣ وينبغى اضافة هرارى Harari المصدر السابق رقم ١٣٣٧ ــ ب ٠

(٢) هرارى Harari المصدر السابق نفسه رقم ١٣٣٧ ــ أ ٠

(٣) شمورانز Schmoranz ، الاوانى الزجاجية الشرقية القديمة Old Oriental glass vessels لوحة رقــم ٤ ، لام ، Lamm الزجــاج ذو البــريق المعــدنى Mittelalterlich Gläser لوحة رقم ١٨٦ ٠

ومن ناحيه ثالثة توجد لدينا حكايات أوربية نقلا عن الحجاج المسيحيين جرت أحداثها ووقائعها فى الأراضى المقدسة وتضمنتها كتب الرحلات الى سوريا ومصر ، وهى ليست بالنسبة لنا مصادر موثوقا بصحتها من ناحية الأسماء والأوصاف ، ذلك لأنه فى كل حالة نجد أن كلا من الحجاج والرحالة العاديين على جهل بظروف البلد الذى يزورونه حتى انه رغم قضائهم لبضعة أشهر فى اقامة مؤقتة بها لا يستطيعون الالمام باللغات المحلية ، فكانوا يقعون الى حد كبير تحت رحمة تراجمتهم ، مثلهم فى ذلك مثل الرحالة المعاصرين الذين يقعون تحت رحمة مرشديهم ، ولكن كانت صورهم أفضل من رواياتهم ، بل يجب أن نسقط من الحسبان تلك التى هى مجرد صور منقولة عن كتب أوربية أخرى ، بل نسقط كذلك تلك الصور التى رسمت فى أوربا بواسطة فنانين عولوا على استقاء معلوماتهم عن طريق أوصاف كانوا يتناقلونها شفاهة دون أن يجشموا أنفسهم مشقة الحصول على معلومات موثوق بها من موطنها الأصلى ، وفى الامكان أن نستثنى رجلين فقط يعول عليهما فى هذا الصدد وهما : برنهارد فون بريدنباخ Bernard von Breydenbach أو بالأحرى رووفش Reuwich وهو اسم الشهرة ، ثم ارنولد فون هارف Arnold von Harff وتعد صورهما قيمة ــ وان كانت فى حقيقتها ذات صبغة أجنبية ــ الا أنهما أبرزا مواضع الاختلاف بين ملابسهما الأوربية والملابس العربية ، وهى مواضع ساعدتنا على الكشف بطريق الرؤية عن الأزياء القديمة الا أنهما من ناحية أخرى ، كان ينقصهما ــ فى النادر ــ المهارة وتوخى الدقة بالقدر الذى يكفى لتنفيذ ما يرونه تماما من أشكال .

ومن ناحية رابعة وهى أكثر الحالات دقة لدينا ، الصور واللوحات الايطالية ، وهنا لا توجد فى الواقع أية مشكلة بخصوص براعة الأساتذة فى عملهم اليدوى ، حتى لنشعر من صورهم أن كل مصور قد أراد أن يعرفنا بكل ما أراد اثباته وتسجيله فيها ، فصور الأشكال كما أراد أن تكون ، ولونها بالألوان التى أرادها لها ولكن المشكلة الحقيقية هى : هل شاهد هؤلاء المصورون الايطاليون الحياة فى الشرق ؟ .. اننا نعرف أن الصلات بين ايطاليا وبلدان شرق البحر المتوسط The Levant وعلى الأخص بينها وبين مصر المملوكية كانت وثيقة للغاية ، وأن التجار الايطاليين قد ألفوا كثيرا التردد على موانى شرق البحر المتوسط ، حتى أن تبادل السفارات لم يكن شيئا خارجا عن المألوف ، كما كانت هناك مراسلات نشيطة متبادلة بين حكام البندقية وبين ممثليهم فى الشرق ،

المملوكية وترتب على هذا الأمر ، من ناحية أخرى أن كان لدى البلاط المملوكى كتاب (ممن استقوا معلوماتهم فى الجغرافية السياسية الايطالية من مراجع وكتب عربية مثل كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى أو كتاب صبح الأعشى للقلقشندى ، ثم على وجه الخصوص مما حوته تقارير الجواسيس الذين احتفظ بهم سلاطين المماليك فى البلاد المسيحية) ، كان لهم بعض المام بالمسائل الايطاليه ، وما شابه ذلك .

ونحن نعرف أن جانتيلى بللينى Gentile Bellini قد أرسل فى مهمة الى القسطنطينية ، ولكننا لا نعرف أى طريق سلكه عند عودته الى وطنه . كما لا نعرف كذلك من من أساتذة القرنين الرابع عشر والخامس عشر قد صوروا أو رسموا رسوما تخطيطية (اسكتشات Sketches) فى مصر ، وفلسطين ، وسوريا (١) ، اذ لا توجد لدينا مراجع تترجم لنا حياة مصورى تلك الفترة التاريخية .

ولعلى أجازف بالاعتماد فيما يلى ، على بعض صورهم ، وخاصة الصورة التى يطلق عليها اسم « حفل استقبال سفير من البندقية Reception of a Venetian Embassy الموجودة بمتحف اللوفر (٢) ، وقد أقدمت على ذلك مستندا الى سببين :

أولهما : أن الأزياء تطابق حرفيا الأوصاف التى تحدث عنها المؤرخون العرب .

ثانيهما : أنه توجد حجة « اضافية » على صدق وواقعية هذه الملابس . ومن أجل دعم هذا الرأى أريد أن أستشهد بكل من الهندسة

---

(١) واحتمال أن ليوناردو دافنشى Leonardo Da Vinci قد زار الشرق الأدنى ، موضوع مرفوض من أساسه ، والوصف المقدم فى المخطوط ورقة ١٤٥/ه (MS. CA. FO 145 V) الذى استند عليه ج . ب . رتشستر J.P. Richten فى Lionardo Da Vinci Im Orient عام ١٨٨١ مجلد ١٦ ، صفحة ١٣٣ — ١٤١ » وفى مجلة Zeitschrift für bildende Kunst, 1881, BD. 16, pp. 133-141) ثم قلل من غلوائه — فى الأعمال الأدبية لليوناردو دافنشى لندن ١٨٣٢ ، الجزء الثانى ، (The literary Works of Leonardo Da Vinci) ٢٨٥ — ٣٨٨ ، وكتذكار لاقامته فى المشرق فقد برهن أكثر على عكس ما قاله سابقا .

(٢) كتب كثير جدا عن هذه الصورة ، وانى آمل فى عمل ببلوجرافية لها « كمراجع مستوفاة » تقريبا عنها (انظر الملحق الثانى) ، وسوف لا نعدم الفائدة منها

المعارك والرنوك (*) • ونظرا لأن الرنوك كانت تقوم فقط بدور ثانوى للغاية فى حياة فرسان المماليك ، لذا كان من المحتم لكى نتمكن من رسم رنوكهم صحيحة تماما ، أن يقضى المرء ـ فعلا ـ بعض الوقت فى بلد عربى شرقى ، أو يكون قد رافق ـ علاوة على ذلك ـ أشخاصا من الشرقيين وروض نفسه على أن يألف تماما طرائق معيشتهم • وفى كلتا الحالتين يعتبر كمسجل صادق الرؤية بحيث يمكننا مطمئنين ، الوثوق به واعتباره مرشدا يعول على معلوماته فى دراساتنا •

ولكن ماذا عن نماذج الملابس الأصلية ؟

من الطبيعى ، أن يكون لها القدح المعلى والاعتبار الأول • ولكن لسوء الحظ لم يحتفظ خلفاء الأمراء المماليك مطلقا بالأطقم الفاخرة من ملابس أسلافهم كتذكارات « عائلية » ومن المدهش أن تظل قلة منها باقية الى وقتنا الحاضر وهى عبارة عن : قميص ، وزوجان من السراويل وقلنسوة وقليل من الطواقى وهذا كل ما يمكن تحقيقه ونسبته بالتحديد الى العصر والدولة موضوع البحث • والخلاصة أن تاريخ أزياء المماليك ـ هذا بخلاف الأسلحة والدروع ـ يمكن أن يكتب دون أن نأخذ فى الحسبان ما كانت عليه أشكال الملابس نفسها •

(*) « الرنوك » جمع « رنك » وهو شارة السلطان أو الأمير ينقشها على ممتلكاته ومقتنياته أو يتخذها بعض موظفى البلاط المملوكى بحكم وظائفهم كرنك الكأس للساقى ورنك البقجة «للجمدار» الذى يتولى الباس السلطان ثيابه (انظر تراث الاسلام جـ ٢ ـ ترجمه زكى محمد حسن) ص ٥٨ ـ ص ٦٠ • (المراجع)

الخليفة



كان الخلفاء العباسيون عامة ـ ممن تولوا الخلافة في مصر خلال الفترة من (عام ١٢٦١ ـ ١٥١٧ ميلادية) ـ يعيشون فى ظل سلاطين المماليك (١) ولذلك لم يسترعوا انتباه كل فنانى القرون الوسطى الشرقيين الذين صوروا مشاهد بلاط السلاطين بدقة (٢) كما لم يسترعوا انتباه تلك الفئة من الفنانين الأوربيين الذين أتيحت لهم فرصة عمل

---

(١) هذا فضلا عن حقيقة أن سلاطين المماليك كانوا من القوة بشكل يجعل فى مقدورهم أن ينصبوا أو يعزلوا الخلفاء حسب مشيئتهم ، وكثيرا ما فعلوا ذلك دون حرج وأحيانا كان الخليفة يظهر حسبما ذكر السيوطى كما لو كان فقط أحد الأمراء الذين يعملون فى خدمة السلطان (تاريخ الخلفاء طبعة القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ . ، صفحة ١٦٤ ، سطر ١٧ وما بعده) . وفى عام ٧٢٦ هجرية فى خلال زيارة ابن بطوطه لمدينة مكة ، أشار الى أنه ورد ذكر حكام معاصرين عديدين فى خطبة الجمعة ، وعلى رأسهم السلطان المصرى محمد بن قلاوون ، ولكن لم يرد ذكر اسم أى خليفة ، طبعة دفريمرى وسانجوينتى . الجزء الأول صفحة ٣٧٨ Defrémery et Sanguinetti وبشان هذه التبعية التى دان بها الخلفاء العباسيون المتأخرون ، يمكن الرجوع الى الدراسة الرائدة لرتشارد هارتمان Richard Hartmann, Zurvorgeschichte des 'Abbâsidischen Schein-Chalifates von Cairo (Abhandlungen D. Deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin, Phil. Hist. Kl., JGG. 1947, Publ. 1950, NR. 9).

(٢) ونستشهد فقط بنقيضين هما : المنمنمات مثل صورة «الصفحة الاولى لمقامات الحريرى» بمتحف فينا، تحت رقم أ . ف ـ ٩ (Viennese Harir, A.F. 9) أوصورة بسويدو ـ جالن أ . ف . ـ ١٠ Pseudo-Galen, A.F. 10 ، قد نشرهما ارنولد وجروهمان Arnold and Grohamnn لوحة رقم ٣١ ، رقم ٤٣ وهى اللوحة المقابلة ، فى «الكتاب الاسلامى» The Islamic Book, pls. 43, 31) أو تلك الصورة من عمل الأستاذ عثمان ، التى نشرها لاول مرة تحسين اووز فى هونرناميه Tahsin Oz, Hünernamé. Tome I الجزء الاول (فى مجلة الجمعية الشرقية الفلسطينية) سنة ١٩٣٨ العدد الثامن عشر من صفحة ١٦٧ الى ١٧١ لوحة رقم ٢٤ .
The Palestine Oriental Society, 1938, XVIII, pp. 167-171, pl. XXIV.

رسومات تخطيطية لبعض حفلات الاستقبال الرسمية (١) • وقد وضع هؤلاء الخلفاء فى أرفع مكان وأسماه ، بحيث تعذر اتخاذهم نماذج للصور التى تزين الكتب الخاصة بالتدريبات العسكرية ، أى كتب الفروسية (٢) ولذا لم يكن هناك ما يدعو الى اظهارهم وحاشيتهم عند توضيح وتزيين النصوص الخاصة بتلك الكتب التى تعتبر من أحسن ما صور خلال العصر المملوكى ، مثل كتاب كليله ودمنه ، ومقامات الحريرى ، والجزرى ، وهو كتاب فنى فى الحيل الهندسية (٣) وهكذا حرمنا من أى رسم شرقى أو غربى لملابسهم وأزيائهم ، وأصبح لزاما علينا أن نكشف عنها وسط ضباب المراجع الأدبية وحسب •

وكان الخلفاء العباسيون فى مصر يواظبون على اتباع تقاليد بغداد فى لبس السواد (٤) وهو الزى الذى ظل يميز ملابسهم ويتخذ «شعارا» Shi'âr لاتباعهم ومن يلوذ بهم وطبقا لمنصبهم الذى كان روحيا أكثر منه زمنيا دنيويا وكانوا غالبا ما يرتدون زيهم الدينى المميز لهم • وكان غطاء الرأس عند الخلفاء يتكون من عمامة مدورة لطيفة لها طرف (عذبة) يتدلى خلف الظهر يطلق عليه اسم الرفرف (*) Rafraf

---

(١) وانى أسلم بصحة مثل تلك المجموعة من صور الأشخاص التى رقمها بولس جوفيوس Paulus Jovious وتيودور دى برى Theodore Debry أو سيزار فيسلليو Cesare Vecellio واذا كانوا يرسمون النماذج البشرية التى كان عليها أن تطوف مراسم فينيسيا ، وهى التى وجدت طريقها الى صور كارباتشيو Carpaccio ، ومنزويتى Mansueti وغيرهم من المصورين البنادقة المعاصرين ، ومن أمثال هذا النوع من التصوير الأصيل صورة « استقبال السفير البندقى » وتوجد بمتحف اللوفر (أنظر صفحة ٢٠ من هذه الترجمة)

(٢) راجع ريتر Ritter «أدوات زينة الفرسان» فى مجلة الاسلام سنة ١٩٢٩ العدد الثامن عشر / صفحة ١١٦ وما بعدها • Der Islam, 1929, XVIII, p. 116 ff.

(٣) انظر صفحة ١٥ و ١٦ من هذه الترجمة •

(٤) ومنذ ذلك الوقت والتعبير بكلمة « سواد » Swâd يعنى زى الخلفاء العباسيين انظر مثلا ، الطبرى ، المجلد الثالث ، صفحة ١٠١٢ سطر ١٥ ، المقريزى الخطط الجزء الثانى ، صفحة ٢٤٢ سطر ٢٥ ، ٣٣ ، السلوك لنفس المؤلف طبعة م. زيادة الجزء الأول ، صفحة ٤٧٧ سطر ١٦ ، السيوطى المرجع السابق ، صفحة ١٩٢ سطر ٤ وورد فى أماكن أخرى واتخذ أتباع العباسيين عامة الملابس « المسودة » Musawwida انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٢٩ ، الجزء الأول صفحة ٣٠٢ سطر ٢ ، صفحة ٣١٦ ، سطر ١٦ ، انظر أيضا ليفى Levy تعليقات على الزى نقلا عن المصادر العربية (فى صحيفة الجمعية الملكية الآسيوية ، سنة ١٩٣٥ ، صفحة ٣٣٧ JRAS, 1935, p. 337) .

(*) يشير القلقشندى : صبح الأعشى ، صفحة ٢٧٦ الى أن الرفرف نصف ذراع فى ثلث ذراع • (المراجع)

ويبلغ طوله قدمين (٦٠ سم) وعرضه قدم واحدة وهو مرسل من أعلى العمامة الى أسفلها ؛ وكانوا يرتدون ثوبا ذا أكمام ضـيقة يطلق عليه اسم « القباء » Qabâ' ويضـعون فوق ثيابهم « كاملية » Kamiliyya ضيقة عند الكم مفرجة الذيل من خلف تبدأ من الحافة السفلى مرتفعة الى أعلى ، (١) ولدينا مواصفات عديدة لملابسهم ، وعلى الأخص تلك التى كانت تلبس أثناء حفلات تنصيبهم (٢) أو بمناسبة احتفالات رسمية أخرى . ونذكر منها على سبيل المثال : ان « الخليفة » « المستكفى بالله » شهد موقعة شقحب Shaqhab صحبه السلطان « محمـد بن قلاوون » وهـو يرتدى عمامة لها عذبة طويلة ، ويتقلد سيفا محلى بالزخارف فوق كتف ردائه الأسود (٣) ، كما أنه فى حفل تنصيب الخليفة « المستكفى » نفسه تلقى ثوبا أسود للتشريف أى « خلعـة » Khil'a وطرحة سـوداء للرأس (٤) وفى أثناء تتويج السلطان « فرج بن برقوق » تلقى الخليفة « المتوكل » ثوبا أسـود للتشريف (خلعة سـوداء) ، وعمامة سوداء مطرزة ولبس فوق رأسه طرحة سوداء مطرزة (٥) ، وفى أثناء موكب عام ، ركب فيه الخليفة محمد المتوكل على الله بن يعقوب فى أول شهر رمضان من عام٩١٤ هجرية ليقدم تهانيه للسـلطان قانصـوه الغورى (٦) بمناسبة حلول الشـهر المبارك كان هـذا الخليفة يرتدى « عمامة بغدادية» Imâma

(١) أنظر : صبح الأعشى ، للقلقشندى ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٨٠ ، سطر ٥ ـ ٧ وانظر ليفى Levy نقلا عن نفس المصدر ، صفحة ٣٣٢

(٢) وفى أحيان كثيرة ، كانت تختزل فى جمل قصيرة ، ومن المحتمـل أن ما يلى منها هنا يعتبر نماذج مطابقة : فى حفل تنصيب الخليفة المعتضد فى سنة ٧٥٣ هجرية (الموافق عام ١٣٣٣ ميلادية) وأخلع عليـه خلعة الخـلافة Wa-ukhli'a 'Alaihi Khil'at Al-Khilâfa وورد فى النـجوم الزاهرة ، لابن تغـرى بردى ، طبعة بوبر Popper ، الجزء الخامس صـفحة ١٣٣ سـطر ٣/٢ ، أى فى تنصيب الخليفة المتوكل ، فى جمادى الأول سـنة ٧٩١ هجرية (الموافق التاسع والعشرين من ابريل سنة ١٣٨٩ ميلادية : خلع السـلطان على الخليفة ما جرت العادة به ، وورد فى تاريخ ابن الفرات ، طبعة زريق Zurayk الجـزء التاسـع صفحة ٦٩ ، سطر ١٠ وما يليه أو فى حفل تنصيب المستكفى ، فى عام ٨٤٥ هجرية (الموافق عام ١٤٠٠ ميلادية) ألبس التشريف على العادة ، وفى التبر المسـبوك ، للسخاوى صفحة ١٣ سطر ٢٠ وما بعده .

(٣) الخطط للمقريزى ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٤٢ ، سطر ٣٣

(٤) يونيتى ، مكتبة متحف طوب قابوسراى Top Kapu Sarayi Müzesi رقم ٢٩٠٧ ـ E ـ الجزء الثانى ، ورقة رقم ٥١٢ (٧) النجوم ، طبعة القاهرة الجزء الثامن صفحة ١٤٩ ، سطر ٥ « جبة سوداء وطرحة سوداء » Jubba Saudâ' Wa-Tarha Saudâ'

(٥) القلقشندى ، المصدر نفسه ، ج. الثالث ، ص ٢٧٧ ، س ٩ ومابعده .

(٦) ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ١٤٣ سطر ٦ .

Baghdadiyya (١) وهى عبارة عن عمامة صغيرة لها طرف أو طرفان مسترسلان كما أشرنا الى ذلك من قبل • ونقرأ أحيانا أن ملابس الخليفة لم تكن كلها سوداء دائما • ونضرب مثلا لذلك ، أنه فى حفل تتويج الملك المنصور أبى بكر بن محمد بن قلاوون (فى الثانى والعشرين من محرم سنة ٧٤٢ هجرية) ، كان الخليفة يرتدى ثوبا أخضر للتشريف « خلعة » Khil'a ويضع فوق عمامته (التى لم يذكر لونها) طرحة سوداء بها زركشة بيضاء (٢)

وبالمثل ، فى ذى الحجة سنة ٩٢٠ هجرية ، ركب الخليفة عن يمين السلطان ــ عند دخول الأخير القاهرة عقب عودته من مدينة الاسكندرية ــ وكان يرتدى عمامة بغدادية وقباء من الصوف الأبيض بمقلب (بقلابة) من الصوف الأخضر Bi-Muqallab Sûf Akhdar (٣) ، بل ووجدت مناسبات رسمية ظهر فيها الخليفة فى ثوب أكثر تواضعا ، وهكذا حدث عندما بويع الخليفة المستعين بالله بالسلطنة فى دمشق ، وكان مرتديا ثوبه الخاص بالتشريف ، وهو عبارة عن ثوب « فوقانى » أسود لا غير ، أخذ من خزانة ملابس خطيب للجمعة بمسجد قريب (٤) •

---

(١) التحفة البهية ، محمد بن محمد البكرى الصديقى • مخطوط • كوبنهاجن ، رقم ٨٣ كتالوج ١٥٨ ورقة ٨ ظهر •

(٢) القلقشندى ، المصدر نفسه ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٧٦ س ١٣ ، حسن المحاضرة ، السيوطى طبعة ١٢٩٩ هجرية ، الجزء الثانى صفحة ٧٧ ، س ١٠ وما بعده قال ان التطريز كان من الذهب • وهذا يلبس بواسطة الخلفاء العباسيين (فى مناسبات خاصة للغاية) من ألوان أخرى ، ووجد الوضع نفسه فى العراق ايضا ، كما حدث مثلا حينما دخل الخليفة المأمون مدينة بغداد فى الخامس عشر من صفر سنة ٢٠٤ هجرية وهو يرتدى ثيابا خضراء وأمر أن يلبس جميع أتباعه المخلصين اللون نفسه (ومع هذا فقد ألغى المرسوم بعد مضى أسبوع من تاريخ صدوره ، وعادوا الى ارتداء السواد ثانية) انظر « كتاب بغداد لابن أبى ظاهر طيفور ، الجزء السادس ، صفحة ٢ سطر ٥ ، صفحة ٣ سطر ٧ ، ١١ ــ ١٣ الطبرى ، المجلد الثالث صفحة ١٠١٢ ، سطر ١٥ صفحة ١٠٣٧ ، سطر ٧ ، صفحة ١٠٣٨ سطر ٨ ابن الأثير ، طبعة تورنبرج الجزء السادس صفحة ٣٥٣ سطر ٩ ، ١٧ • فوات الوفيات للكتبى ، طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هجرية الجزء الأول صفحة ٢٤٠ ، سطر ١٤ وما بعده ، محاضرات الأولين على دده السجتوارى البسناوى طبعة ثانية (كتب خطأ على صفحة العنوان « طبعة أولى » القاهرة سنة ١٣١١ هجرية سطر ١٢٨ ، ١٢٩ وفى مواضع أخرى انظر ليفى Levy المصدر السابق صفحة ٣٢٥ حاشية ١٠ : صفحة ٣٢٩ حاشية ٩

(٣) ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ٤١٨ ، سطر ١٦ وما بعده ، صفحة ٤٢٠ وما بعده

(٤) ابن تغرى بردى ، طبعة بوبر ، الجزء السادس صفحة ٣٠٥ ، سطر ٢ وما بعده •

وفى خلال حكم السلاطين الجراكسة ، حرم على الخليفة ارتداء ثوب الخلافة ، فكان يرتدى أحيانا ملابس الطبقة العسكرية الأرستقراطية السائدة فى عصره (١) • فمثلا ، فى سنة ٨٥٧ هجرية ، فى حفل تتويج عثمان ابن جمقق ، خلع على الخليفة رداء من الحرير الاطلس المبرقش بزخارف من الخطوط المتموجة يطلق عليه اسم « أطلس متمر » Atlas Mutammar (٢) ، وخلع فى الوقت نفسه على الأتابك (٣) ، ثوبا للتشريف مماثلا ، وكذلك حدث نفس الشىء فى مناسبات مختلفة لبعض الشخصيات الرسمية الأخرى من الطبقة العسكرية الرفيعة • وفى شهر شعبان من عام ٩١٤ هجرية ، ظهر الخليفة يعقوب المستمسك بالله ساعة تنحيته (لولده) عن الخلافة بقميص من الصوف الأبيض « سلارى » Sallârî مبطن بفراء « السمور » Sammûr ، اختير

(١) انى أجازف بأن أومىء الى أن ثوب التشريف ــ لسوء الحظ قد أشير اليه فقط بدون وصفه ــ الذى خلعه السلطان برقوق على الخليفة زكريا المعتصم بالله « خلع السلطان عليه خلعة غير خلعة الخلافة » عن ابن تغرى بردى ، نفس المصدر ، الجزء الخامس ، صفحة ٣٨٣ سطر ١ ، كان من نوع الأزياء العسكرية نفسها •

(٢) المقريزى فى الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٢٧ ، سطر ٢ ، نقل عن ابى فضل الله ، ان هذا القماش نفسه ، هو حرير اسكندرانى منسوج بخيوط الذهب • القلقشندى (صبح • الرابع ص ٥٣ سطر ١ وما بعده ، وفى ضوء الصبح ، صفحة ٢٥٩ ، سطر ٣ ــ ٢٠ (من أسفل) اختصر ابن فضل الله واستبدل كلمة «منسوج» Woven بكلمة «مموج» Mumawwag ومن ثم ، فانى أجازف بأن أدلى برأى انه من المحتمل أنه كان يشبه القماش الذى له مظهر الحرير المموج (انظر ، الفارس ، فى لوحة رقم ٢ ، وفى أشكال أخرى متنوعة فى اللوحات رقم ٣ ، ١٦ ــ ٢٠) اذ لا بد ان هذا النوع من القماش كان مستعملا طوال عصر المماليك كله . هذا فيما عدا استثناء واحد (ورد فى مكان من الخطط) اذ كتبت حروف الكلمة على نمط واحد بدون تغيير وهو «متمر» فمن أجل هذا السبب احتفظت بهذه التهجية ، حتى ولو كان التحقيق الذى قدم صحيحا « متمرا أو منمرا » هما أكثر ملاءمة • ومن الواضح كثيرا أن هذا القماش كان ثمينا وغالى الثمن جدا • وكان يستخدم من أجل ثياب التشريف الخاصة بالطبقة الرفيعة جدا (أنظر صفحة ٥٨ من هذا المجلد وفى فقرات من مراجع مثل النجوم (بوبر) ، الجزء السادس، صفحة ٦١٥ ، سطر ١١ ، والحوادث ، صفحة ٤٧٣ ، سطر ٣) وعلى كل حال فقد ورد فى مناسبة واحدة جديرة بالذكر فى (ابن اياس ، الجزء الأول ، صفحة ١٥٩ ، سطر ١٦ ــ ١٨) انه فى سنة ٧١٤ هجرية (سنة ١٣١٤ ــ ١٣١٥ ميلادية) كان يستخدم ــ من بين اقمشة أخرى ــ فى ثياب التشريف التى كانت تخلع على ذوى الحيثيات والعمال •

(٣) السخاوى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٣ ، سطر ١٤ زخارف مطرزة «فوقانى بطرز زركش » وقد خلع على الخليفة فى حفل بعد ذلك ، انظر فى المكان المشار اليه ص ٤٢٤ ، س ١٢ ، اذ من المحتمل أن يكون من الشائع جدا ورود اللفظ بشكل عام ليشير الى أمثلة أخرى •

من بين ملابس السلطان نفسه (١) ٠ وحدث خلال مناسبتين على الأقل أن أنعم على أقارب الخليفة أيضا بملابس الامارة (٢) ٠

---

(١) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ١٤٠ ، سطر ١٤ ٠

(٢) يونينى المصدر السابق ظهر الورقة ٢١٥ ، خلع السلطان الملك النـاصر محمد ابن قلاوون بثوب تشريف خليفى كما جرت العادة على الخليفة المستكفى بالله بل وخلع على اخيه وأولاد أخيه خلع الأمـــراء الأكابر ملونة بألوان مختلفة ، وفى الغالب توجد حالة مماثلة فى النجوم ، طبع ، القاهرة ، الجزء الثامن ، صفحة ١٤٩ ، سطر ١٥ وما بعـده. أنظر أيضا « السلارى » المبطن بسنجاب رمادى ، خلع على الأمير خليل وعلى ولديه عنـــد تنازل الخليفة شعبان سنة ٩١٤ هجرية (نهاية شهر نوفمبر سنة ١٥٠٨ ميلادية) ٠ أنظر : ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ١٤٠ سطر ١٤ وما بعده ٠

السلطـــان



والى جانب مراعاة التفاصيل الدقيقة عن حفلات التنصيب السلطانية كانت التفاصيل الخاصة بملابس السلطان يراعى تحديدها هى الأخرى بوضـــوح تام • وكان « شـــعار » Shi'âr السلطنة الرسمى عبارة عن : عمامة سوداء ، « وجبة » Jubba ســـوداء مع حـــزام من شريط مذهب معلق بـــه ســـيف بداوى Badâwî-Sword (١) أما اللـــون الأســـود وهـــو شارة الولاء للخـــلافة العبـــاسية ، التى اتخـــذت هذا اللون شعارا لها منذ بدء نشأتها (٢) • وظل الخلفـــاء العباســـيون يحتفظون به ـ مع استثناءات قليلة جدا ـ فقد بقى تقليدا متبعا حتى النهاية(٣)• وأفضل برهان على أن العمامة المدورة 'Imâma Mudawwara كانت احدى الشـــعائر الســـلطانية هو أن هذه العمامة كانت تشكل فى الحقيقة جزءا من ثوب «التشريف الملكى» أى «خلعة الملك» Khil'at al-Mulk التى أنعم بها السلطان محمد بن قلاوون عام ٧٢٥ هجرية (١٣٢٥ ميلادية) على حاكم السودان مع « جبة » Jubba سوداء وسيف مذهب (٤) •

وملابس تتويج السلطان بيبرس الأول التى أرسلهـــا اليه الخليفـــة العباسى ، شرحها المقريزى بالتفصيل ، اذ كانت « الخلعـــة » Khil'a

---

(١) انظر سلاطين المماليك ، جـ الأول (أ) ص ١٣٣ وما بعدها ، حاشـــية ٧ : ومن أجل الحصول على مزيد من التفاصيل بشأن ملابس التتويج لمعظم سلاطين المماليك ، يمكن مقارنة قليل من الامثلة المختارة كيفما اتفق ، لبيبرس الثـــانى : الســلوك ، الجزء الثانى صفحة ٣٨ سطر ٥ ـ ٨ قايتباى : ابن اياس ، الجزء الثالث (تحقيـــــق كاله ومصطفى) صفحة ٣ ، سطر ١١ وما بعده ، طومانباى الثانى : ابن اياس الجزء الخامس صفحة ١٠٣ سطر ٣ وما بعده •

(٢) انظر فصل « الخليفة » صفحة ٢٣ (من هذه الترجمة) •

(٣) انظر مثلا ، أبو الفداء ، حوليات ، الجزء الخامس ، صفحة ٤١٥ ، السيوطى تاريخ الخلفاء طبعة سنة ١٣٠٥ هجرية ، صفحة ١٩٥ ، سطر ٨ وما بعده •

(٤) اليافعى : مرآة الجنان (غير مؤرخ) •

تتكون من عمامة سوداء منسوجة بخيوط الذهب أى من « النسيج المذهب المزركش » ودراعة Durrâ'a أو فرجيه بنفسجية ، ورياقة مذهبة ، وسلسلة ذهبية فى قدميه وسيوف عديدة ، تقلد (١) أحدها ، وسيوف أخرى حملت خلفه وبيرقان يظلان رأسه ، وكان يشكل جزءا من المجموعة قوسان طويلان وترس ، وكان جواده أبيض (أشهب) بوشاح أسود مشده Mishadda وكنبوش Kanbûsh (٢) أسود . وكانت عمامة السلطان كعمامة الخليفة ، لها طرف طويل (عذبة) يتدلى مسترسلا بين كتفيه ولكن كان لجبته Jubba الحريرية السوداء أكمام ضيقة (٣) .

والشيء المهم الذى يجب أن نتذكره أثناء حفل تنصيب السلطان، هو أنه كان يرتدى ملابس رجل دين أصيل ، أى ليس لها طابع عسكرى : وكانت العمامة من طراز لم يسبق لأمير ارتداؤه قط اذ كانت الجبة Jubba ، أو الدراعة Durrâ'a أو الفرجية Farajiyya لا ترى الا على المشايخ وحدهم ، ولم يكن فى تقلده للسيف على هذا النحو ما يشير الى عدم التجانس مع سائر ملبسه اذ كان يحمله معلقا بواسطة النجاد ، كما كان يحمل فى بلاد العرب القديمة ، وهى طريقة كانت متبعة قبل الاسلام تتناسب وحسن المظهر العام .

وكان السلطان أثناء المواكب السلطانية يرتدى زى أمير عظيم ، وكم من تفاصيل كالتى أشرنا اليها أحيانا تظهره وهو فى رداء مؤلف من « كاملية » Kâmiliyya من المخمل الأحمر يحيطها فراء السمور (٤) ، مع قلنسوة ـ كلفتاه Kalaftâh أو فى بعض

---

(١) « تقلد » تدل هذه الكلمة على معنى واحد فقط بأن السيف كان يعلق على الكتف بواسطة الحميلة .

(٢) السلوك ، الجزء الاول صفحة ٤٥٢ سطر ٨ ــ ١١ ، أنظر أيضا بيبرس زبدة الفكرة غير مؤرخ (٦٥٩ هجرية) النويرى ، الاصل ٢ مخطوط وجه الورقة ١٤٤ سطر ٦ وما بعده ، السيوطى حسن المحاضرة « طبع سنة ١٢٩٩ هجرية » الجزء الثانى صفحة ٥٨ سطر ٧ . ابن اياس الجزء الأول صفحة ١٠١ سطر ٢٢ وما بعده ، وقد قدم بعض المواصفات القليلة المختلفة ، مفضل بن أبى الفضائل ، صفحة ٨٢ وما بعدها ، ابن تغرى بردى ، طبعة القاهرة ، الجزء السابع صفحة ١١١ سطر ٥ وما بعده ، سطر ١١ وما بعده ، السيوطى تاريخ الخلفاء ، سنة ١٣٠٥ هجرية صفحة ١٩٢ سطر ٤

(٣) سلاطين المماليك ٢ أ صفحة ١٣٣ وما بعدها ، حاشية ٧ ، ليفى « تعليقات » صفحة ٣٣٣ ، ٤٢٣ سطر ١٩ .

(٤) ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ٤١٨ سطر ١١ ، صفحة ٤٢٠ سطر ٢٠ ، صفحة ٤٢٣ ، سطر ١٩ .

الحالات ، كان يرتدى عمامة صغيرة يطلق عليها اسم « التخفيفة » (١) ٠
وكان من المألوف أن يركب السلطان قايتباى أثناء المواكب السلطانية وعليه ملابس صوفية (٢) ٠

وفي مناسبات خاصة كانت العادة أن يرتدى السلطان عمامة تسمى « التخفيفة الكبيرة » ، أطلق عليها الشعب اسم « الناعورة (٣) وهى فى أوصافها مطابقة لما ورد فى ابن اياس (٤) ، من أنها تستخدم « فى مقام التاج » عند السلاطين المماليك ٠ وكانت التيجان ـ كما يقول ابن اياس (٥) ـ يلبسها ملوك فارس (٦) ، ولذا أصبحت « التخفيفة الكبيرة » ذات القرون الطويلة هى التاج الخاص بالسلاطين المصريين كالتاج الذى اختص به الفرس ٠ وكانت التخفيفة الكبيرة بقرونها الطويلة نوعا من أغطية الرأس الثقيلة ٠ وقد اعتاد السلطان الغورى على الأقل لبس « تخفيفة صغيرة » كلما وجد عذرا يبيح له ذلك ، كما حدث مثلا فى شهر صفر من عام ٩١٧ هجرية(مايو ١٥١١ ميلادية) عندما أصيب « بدمل » فى رأسه ، فقد طاف شوارع القاهرة فى موكب وهو يرتدى « تخفيفة صغيرة مملسة » (٧) نظرا لعدم مقدرته على ارتداء التخفيفة الكبيرة ب « قرونها » وفى شهر شعبان من عام ٩١٩ هجرية (أكتوبر ١٥١٣ ميلادية) عندما أصيب بورم عارض لم يمكنه من ارتداء « التخفيفة الكبيرة » ظهر فى « تخفيفة صغيرة » ملساء ، ورداء ـ سلارى Sallârî من قماش بعلبك (٨) بل امتنع عن « التخفيفة الكبيرة » نحو أربعة أشهر الى الرابع من شهر شعبان من عام ٩١٩ هجرية

(١) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٢٣ ، سطر ١٨

(٢) ابن اياس الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٣٢٢ ، سطر ١٦ ٠

(٣) الناعورة هو اسم للساقية السورية ، وتعرف به كثيرا فى منطقة حماة ، وهذه الكلمة ترمز الى كبر حجمها ولكونها مسننة كترس الآلة ، وهو أكثر الاسماء مطابقة للتخفيفة الكبيرة من الناحية التهكمية ، ويستعمل اللفظ أحيانا كتعبير يكفى للدلالة عليها ، وتصحبه أحيانا كلمة «تخفيفة» ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٥٤ ، سطر ٨ ، صفحة ٣٧٢ ، سطر ١٨ ـ ٢٠ ٠

(٤) الجزء الرابع صفحة ٣٣١ ، سطور مختلفة ـ صفحة ٣٣٢ ، سطر ١ وما بعده٠

(٥) الجزء الرابع صفحة ٣٣٢ ، سطر ٢ وما بعده ٠

(٦) من وجهة نظر ابن اياس ويشير اليه قوله الواضح والجدير بالملاحظة أنه لا يوجد مؤلف عربى عاش قبل النصف الثانى من القرن الخامس عشر ولم يشر الى هذا النوع من العمائم السلطانية ، وبدون أن يستعمل الكلمة المذكورة فى أعلى وللحصول على مزيد من التفاصيل ، انظر قطب الدين ، طبعة وستنفيلد Wüstenfeld ، صفحة ١٨٧ ، ١٨٨ ٠

(٧) ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ٢١٢ ، سطر ١٢ وما بعده ٠

(٨) ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ٣٣٦ ، سطر ٨ وما بعده ٠

كمـــا أنه امتنــــــع عن الجـــــلوس على المصــــــــطبة Mastaba في « حوش » القلعة (١) وتكرر ذلك منه ، في الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة من عام ٩١٩ هجـــرية (التــــاسع عشر فبراير عام ١٥١٤ ميلادية) عندما عاد الى القاهرة بعد غيبة ثمانية أيام كان يرتدي هــــو وامراؤه عمائم من صنف التخفيفة الصغيرة وأردية من السلاري بصمور(٢) وفي أثناء موكب سلطاني في شهر صفر من عام ٩٢٠ هجرية كان يرتدي « تخفيفة صغيرة ملساء » ، وسـلاري من الصوف الأبيض « بوجه من الصوف الأخضر » (٣) ويتضح من ذلك أنه كان يوجد بالضرورة نوعـــان من العمائم التي من نوع « التخفيفة » الصغيرة ، حيث انه اصطلح أحيانا على اتخاذ نوع مستدير منها يطلق عليه اسم « تخفيفة صغيرة مدورة » Takhfîfa Saghîra Mudawwara ، فمثـــلا ، عنـــــد وصـــــول السلطان الغوري من مدينة الاسكندرية في الخامس عشر من شـــهر ذي الحجـــة عام ٩٢٠ هجرية (٣١ يناير من عام ١٥١٥ ميــــلادية) ، كان السلطان يلبسها بدلا من القلنسوة — الكلفتاه Kalaftâh مع « كاملية » Kâmiliyya من المخمــــــل الأحمـــــر ، مبطن بصـــــمور يرتديها فوق ثيابه (٤) ، وعندما غادر القاهرة في شهر ذي القعدة من العام نفسه ، كان يرتدي رداء عبـــــارة عن « ســـلاري » Sallâri بنفسجي اللون ، مصـــنوع من قماش خشن من الصـــوف من نوع الجوخ Jûkh ومبطـــن بفـــراء « الوشــــــق » Washaq ووضــــــع فوق رأسه تخفيفة صغيرة مدورة بدون « قرون » (٥) وفي مناسبة أخرى كرم قانصوه الغوري أحد الأمراء بأن وضع على رأســـه تخفيفة « بقرون طويلة » من خاصة متاعه ، ثم ألبسه « ســــلاري Sallârî من فراء الوشق خلعه من فوق كتفيه (٦) • وهنا يجب ألا نظن أن « التخفيفـــة » كان يرتديها فقط سلاطين الشراكسة الذين جاءوا في عهد متأخر (٧) ، بل كان يرتديها من قبلهم السلطان برقوق (٨) أيضا •

(١) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٣٢ ، سطر ٤ وما بعده •

(٢) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٥٧ ، سطر ٢ •

(٣) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٦٧ و ٣٦٨ سطور مختلفة •

(٤) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٢٣ ، سطر ١٨

(٥) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٤١٤ ، سطر ٥ وما بعده •

(٦) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ١٠٠ ، النصف الأسفل وما بعده •

(٧) كان الملك العادل طومانباي يرتديها مع سلاري أحمر اللون مصنوع من «الشوح» Shuh ومبطن بفراء السمور ، انظر ابن اياس ، الجزء الثـــالث (تحقيـــق كاله ومصطفى) صفحة ٤٥١ ، سطر ٩ •

(٨) ابن اياس ، الجزء الأول ، صفحة ٢٧٤ ، سطر ٣ •

ونشاهد « الناعورة » فى عدة صور من رسم فنانى ايطاليا ، ويمكن رؤية أفضلها فى صورة « حفل استقبال سفير من البندقيـــة » وهى من مقتنيات متحف اللوفر (لوحة رقم ١) • ولكن فى أحد أعمال منزويتى Mansueti (١) ، وهى صـــورة « معجزة القديس مارك » St. Mark أو فى صورة « اقتياد القديس مارك خارج الكنيس » Synagogue (٢) وكذلك فى أعمال عديدة لكارباتشيو (٣) Carpaccio نرى العمامة وقد اتخذت أشكالا تبعد أكثر فأكثر عن الأصل • والقلنسوة التى يرتديها رفيقا السلطان فى الصورة الخاصة بالحفل المشار اليه(٤) ، ليست هى التخفيفه الصغيرة •

بل جرت العادة ، أو حتى فى مناسبة الاحتفالات الرسـمية ، أن يرتدى ســلاطين المماليك الكلفتــاة Kalaftâh كغطــاء للرأس (٥) ، الى أن تخلوا عنها فى باكورة القرن التاسع الهجرى ، حينما ركب الملك الناصر فرج ونزل من القلعة وعبر القاهرة وهو لا يرتدى الكلفتاة Kalaftâh أو « القمــاش » Qumâsh (٦) وســمح لأمرائه أن يحـــذوا حذوه • وبعد ذلك بزمن عاد اليها المؤيد شيخ وخلفاؤه • وجرت الأمور على هـذا المنوال الى عام ٩٠٢ هجرية حتى حضر محمد بن قايتباى صلاة الجمعة فى تخفيفة صغيرة بدلا من الكلفتاة ، فأظهر الأمراء فى الحال استياءهم من ذلك (٧) •

وأما من حيث الأهمية الخاصة بتغيير غطاء الرأس فيتضح ذلك بجلاء عندما قرر محمد بن قلاوون حلق شعر رأســه فى عام ٧١٥ هجـــرية (الموافق ١٣١٥ ميلادية) بعد عودته من تأدية فريضة الحج ، فحتى ذلك

---

(١) مقال يعقوب ارتين باشا ، عن الصورتين الايطاليتين الرابعة والخامسة اللتين تحتويان على رنوك مصرية من القرن الخامس عشر (فى مجلة المجمع المصرى) سنة ١٩٠٩، الكراسة الخامسة ، المجلد الثالث ص ٩٧ ــ ١٠٠ ، اللوحتان ١ ، ٢ وانظر فان مارل ، مدارس التصوير الايطالية سنة ١٩٣٥ ، الجزء السابع عشر ، شكل ١٠٧ •

(٢) فان مارسل ، المصدر نفسه ، شكل ١٠٨ •

(٣) لدويج مولنتى فيتورى كارباتشيو ، ميلانو سنة ١٩٠٦ : انتصار القديس سان جورج (اللوحة المواجهة صفحة ١٨٢) الملك اجاكس يعمد بواسطة القديس سان جورج ــ انظر ص ١٨٦ ــ موعظة القديس سان ستفن ــ انظر صفحة ٢٤٨ ــ عشرة آلاف شهيد ــ انظر صفحة ٢٨٤ والصلب ، انظر صفحة ٢٨٦ •

(٤) استقبال سفير البندقية ــ لوحة رقم ١ من هذا الكتاب •

(٥) ابن اياس الجزء الأول ، صفحة ١١٧ من أسفل ، صفحة ١١٨ من أعلى •

(٦) النجوم ، طبعة بوبر Ed. Popper الجزء السابع ، صفحة ١١٦ سطر ٦ ــ ١٥

(٧) ابن اياس ، الجزء الثالث (تحقيق كالة ومصطفى) صفحة ٣٣١ سطر ٥ وما بعده •

الحين كان المماليك وسلطانهم - كالمغول بوجه عام - قد اعتادوا ترك شعورهم ترسل طويلة « بارخاء ذوائب الشعر » (١) .

والواقع أن بداية فصول السنة كانت تتميز باستعراض خاص وبتغيير الزى رسميا من جانب السلطان وقد قام مؤرخو البلاط الجركسى بتسجيل ذلك بدقة وأمانة . فعند ابتداء فصل الصيف بين الحادى عشر والسادس والعشرين من شهر مايو ، كان من المألوف أن يرتدى السلطان ملابسه البيضاء ويفتتح موسم لعبة البولو (الكرة والصولجان) Polo season وهو يلبس البياض (٢) . وعند ابتداء فصل الشتاء ، بين السادس والتاسع والعشرين من شهر نوفمبر ، جرت العادة أن يخلع السلطان ملابسه الصيفية ويرتدى الصوفية (٣) . ولكن الأبيض لم يكن لونا مقصورا على ملابس السلطان الصيفية وحدها فقد حدث عندما تولى محمد ابن قلاوون الملك للمرة الثالثة ، فى شهر يناير من عام ١٣١٠ ميلادية أراد التظاهر بالقوة وشدة البأس ، فظهر فى دمشق وهو يرتدى رداء عبارة عن قباء Qabâ' أبيض وعمامة بيضاء (٤) . وكان من خصائص زى السلطان المميزة (حزام) بند Band عبارة عن شريط من الحرير الأصفر ، اذ كان من المألوف أن يلعب به البولو وقد أشار ابن اياس الى أنها كانت لفتة خاصة من قبل قايتباى عندما سمح للملك المنصور عثمان بن جقمق بأن يتمنطق هو أيضا بحزام من النوع نفسه ، حينما اشترك فى هذه اللعبة عقب عودته من مكة (٥) .

---

(١) السلوك ، الجزء الثانى ، صفحة ١٤٨ سطر ١٦ وما بعده .

(٢) التبر ، صفحة ٢٠٠ سطر ٤ ؛ ابن اياس الجزء الثالث (تحقيق كاله مصطفى) صفحة ١٨٨ ، سطر ٢ فى شوال من عام ٩٠٥هجرية (ابتداء من ٣٠ ابريل سنة ١٥٠٠ ميلادية) فى عيد الفطر ، خلع السلطان الظاهر قانصوه ملابسه الصوفية وذهب الى الصلاة وهو يرتدى عباءة من الحرير الأبيض ، وحذاء أبيض برقبة « خف » Khuff وكانت نعاله مصنوعة من الجلد البلغارى الأبيض ، ومعدة بمهاميز مكفتة بالفضة وكانت طاقية (قبع) Qub الكلفتاه مصنوعة من الصوف الأبيض ، حتى جواده وسرجه الفضى كان لونهما أبيض . انظر اياس الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٤٢٣ ، سطر ١٥ وما بعده .

(٣) التبر ، صفحة ١٢ ، سطر ٩ حوادث ، صفحة ٥٠٩ ، سطر ١٧ وما بعده ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ١٠٠ ، سطر ١١ وما بعده .

(٤) البرزالى ، شعبان سنة ٧٠٩ هجرية ، المقريزى السلوك ، الجزء الثانى صفحة ٦٧ سطر ٣٠ وبه تفاصيل أخرى : عباءة بيضاء بها « خطوط » سوداء ، مبطنة بفراء « السنجاب » Sinjab الرمادى .

(٥) ابن اياس ، (تحقيق كاله ومصطفى) ، الجزء الثالث صفحة ٣٦ سطر ٦ .

وعلى كل حال ، فان سـلاطين المماليك كانوا يمنحون مواطنيهم وأتباعهم طابعهم الشخصى ويحيطونهم بضروب الرعـاية ، وكذلك كانوا ينتحون هذا المنحى مع شيء من المبالغة ازاء ضيوفهم الأجانب ، وهى وسيلة من وسائل العيش تبهر الأبصار لما تحتويه من مظاهر الأبهة أو الفخامة • ورغم أن الحاكم كان هو المسئول ــ دون سواه ــ عن اتخاذ الملابس الفاخرة والجياد الفارهة والمنازل الفخمة وبالجملة كان هو المسئول عن رفع مستوى الطبقات العليا ، الا أنه عرف عن البعض ــ مثل السلطان محمد بن قلاوون ــ الزهد فى الترف والتقشف فى الملبس • فقد روى المقريزى عن هـذا السلطان أنه كان من المألوف ألا يتكلف حزامه أى « الحياصة » Hiyâsa أكثر من مائة درهم فضة ، وكانت الفضة التى موهت بها سروجه تساوى القيمة نفسها ، وفوق ذلك كان يرتدى « عباءة » 'Abâ' بسيطة من الصوف التدمرى ، أو السورى (١) •

وقد أثبت ذلك رحالة معاصر من مدينة كولونى Cologne ، ولو أن التفاصيل التى أشار اليها يبدو أنها تناقض ــ نوعا ما ــ عرضـه التفصيلى الشامل(٢) • ولم يكن أسلاف محمد بن قلاوون من أهل التقوى المتزمتين مثله (٣) ، كمـا لم ينهـج خلفـاؤه نهجـه • وكان برقوق

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٢٨ ، سطر ١٠ ــ ٩ من أسفل •

(٢) بكل تأكيد يجب أن نضع فى الحسبان أنه لو كان قد رأى السلطان حقيقة بنفسـه ، وأنه لم يمدنا بمجرد ما نقل اليه وحسب ، فانه يكون سعيد الحظ بحضوره مأدبة كان كل شخص فيها بكامل زيه الرسمى الفخم ، ولكن لا يوجد أى شك بخصوص تمضيته لبعض الوقت فى القاهرة قرب نهاية حياة محمد بن قلاوون ، فقد وصف السلطان فى العبارات الآتية : « ولم تكن ملابسـه (السـلطان محمد بن قلاوون) على درجة كبيرة من الفخـامة كمـا كان رداؤه مصنوعا من الحرير الابيض ، وكانت تتخلل نسـيجه اليدوى خيوط منسـوجة من الذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة • ويلتف حول سـاقيه رداء قصـير رقيق مزين بالذهب » (عن ترجمة الدكتور Ginther Hänse أستاذ الأدب الألمانى الوسيط بآداب القاهرة) •

«Ind syne cleyder.... wairen nyet altze ryche, ind wairen van wyssen sydem gewande, ind da gienckgen durch bairen van goulde, ind wairen alle umb besat mit edelem gesteyntze ind manicher hand Wys. syn hamone ind syn doich, dat he umb dat heuft hatte, dat Was uyssmaiszen cleyne ind subtyll, ind van cleyme syden ind van goulde gemacht.» Cf. Röhricht und meisner. 'Niederrheinischer Berich», p. 36.

(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، صفحة ٢٢٨ ، سطر ١١ من أسـفل يؤكد ذلك ولكن بدون تحقيق أو اثبات المقريزى نفسه (المصدر نفسه ، صفحة ٩٨ سـطور مختلفة وصفحة ٩٩ سطر ٥) أشار الى مجهود السلطان قلاوون والسلطان خليل بن قلاوون من أجل النهوض بمستوى الملابس •

قليلا ما يكبح جماح نفسه ليصدها عن الميل الى مظاهر البذخ والترف ، فامتنع عن ارتداء الحرير (١) ، ولكن هذه كانت مجرد قيود فرضها على نفسه بنفسه اختيارا ، فقد حدث مثلا فى عام ٧٨٩ هجرية أن تزيا بزى رجل صوفى (٢) ، ومن بين الجراكسة الآخرين كان اهمال جقمق العناية بأمور الملبس موضع وصف ، ثم أصبح محل تقدير بعد ذلك (٣)من المؤرخ ابن تغرى بردى الذى روى : أن جقمق لم يرتد الأحمر بتاتا « منذ أن علم بكراهيته » دينيا (٤) وأضاف مؤرخنا أنه منذ أن نصب جقمق سلطانا شوهد مرة واحدة فقط يلبس قلابات « كاملية » Kâmiliyya مبطنة بفراء السمور ولها قلابات من فراء السمور كذلك · وكان طاقم ملابسه الصيفية لا تزيد قيمته عن عشرة دنانير مصرية · بيد أن كثيرا من السلاطين الآخرين من « الجراكســـــة » ، انكبوا على أنواع الترف ، فقـــد حمل افراط خشقدم فى البذخ والتنعم المؤرخ ابن اياس على الاشارة اليه بالذات، اذ كان يستخدم السمور الأسود Sammûr Aswad كفراء لملبسه (ولم يكن هذا النوع معروفا منذ أمد طويل قبل أيام هذا المؤرخ) ، وكان عنده قباء من الصوف ، مبطن بمخمل أحمر من كفا Kaffa ، وكان عند ركوبه يستعمل « مهـــاميز » Mahâmîz و « ركاب » Rikâb من ذهب خالص (٥) كذلك كان حب قانصوه الغورى الشخصى لحياة البذخ أمرا له شهرة واسعة ، فقد نبذ الحزام « الشد » Shadd المتخذ من القطن البعلبكى واستبدل به حزاما « حياصة » Hiyâsa من الذهب الخالص (٦) ، وكان يزين أصابعه بخواتم مرصعة بالأحجار الكريمة (٧) ، مما دعا ابن اياس الى الحكم عليه بأنه خليع ومخنث (٨) · ومما لا شك فيه أن العادة قد جرت

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٢٨ ، س ٩ (من أسفل) ·

(٢) ابن الفرات ، الجزء التاسع ، صفحة ١٥ ، سطر ١٥ ·

(٣) النجوم ، طبعة بوبر Popper الجزء السابع ، صفحة ٢٤٥ ، سطر ١٠ وما بعده ·

(٤) من الصعب التخمين بما دفع السلطان الى التفكير فى ذلك · وكان لبس اللون الأحمر كثير الشيوع بين أمراء المماليك وهيئة كبار رجال الدين كما يستدل على ذلك من عدة فقرات تصف ثياب تشريفاتهم · سلاطين المماليك ، الجزء الثانى (أ) صفحة ٧٠ ، حاشيه ٨٦ ·

(٥) ابن اياس الجزء الثانى ، صفحة ٨٢ ، سطر ٩ — ٧ « من أسفل » ·

(٦) ابن اياس ، الجزء الخامس ، صفحة ٨٦ ، سطر ٧

(٧) ابن اياس ، الصفحة نفسها — سطر ٨

(٨) ابن اياس ، المصدر نفسه ٣٦ ، صفحة ٨٨ سطر ٩ وما بعده ·

بأن يرتدى السلطان أثناء الحملات العسكرية نفس الزى المخصص للميدان والذى يرتديه أمراؤه ، ولم يكن من المهم أن يرتدى السلطان درعا أو يرتدى ملابسه المعتادة أثناء ذلك . ومن حين لآخر كان يشار عرضا الى درع السلطان فى الأخبار التاريخية وعلى كل حال – وبقدر ما أذكر – لم يرد وصفه فى أى مكان على أنه من نوع ثمين على وجه الخصوص . وفى أثناء عرض عسكرى ، حدث أن ركب بيبرس وهو يرتدى « قباء أبيض لاغير» ولكن يجب أن نضع فى الحسبان أن ذلك قد حدث فى نهاية يوم حار من أيام الصيف (أول ذى القعدة من عام ٦٦٢ هجرية – الخامس والعشرين من شهر أغسطس من عام ١٢٦٣ ميلادية) (١) ، وكان قميصه الذى يرتديه من الزرد ، وذلك فى عام ٦٧١ هجرية (الموافق ١٢٧٢ – ١٢٧٣ ميلادية) ، وقد أشير اليه باشادة مقتضبة على أنه طويل أى « زردية مسبلة » Zardiyya Musbala (٢) ، وأعطيت تفاصيل مناسبة لقمصان أخرى كثيرة أفضل وهى من النوع نفسه ، وكان يلبسها أمراء عاديون . وقد ورد أنه فى عام ٦٧٣ هجرية (الموافق عام ١٢٧٤ – ١٢٧٥ ميلادية) ، ارتدى بيبرس خوذة مذهبة ، وكذلك فعل أمراؤه فى هذه المناسبة (٣) . ووصف درع السلاطين الجراكسة التى كانوا يتقلدونها أثناء المواكب الملكية على أنها زردية داودية Zardiyya Dâwûdiyya وهى عبارة عن قميص من الزرد له شهرة صناعية ، كان يضعه السلطان تحت ملابسه لتوفير أسباب السلامة والطمأنينة ، ولم تعط عنه تفاصيل أكثر من ذلك (٤) . وعلى سبيل المثال ، كان قايتباى مرتديا « سلارية » Sallâriyya أثناء زيارته التفتيشية المفاجئة فى سوريا وفلسطين (٥) .

وعند خروج سلاطين الجراكسة للصيد ، كانوا يؤدون واجبهم الدينى ، أو يعتكفون فى خلوة داخل غرفهم الخاصة ، ويتظاهرون قليلا بمظهر التشامخ والأبهة المألوفتين ، مثلما كانوا يفعلون عند خروجهم للحملات العسكريه وفى عام ٦٦٨ هجرية (١٢٦٩ – ١٢٧٠ ميلادية)

---

(١) السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٥١٧ ، سطر ١٧ ، ثم راجع أيضا السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٥٨٦ ، سطر ٨ ، حيث يذكر بوضوح « بدون درع » .

(٢) السلوك ، الجزء الأول ، طبعة زيادة ، صفحة ٦٠٨ سطر ١٢ .

(٣) ابن الفرات ، الجزء السابع ، صفحة ٢٨ وما بعدها .

(٤) المقصد ، مخطوط بمكتبة باريس ، عربى رقم ٤٤٣٩ ورقة ١٢٢ ، س ٢–٤ (اقتبس فى سلاطين المماليك ، الجزء الأول (بيلا) صفحة ١١٣ ، حاشية ١٣٨) .

(٥) ابن الجيعان ، طبعة لانزون Lanzone صفحه ١١ ، سطر ٩ وما يليه رجمة ديفنشير Devonshire صفحة ١٨ (من أعلى الصحيفة) .

أدى بيبرس فريضة الحج وهو يرتدى عباءة 'Abâ' لم يخلعها طوال العشرين يوما التى قضاها فى السفر من الكرك Kerak الى حلب Aleppo ومنها الى تل العجول Tell Al-'Ajjûl (١) أما خليل ابن قلاوون فلم يتقلد سيفا عند الصيد بل كان يتمنطق فقط بحزام بسيط « كان وسطه مشدودا بالبند » (٢) وكان من المألوف أن يزور الملك الناصر حظائر جياده وهو يرتدى « القمجون » Qamjûn وهو عبارة عن قميص قصير بأكمام قصيرة ، مصنوع من « الجوخ » Jûkh بدون بطانة أو بدون قماش يكسو وجه القميص (٣) واذا أخذنا قول « شاو جو — كواه » Chau Ju-Kua بأن السلطان كان يرتدى عمامة ، وسترة وأخفافا سوداء برقبة طويلة (٤) ، فان هذا القول لا بد أنه كان ينطبق ، بكل تأكيد ، على المماليك الأوائل فقط .

وهناك نقطة هامة خاصة بالناحية التقديرية لملابس السلطان ، وهى تتعلق بمسألة ما اذا كانت تلك الملابس تتفق أولا تتفق وأحكام الدين ، ونلاحظ من حين لآخر أنه كان يمتدح حاكما لامتناعه عن ارتداء الملابس « المحرمة » ، أو حتى الملابس المصنوعة من خامات أجازتها أحكام الشريعة المحمدية ، ولكنها ظلت تعتبر من أدوات الترف ، ومن ثم فانها كانت تعتبر غير مرغوب فيها ، وعلى وجه العموم ، فان أكثر سلاطين المماليك تقوى لم يكن يعير غير اهتمام ضئيل لأحكام الدين الداعية الى التقشف .

---

(١) السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٥٨٢ ، سطر ١٢ ، صفحة ٥٨٣ ، سطر ١٩ .

(٢) الكتبى ، الجزء الأول ، صفحة ١٥١ ، سطر ٦ (من أسفل) .

(٣) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٨ ، سطر ٢٨ وما يليه .

(٤) ترجمة هرث وروكهل Hirtth and Rockhill ، سانت بطرس بورج St. Petersburg ، عام ١٩١٢ ، صفحة ١٤٤ .

الأرستقراطية العسكرية



لما كان موضوع هذا البحث يختص بملابس المماليك ، لذلك سنوجه اهتمامنا فقط الى الحديث عنها ٠ وان كان لزاما علينا أن نضع فى الحسبان أن نقطة التحول الحقيقية فى عادات الملبس فى مصر وسوريا فى العصور الوسطى انما حدثت قبل ذلك بأكثر من قرن أو بالأحرى عند مجيء الأيوبيين ٠

والواقع أنه كان من اليسير التعرف فى كل الأوقات على أمير شرقى من زيه ، الذى يشتمل على القلنسوة (١) ، و « القباء » Qabâ' (٢) والسيف (٣) ، وبمرور الزمن كانت التفاصيل تتغير تغيرا عظيما داخل هذا الاطار ٠ اذ كانت المؤثرات الأجنبية الدخيلةتعبر عن نفسها تلقائيا ، وكلما حدث تغيير فى مقومات المجتمع المملوكى ، بالانغماس فى الترف، ازداد شيوع استعمال المواد النادرة والكماليات النفيسة الى أن تبدأ مرحلة انهيار اقتصادى ، فتحدث تغييرات أخرى ، يترتب عليها حينئذ حتمية استعمال مواد أكثر رخصا ٠

وكان أمراء المماليك يرتدون فوق « القميص » و « اللباس » (٤)

---

(١) بشأن النموذجين الرئيسيين لقلنسوة الأمير المملوكي ، فانهما كانا يتمثلان فى « الشربوش » Sharbûsh « والكلوتة » Kalauta أنظر صفحة ٢٧ ـ ٢٩ من هذا الكتاب ٠

(٢) وبخصوص القباء عامة (والجمع أقبية) ، انظر قاموس الملابس لدوزى ، ٣٥٢ وما بعدها وانظر ما جاء عن هذه المادة فى ملحق القواميس لدوزى ٠

(٣) الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٢١٧ « وهى مرقمة خطأ ٢١٦ » ، سطر ٢ وما بعده ٠

(٤) وبخصوص « اللباس » ، انظر من بين المصادر الاخرى أبو الفداء غير مؤرخ ٦٨٤ هجرية ، Annales الجزء الخامس ، صفحة ٨٠ سطر ٤ (من أسفل)٠

الأقبيـــة التترية Al-Aqbiya At-Tatariyya (١) ومن فوقهـا التكلاوات Taklâwât (٢) ثم يرتدون فوقها « الأقبية الاسلامية » Al-Aqbiya Al-Islamiyya وعندئذ يشد عليها السيف من الجـانب الأيسر ، أما « الصـــولق » Saulaq و « الـكزلك» Kizlik فيشدان الى الجانب الأيمن (٤) .

وكما يستدل من أسماء « المعاطف التترية » نفسـها ، أن هـذا الثوب كان من أصل أجنبى (٥) ، وقد سمى كذلك ، لأنه بدلا من عمل الشقة المستقيمة التقليدية للأقمصة التى كانت تلبس فى عصر الفاطميين كان للأقبية التترية كمران تلف الصدر من اليسار الى اليمين (وكان هذا بعكس الأتراك ، الذين كانوا يفضلون الكمر الذى يلف الصدر من اليمين الى اليسار) (٦) وكان القباء يصنع من الصوف ، والأطلس ، والحرير

---

(١) كاترمير Quatremère تعليقات خاصة بمسالك الأبصار, Notices et Extraits, 1838, T. XIII, p. 213

(٢) ويظهر أن هذا الثوب كان يلبس فى الهند ومصر فقط ، ولم تكن مواصـفات المقريز والقلقشندى تشير بالتأكيد الى أنه كان يلبس فوق القباء ، ويتملك المرء اغراء كثير ليتبين ما اذا كان هذا التعبير خطأ صدر عن ناسخ ، أو خطأ مطبعى لكلمة كلاوات Kalâwât وفضـلا عن ذلك فانه فى الخطط الجزء الثـانى ، صفحة ٢١٧ ، سـطر ٢ تقرأ الكلمة بصـعوبة فى النصـوص ، هـذا ولو أن كاترمير Quatremère Notices صـفحة ٢١٣ ، حاشـية ٤ أوردها مرات كثيرة على أنهـا « تكالوات » Takâlawât انظر مسـالك الأبصـار ، ترجمـة كاترمير ، تعليقـات Notices صفحة ٢١٣ والخطط الجزء الثانى ، صفحة ٢١٧ ، سطر ٢ وما بعده . صبح الأعشى الجزء الرابع صفحة ٤٠ ، سطر ٦ .

(٣) أنظر الفقرات الواردة فى حاشية ٣ وفى أسفل صفحة ٤٣ من هـذا الكتـاب

(٤) صبح الاعشى ، الجزء الرابع صفحة ٤٠ سطر ٧ ومن أجل الحصـول على تفاصـيل خاصة « بالصـولق » Saulaq انظر الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٨ ، سطر ٣ (من أسفل) .

(٥) ومن وجهة نظر كثير من المعارضـين يصـبح من الصـعب تفهم لماذا أطلق عليه « رايسك » Reiske فى تعليقة فى حوليـات أبى الفداء . الجـزء الرابع صفحة ٦٦٧ حاشية ١٢٤ ، ودوزى Dozy فى ملحق القواميس اسم « الثـوب الفارسى »

(٦) قال بلان كاربينى Plan Carpini

A latero vero sinistro una etin dextris tribus ligaturis nectuntur, et in latere et in sinistro usque ad brachiale sunt scissae. Pellicia cuiscunque sunt generis in eundem modum formantur (in Texts and Versions of John de Plano Carpini and William de Rubruquis, Ed .by C. Raymond Beazley, p. 46). Rubroeck: In hoc enim differunt Tartari a Turcis: quod Turci ligant tunicas suas ad sinistram, Tartari semper ad dextram (ibid. p. 154).

أو القطن البعلبكى (١) وكان لونه اما أبيض أو مزين بأشرطة باللونين الأحمر والأزرق ويطلق عليه اسم « المشهر » Mushahhar (٢) ، وله أكمام ضيقة ، وهـذا يماثل ما تحـدث عنـه المقريزى من الملابس الفرنجية Frankish التى كانت موجودة فى عصره (٣) • وبهـذه المناسبة ، فان كلمة « فرنجى » كانت تعنى بوضوح « النسـبة الى البندقيـة » « بندقى » وهذا راجع الى أن البنادقة كانوا معروفين تماما فى أنحـاء الامبراطورية المملوكية أكثر من أى شعب أوربى آخر • ولسوء الحظ لا نعرف ما اذا كانت تلك الأكمام تطابق النموذج الأصلى الفرنجى من جميع الوجوه ، أو كانت تشابهه فقط من حيث الضيق ، لأنه فى خلال القرن الثالث عشر الميلادى ، حرم قلاوون هذه « الموضة » الأجنبية (٤) • وليس لدينا فى الواقع رسـم مصور واضح للقباء قبـل بداية القرن الرابع عشر • بل يلاحظ ــ وهذا أيضا على جانب كبير من الأهمية ــ أنه منذ ذلك الوقت والى ما بعده ، والقباء يبدو ذا أكمام ضيقة ومن ثم لا بد أن يكون الاصلاح الذى فرضه قلاوون ، وهو الخاص بتوسيع الأكمام اصلاحا قصير الأجل ، ولهذا السـبب ، يظهر ــ بكل تأكيد ــ أن الأكمام الضيقة قد عرفت فى الشرقين الأدنى والأوسط منذ زمن بعيد ، قبل أيام المقريزى ، أو قلاوون • بل كان لديهم كذلك الأكمام الفوقانية المتسعة التى ــ اذا ــ انبسطت ــ تمتد الى ما بعد أطراف الأصابع بمسافة بوصات كثيرة ، وقد جرت العادة أن تظهر وكأنها تنتهى عند الرسـغ ثنيات متعددة ، ومع ذلك كان من المألوف ارتداء معطفين أو ثلاثة فوق القباء (٥) • اذ يكون فى الامكان الاكتفاء بالثوب « التحتـانى » فقط • كما نقرأ عن السلطان الملك الأشرف خليل أنه قد أمر أمراءه بارتداء

---

(١) انظر قاموس الملابس لدوزى ، صفحة ٣٥٤/٣٥٥ وفقرات مختلفة وردت هنا فى هذا الفصل •

(٢) يوجد تبرير بسـيط لترجمة التعبير بأشرطة باللونين الأحمر والأزرق الذى أورده دوزى ، فى ملحق القواميس ، صفحة ٧٩٦ وهو تبرير يوجد فى كل النصوص التى أوردها وفى صور الأقبية المملوكية التى فى حوزتنا •

(٣) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٨ ، سطر ٥ وما يليه (من أسفل) به كلمة مشـجرة Mushajjara ولكن دوزى قـرأها « مشـهره » Mushahhara فى قاموس الملابس ، صفحة ٣٥٤ ولكن الرجوع للمخطوط أفضل بكثير وان يكن صعب المنال •

(٤) الخطط الجزء الثانى ، صفحة ٩٨/٩٩ •

(٥) انظر اللوحات رقم ٢ ــ ٥ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ رقم ٢ ، ٢٠ رقم ١

قلانس «كلوته» مطرزة أى «زركش» Zarkash (وذلك بدلا من تلك المصنوعة من الجوخ) وقباء من الأطلس (١) ، حتى يمكن تمييز أمرائه عن الأمراء الآخرين ، أو كما حدث فى عام ٦٦٢ هجرية ، عندما أصدر ملك أرمينيا أمره بصنع ألف « قباء تترى » Qabâ' Tatarı وألف قلنسوة سراقوج Sarâqûj (٢) ليرتديها جنوده الأرمن ، حتى يكونوا فى هيئة التتر فيتسنى لهم بذلك دخول سوريا دون أن يتنبه اليهم أحد (٣) ، أو كما حدث عقب المناداة بأحمد بن اينال سلطانا ، أن ارتدى الأمراء القلانس « الكلوته » والمعاطف التترية البيضاء « طبقا لما جرت عليه العادة (٤) ، أو كما حدث فى شهر شوال من عام ٩١٢ هجرية عندما سار السلمان ـ الأوجاقيه ûjâki-pages فى موكب شعبى صحبة الوزير من القلعة وهم يرتدون المعاطف التترية المصنوعة من الحرير الأصفر (٥) » .

وكان من المألوف أن يرتدى الأمراء المصريون والسوريون فوق هذا المعطف القباء الاسلامى (٦) وقد ظن كاترمير Quatremère (٧) ودوزى Dozy (٨) من بعده أن هذا الرداء له طريقة فى التفصيل عربية مميزة ، كما أنه يخالف الأقبية التترية والسلارية (٩) . ولكن لا يوجد ما يؤيد ذلك ـ وعلى قدر ما أذكر ـ ليس هناك من المؤرخين المسلمين من تعرض لوصفه بالتفصيل .

وعلى أية حال « فالأقبية المفتوحة » التى أدخلها محمد بن قلاوون(١٠) مع كثير من طرائق التفصيل والحياكة الفخمة ، يمكن بحثها مع « الأقبية

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ ، سطر ٣ .

(٢) من أجل السراقوج Sarâqûj انظر أسفل صفحة ٥٦ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٣) السلوك ، القسم الأول ، صفحة ٥١١ ، سطر ٦ وما يليه .

(٤) النجوم طبعة بوبر Popper الجزء السابع ، صفحة ٦٤٥ سطر ١ وما بعده .

(٥) ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ١٠٤ ، سطر ١٣ .

(٦) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٢١٧ ، سطر ٢ ، صبح الأعشى ، الجزء الرابع صفحة ٤٠ سطر ٦ ، قاموس الملابس (دوزى) صفحة ٣٥٩ .

(٧) Notices صفحة ٢١٣ ، حاشية ٢٥ والنص الأدبى الوارد بها .

(٨) قاموس الملابس لدوزى ، فى المواضع الواردة به .

(٩) انظر بشأنها تفصيلات أكثر من ذلك فى صفحة ٤٤ من هذا الفصل .

(١٠) ابن اياس الجزء الأول صفحة ١٧٣ ، سطر ١٦ .

الاسلامية Islamic Coats كموضوع مفتوح للمناقشة ، وكان أمراء الطبقة الرفيعة يزخرفون أكمامهم بالأشرطة المطرزة Mutarraz (١) ويزينونها بالفراء ، وسنقف بطريقة أفضل على ما لهذا « القباء » من مظهر فخم اذا لاحظنا الثمن الذى كان يدفع عادة لشراء فراء فى تلك الأيام (٢) فقد حدثنا ابن بطوطة أنه فى سنة ٧٣٢ هجرية أن جلد السمور Sammûr كان يساوى ٤٠٠ دينار هندى (٣) ، وفى الهند كان جلد القاقم Qâqum بأكثر من ١٠٠٠ دينار ، وهذا المبلغ يساوى ٢٥٠ دينارا مغربيا من الذهب (٤) • وكان يشد حول المعطف حزام فقط (٥) ، وحسبما رأينا سابقا السيف يلبس الى الجانب الأيسر ، ويوضع كيس من الجلد يطلق عليه اسم « صولق » Saulaq والكزلك Kizlik معا على الجانب الأيمن (٦) • وقد أدخل هذه (الموضة) غازى بن زنكى ، شقيق نور الدين زنكى حينما خلفه على عرش الموصل (٧) •

وبعد فترة من الزمن شرع الأمراء وأيضا « أعيان الجند » ، فى ارتداء « أقبية قصيرة الأكمام » فوق القباء ، ولكن أكمامها أكثر اتساعا

---

(١) من أجل مزيد من التفاصيل ، انظر صفحة ٦٠ وما بعدها من هذا الفصل •

(٢) الخطط ، الجزء الثانى سطر ١١ (من أسفل) وقد وردت مترجمة فى قاموس الملابس لدوزى ، صفحة ٣٥٧ وما بعدها والحاشية •

(٣) ابن بطوطة ، الجزء الثانى صفحة ٤٠٢ ، سوفير Sauvaire, Matériaux صفحة ٥٠

(٤) ابن بطوطة ، الجزء الثانى ، صفحة ٤٠١ ، سوفير Sauvaire, Matériaux صفحة ٣٠٤ ومن المهم للغاية ملاحظة أن ابن بطوطة قد أشار بالذات الى أمراء الصين ، وتجار بلاد فارس والعراق نظرا لارتدائهم فراء السمور (صفحة ٤٠٢) ، وتغافل كلية عن ذكر المماليك مع أنه لا بد أن يكون قد رآهم فى الغالب وهم يرفلون فى أقبية مبطنة أو مزينة بالفراء •

(٥) انظر ، أسفل ، صفحة ٤٦ وما بعدها ، أنظر « منطقة » Mintaqa وحياصة Hiyâsa

(٦) انظر الفقرات الواردة فى سلاطين المماليك ، الجزء الثانى (أ) ، صفحة ١٥٢ حاشية ٤٠ ، بالاضافة الى ذلك • انظر صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٠ ، سطر ٧ والمصادر الواردة فى المقريزى ، الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٨ ، سطر ٣ (من أسفل) • وصفحة ٢١٧ سطر ٩ •

(٧) صبح الأعشى الجزء الرابع صفحة ٤٠ ، سطر ٨ وما بعده (نقلا عن أبى الفداء)•

من أكمام القباء التحتاني الضيقة (١) ، وانى لأجازف – مع التحفظ الكلى – بأن أومىء الى أنه من المحتمل أن يكون هذا القباء مطابقا تماما لذلك الذى أدخله « سلار » **Sallâr** (٢) ، نائب السلطنة فى عصر محمد بن قلاوون وبيبرس الجاشنكير . ووفقا لما ورد فى نصوصنا فان هذا القباء الذى يطلق عليه اسم «سلارى» sallârî أو « سلاريه » Sallâriyya (٣) ، يطابق معطفا عرف من قبل «بالبغطاق أو انبغلوطاق» Bughtâq or Bughlûtâq وقد ورد وصفه كأحد الأردية الفوقانية ذات الأكمام الضيقة ، ومن جهة أخرى نشر عنه – على الأقل – مرة واحدة على أنه كان يلبس تحت البغلوطاق الفرجية » (٤) Farajiyya ومنذ زمن طويل قبل سلار ، كان من المألوف توزيع الأردية « البغلطاق » Bughlutâq كجوائز وهدايا ، كما حدث مثلا فى سنة ٦٦٨ هجرية خلال مباراة للصيد عندما قام بيبرس بتوزيع أردية « بغلطاق » مبطنة بفراء السنجاب الرمادى على المشتركين فى المباراة فى مقابل كل غزال يصاد (٥) . وحدث فى عام ٦٧٢ هجرية أن منحت الأردية نفسها الى فرق جنود الحلقة والمماليك البحرية كجوائز فى مباراة لاصابة الهدف (٦) . واذا فرضنا صحة هذا التحقيق فانه يسهل علينا التعرف على السلارى فى عديد من المنمنمات المملوكية ، الموجودة أولا وقبل كل شىء فى صدر نسخة مقامات الحريرى المحفوظة بمدينة فينا بالنمسا (٧) . وكان من المألوف عمل « السلارى » sallâri من ألوان مختلفة ومن خامات

---

(١) صبح الأعشى الجزء الرابع صفحة ٤٠ ، سطر ١٠ وما بعده ، الخطط الجزء الثانى صفحة ٢١٧ ، سطر ٣ وما بعده .

(٢) لا يعرف شىء عن أنواع الملابس الأخرى التى ابتكرها سلار ، ولكن الحقيقة انه لم يبتكرها ، انظر السلوك . الجزء الثانى ، صفحة ٩٧ سطر ٩ ، وابن اياس ، الجزء الأول ، صفحة ١٥٥ ، سطر ٢١ – ٢٣ .

(٣) كاترمير Quatremère سلاطين المماليك ، الجزء الأول (ب) صفحة ٧٥ وما بعدها ، فقد قدم عددا من الفقرات المؤيدة . وكان اسم بغلطاق Bughlutâq يستخدم فى مصر فقط . ويظهر أن ابتكار سلار لا يعنى ابتكار شكل خاص بل يرجع الى تعميمه بين الشعب خلال العصر المملوكى . انظر الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٩ ، سطر ٧ ، قاموس الملابس لدوزى صفحة ٨١ – ٨٤ .

(٤) انظر كاترمير Quatremère سلاطين المماليك ، الجزء الأول (من أسفل) صفحة ٧٥ وما بعدها ، حاشية ٩٣ .

(٥) السلوك ، طبعة زيادة ، الجزء الأول ، صفحة ٥٨٤ ، سطر ٣ .

(٦) السلوك ، طبعة زيادة ، الجزء الثانى ، صفحة ٦١٢ ، سطر ٩

(٧) Arnold and Grohmann, the Islamic Book, pl. 43

متنوعة ، مثل القطن البعلبكى ، ومن فراء السنجاب الرمادى ، ومن الأطلس ذى الخيوط المعدنية ، وكان يحلى أحيانا بزخارف غنية فخمة ، وأحيانا أخرى كانت تنثر عليه اللآلىء والأحجار الكريمة (١) • وكانت التخفيفة Takhfîfa (٢) مع « السلارى » Sallâri يعتبران كزى تركى صميم ، أى مملوكى ، فكان المملوك يرتدى« زى الأتراك » Ziyy Al-'Atrak على الأقل فى عهد المماليك الشراكسة (٣) •

وكانت العباءة العادية الخاصة بأمير عظيم فى العصر المملوكى الشركسى المتأخر ، هى « الملوطه » Malûta وهى عبارة عن رداء « فوقانى » له ياقة • وفى سنة ٩٠٠ هجرية كان يرتديها أزبك Uzbak عندما كان مغضوبا عليه ، وهى غير مزررة ومعها « تخفيفة » Takhfífa صغيرة (٤) كما كان يرتديها قانصوه الغورى حينما نودى به سلطانا (٥) ، وكذلك فعل الأمير « أزدمر » Uzdamur الدويدار حينما ركب الى القلعة (٦) ، أما المماليك العاديون فكانوا يرتدون أثناء الاحتفالات « الكوافى القندس والملاليط » (٧) ونحو نهاية العصر الشركسى ، كان من السهولة بمكان التعرف على جنود المماليك بواسطة الزمط Zamt الأحمر والملوطه Malûta ، وبالتالى ، فقد أجبروا على ارتدائها بعد فتح السلطان سليم الأول لمصر ، وكان ذلك قرارا بنهيهم عن التزيى بزى العثمانيين ، حتى لا يقدموا على ارتكاب جرائم السلب والنهب ضد الوطنيين فيظن أنهم أتراك (٨) •

بل ان رداء الملوطه كان يرتديه غير العسكريين أيضا ، فقد حدثنا ابن اياس عن الأمير الذى كان يرتدى عادة طاقم ملابس مكونا من « ملوطة » « عمامه » فى شهر شعبان من عام ٩٠٢ للهجرة عندما عين أميرا للصيد وأطلق عليه اسم « أمير شيكار » Amîr Shîkâr

(١) انظر التعليقات الأربعة الأخيرة لدوزى : قاموس الملابس ، صفحة ٨١ — ٨٤ •

(٢) انظر صفحة ٥٦ وصفحة ٣١ وما بعدها من هذا الكتاب •

(٣) ابن اياس ، الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٣٥١ ، سطر ٨ وما بعده صفحة ٣٠٥ سطر ١٤ وما بعده « ملوطة بيضاء مفكك الأزرار » صفحة ٣٠٧ ، سطر ١٣ « ملوطة بيضاء من غير تقييد » •

(٤) ابن اياس ، الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) •

(٥) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٤ ، سطر ١ — ٢ •

(٦) ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ٤١ ، سطر ١٥ ، انظر أيضا ابن اياس الجزء الثانى صفحة ١٣٨ ، سطر ٨ •

(٧) ابن اياس ، الجزء الثالث « تحقيق كاله ومصطفى » صفحة ٤٣٥ ، سطر ١٧

(٨) ابن اياس ، الجزء الخامس صفحة ٢٠٩ سطر ١٦ ، ١٩

أمر بالتزيى بزى تركى ، ويقصد بذلك زى مملوك ، فيرتدى تخفيفة لها « قرون » Horns وسلارى بأكمام قصيرة (١) · ويبدو أن ابن اياس يخصص « للشعب » ارتداء الملوطة ، بينما كان المماليك يرتدون «السلارى»

وقد جرت العادة أن يرتدى المماليك فى الأيام الممطرة عباءات مصنوعة من خامة خشنة لها وبر يطلق عليها اسم « جوخه » (Jûkha) وكانت فى أزمنة أخرى يرتديها عامة النـــــاس ، كأمثال المغاربة ، الافرنج ، والاســـكندرانية وأفراد الطبقة الدنيا فى القـاهرة · ولكن فى عصر الشراكسة تغيرت الأمور تغيرا عظيما ، وقرر المقريزى أنها لم تكن تلبسها فقط الطبقة الرفيعة ، بل كان السلطان فرج نفسه يرتديها أيضـــــا من حين لآخر (٢) ·

وفى فصل الصيف كانت جميع الملابس « الفوقانية » (٣) بيضـــاء وتصنع من قماش رخو يطلق عليه اسم « نصافى » Nisâfî أو ما يماثله من أقمشة أخرى ، وفى الشتاء كانت تصنع الملابس ملونة ومن الصوف أو الحرير غالى الثمن (٤) ، مبطنة بالفراء ، وكان الأمراء العظام ذوو المكانة يســـتعملون فراء الســـمور Sable والوشق Iynx

(١) ابن اياس الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٣٥١ ، ســـطر ٨ وما يليه

(٢) الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٨ ، سطر ١٧ ــ ٣٠ ، قاموس الملابس لدوزى صفحة ١٢٨ ــ ١٣١ وفى عام ٧٩١ هجرية (١٣٨٩ ميلادية) ارتدى السلطان برقوق جـــــوخة Jûkha قصد التخفى · انظر ابن اياس الجزء الثانى ، صفحة ٢٧٤ سطر ٤ « قارن ذلك مع قاموس الملابس لدوزى صفحة ١٣١) ·

(٣) وفى أقوال عديدة للرحالة الاوربيين نجد الدليل على أن الملابس «الفوقانية» كانت بيضاء · انظر مثلا ، بطرس ريندفليش Peter Rindfleisch نهـــاية شهر يوليو من عام ١٤٩٦ ميلادية ، وفى روهرشت وميسنر Rohricht und Meisner رحلات الحجاج الألمان سنة ١٨٨٠ ص ٣٣٧ « ان حاكم الجبل (منطقة من الصعب تحديدها) ·· ورجاله كانوا جميعا يرتدون أقبية بيضاء وتحتها كانوا يرتدون اردية حمراء قرمزية من المخمل وأردية أخرى من الحرير » ·

Der Herr Wom Berge (a District Governor difficult to identify) ...und sein herren... hatten alle weisse Röckte an, und unter den weissen Röcken hatten sie Scharlach und samette Röcke an, und ander Seidengewand (spelling modernized).

(٤) صبح الأعشى الجزء الرابع ، صفحة ٤٠ سطر ١٣ وما بعده وسطر ١٨ وما يليه الخطط الجزء الثـانى ، صفحة ٢١٧ سطر ١٥ أيضـا الفقرات المشـار اليهـا ولها علاقة بتغيير السلطان لملابسه الصيفية والشتوية ، صفحة ٣٥ من هذا الكتاب ·

والقاقم Hermin والفنك أى السنسار Marten ، والسنجاب الرمادى Squirrel والقنـــدس Castor (١) وكان من المألوف أن يستبدل الجيش ملابسه عند ابتداء كل من فصل الشتاء والصيف ، كما يفعـــل السلطان نفسه ، مع أنه من الواضح ان ذلك لم يحدث دائما وبصفة منتظمة فى التواريخ نفسها(٢) ، وفى مناسبات خاصة كانوا يرتدون ألوانا معينة، فمثلا عندما أعاد السلطان قانصوه الغورى لعبة الرماح التى كانت قد أهملت منذ سنة ٨٧٢ هجرية ، كانت فرق الفرسان من حملة الرمح الذين يطلق عليهم اســـــم « الرماحة » Rammaha يرتدون ملابس حمراء اللون حسب العادة القديمة (٣) .

أما حزام العسكريين الذى يسمى « منطقة » Mintaqa (٤) وأطلق عليه فيما بعد اسم « حياصة » Hiyâsa فكان يصنع من معدن ثمين . أفخمهـــا ما كان من « الفضة المطلية بالذهب » وكمـــا صنعت احيانا

(١) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٠ جميعها ، قاموس الملابس ، صفحة ٣٢٨ والتبر المسبوك للسخاوى صفحة ٣٤٦ سطر ١٣ حيث ورد أنه فى سنة ٨٥٥ هجرية عند اتمام المدرسة الفخرية خلع على الاستادار وناظر الخاص Theustâadâr and Nâzir al-Khâss وكان من بين الخـــلع الكثيرة ، فراء ســـمور ، ووشـــق ، وفراء القندس الرمادى ، وعلاوة على ذلك تلقى كل منهما كاملية مبطنة بفراء السمور، وكذلك شوهدت أمثلة لهذه الخلع فى مواضع أخرى .

(٢) انظر مثلا ، ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٦٢ ، سطر ٢٣ حيث أشار الى أنه عند نهاية شهر ربيع الأول من عام ٩٧٨ للهجرة ، لم يخلع السلطان على الجيش ملابسه الصوفية بعد ، بينما لبس السلطان ملابسه البيضاء فى السابع والعشرين من شهر صفر عام ٩١٨ للهجرة (الموافق ١٤ من مايو سنة ١٥١٢ ميلادية) ، وانظر ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٥٩ ، سطر ١٨ ، حيث أوضح أن الجو كان رطبا فى تلك السنة وأن السلطان تباطأ فى ترك ملابسه الصوفية .

(٣) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٦٠/٦١ .

(٤) يوجد فصل شامل عن موضوع الحزام فى الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٩. سطر ٢٦ ــ ٣٤ (نقله دوزى حرفيا وترجمه فى قاموس الملابس صفحة ١٤٥ وما بعدها) وقد وردت نفس البيانات بالذات فى صبح الأعشى الجزء الرابع ، صفحة ٤٠ ، ســـطر ١٤ ــ ١٧ وقد أورد المقريزى هذه البيانات عند وصفه لثوب التشريف الفخم « خلعة ســــنية » Khil'a Saniyya التى خلعها تورانشاه على الأمير حسام الدين عند تنصيبه ووصوله الى مصر (السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٣٥٣ ، سطر ٤) هذا ولو أن كلمة « منطقة » هو الاسم الاكثر قدما ، كما وضح استعماله بكثرة بواسطة المقـــريزى والقلقشندى حيث دأبا على ترديده فى وصف ثياب التشريف فى عصريهما ، صبـــح الأعشى ، الجزء الرابع صفحة ٥٢ سطر ٥ (من أسفل) ومن أجل كلمة حياصة ، انظر الخطط (فييت Wiet) ، الجزء الثانى صفحة ٢٥ سطر ١٤ ، حاشية ١٨٥ وانظر سلاطين المماليك ، القسم الأول (أ) صفحة ٣١ حاشية ٣١ .

أفخمهـــا ما كان من « الفضة المطلية بالذهب » وكما صنعت أحيـــانا من الذهب الخالص المرصع بحجر اليشم Yashm (١) . وكان السلطان هو صاحب الحق الوحيد فى منح الأحزمة الى الأمراء العظام ، كجزء من ثياب التشريف ، وكان من المألوف أن ترصع بالأحجار الكريمة (٢) . وربمـــا من الأهمية بمكان أن نسجل هنا أن الحياصة هى القطعة الوحيدة من ملابس الرجال التى أباحتها الشريعة الاسلامية ، وسمحت بصنعها من الفضـة أو الذهب(٣) ، ومن ثم كان للحزام قيمة عظيمة الشأن . وفى خلال الحكم المملوكى الأول كانت حياصة الجنود تقدر قيمتها على وجه التقريب بمبلغ ٤٠٠ درهم فضة وفى عصر قلاوون كان الأمراء العظام يرتدون حوايص تساوى الواحدة منها ٣٠٠ دينار ، وكان أمراء الأربعين يرتدون حوايص تقدر الواحدة منها بمبلغ ٢٠٠ دينار ، وحتى الأمراء الأقل مرتبة ، من أمثال رؤساء فرق الحلقة كان فى حوزتهم مثلا حوايص تساوى الواحدة منها ما بين ١٥٠ و ١٧٠ دينارا ، ويعتبر محمد بن قلاوون أول من أدخل الأحزمة الذهبية (٤) من أجل الأمراء وجماعة الخاصكية Khassakî وفى عصر خلفائه حتى عصر الملك الناصر فرج كان يرتديهـــا الأمراء والخاصكية (٥) ، وكان بعضها يرصع بالأحجار الكريمة (٦) . ومع أنه قد جرت العادة أن يوزع السلطان عددا ضخما من الاحزمة الفضـــية والذهبية « حوايص Hawâis على مماليكه كل عام (٧) . ولم تكن ميزانياتهم

---

(١) صبح الأعشى الجزء الرابع صفحة ٤٠ ، سطر ١٥ ابن تغرى بردى ، المنهـل الصافى تحت عنوان أقوش الأفرم Aqûsh al Afram (مخطوط باريس رقم ٢٠٦٩ ، ورقة ٢ ظهر ، سطر ٩) .

(٢) صبح الأعشى الجزء الرابع صفحة ٤٠ ، سطر ١٦ وما بعده . وتوجد حالة مماثلة فى الحياصـــــة المكللة Hiyâsa Mukallala التى منحها الملك المنصور الأيوبى ملك حماة سنة ٦٨٣ هجرية ، للملك الصـالح على بن قلاوون (السـلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٧٢٦ ، سطر ٦) .

(٣) قاموس الملابس ، صفحة ٤٢٠ (وما ورد بها من مصادر) .

(٤) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ سطر ١١ (من أسفل) وما بعده ، ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ١٧٣ سطر ١٦ وما بعده .

(٥) الكتبى ، صفحة ٥ سطر ١٨ ، وارتدى أحد مماليك بكتمر حياصة من الذهب.

(٦) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ سطر ١٠ (من أسفل) .

(٧) الخطط الجزء الثانى صفحة ٩٩ سطر ١٠ . الخطط الجزء الثانى ، صفحة ٢١٦ سطر ٢٧ ومن المحتمل أنه يقصد بالحوايص الذهبية التى كان يرتديهـــا امراء الألف اثناء الاحتفالات السلطانية ، وهى الخلع السلطانية ، فمثـــلا فى يوم الثـــلاء ١٩ من شوال سـنة ٧٢٦ هجرية (الموافق ١٨ من ســبتمبر ١٣٢٦ ميلادية) أنعم السلطان على جميع امراء العشرين بحياصة ذهبية لكل منهم : زترشتاين Zetterstéen صفحة ١٧٧ سطر ١٣

الخاصة تعانى كثيرا من الانفاق على مثل هـــذه الناحية ، ويبدو أن تلك الحوايص كانت تقتنى ، أكثر من أية قطعة ملبس أخرى ، كما علمنا ذلك من كشوف المقتنيات الخاصة التى تركها الأمراء العظام · ففى عـام ٧٤٠ هجرية ترك « تنـــكز » بين مقتنيـــات أخرى ١٥٠ صرة « بقج » Buqaj تحتوى على بنود طراز من الديباج ، وحوايص ذهبية وثياب للتشريف من الأطلس (١) · وفى عصر المؤيد شيخ حين قل تيار المنح للغاية ، قبض على الوزير عبد الله بن زنبور Zanbûr فوجد من بين مقتنيـاته الأخرى ٦٠٠٠ حياصة و ٦٠٠٠ قلنسوة ــ كلوته شركسية (٢) · وطبقـا لما ورد فى مسالك الابصار كان ارتداء الحوايص المرصعة بالاحجار الكريمة وقفا على الطبقة الرفيعة من بين أمراء المائة الذين يمنحهم السلطان اياها مع خلع التشريف (٣)

أما « البنـد » Band فعبارة عن شريط عريض من القطن المصبوغ الملون (٤) يرتديه عادة الخاصكية من المماليك ، وكذلك طبقة الضـــباط الصغار (٥) وكان يصنع أحيانا من الحرير الأصفر ويستخدم حينئذ فى المناسبات الرسمية ولم يكن قاصرا على الخصيان والغلمان فقط ، بل كان يرتديه أيضا رجال التشريفات فى الديوان ، ورؤساء الفرق « رءوس النوب» Ru'ûs An-Nuwab ومفتشو الجيش « نقيب الجيش » Naqib Al-Jaish وما يماثلهم فى المرتبة من الأمراء (٦) ·

ومع أن الحياصة الوحيدة المعروفة بالتأكيد (٧) ليست بمملوكية ،

---

(١) أبى اياس الجزء الأول صفحة ١٧٢ سطر ١٠ ·

(٢) الخطط الجزء الثانى صفحة ٩٩ ، سطر ٨ ــ من أسفل

(٣) صبح الأعشى ، صفحة ٤٠ ، سطر ٥ (من اسفل) ·

(٤) الخطط الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ ، سطر ٦ (من أسفل) ·

(٥) انظر لوحة رقم ١٦ وانظر أيضا مارتن لوحة رقم ١
Martin, Miniature painting, pl. I

(٦) ابن اياس الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ١٥٧ ، سطر ١٧ وما يليه ، صفحة ٢٢٤ ، سطر ٦ ــ ٨ ، صفحة ٣٣٧ ، سطر ٨ ، «خاصكى» Khâssaki

(٧) فى سنة ١٩٢٩ ، ظهـرت الحياصة فى سـوق القاهرة ، واقتنيت بعض أجرائها ضمن مجموعتى « ر· أ· هرارى » R.A. Harari والسيد / انطـــوان بناكى Mr. Anoine Benaki والجزء المحفـوظ فى متـحف بنـاكى نشر عنه برثا سجال Bertha Segall فى «كتالوج الحلى العربية» Katalog der Goldschmiede - Arbeiten ــ أثينا سنة ١٩٣٨ ، صفحة ١٩٠ ، شكل ٣٢٣ ونشر النص المنقوش على القفل فى (فى مجموعة هرارى) وعلق عليه فييت Wiet بدليل Répertoire الجزء الحادى عشر رقم ٤٢٧ ، صفحة ١٦٣ وما بعدها

بل هي أيوبية • ولقرب تاريخها من موضوع بحثنا ، فان الأمر يجعلنا نجازف بتحطيم قاعدتنا التي التزمناها وندرجها هنا في (لوحة رقم ٩) وهـــذه الحياصـــة صـــنعت للملك الصـــالح اسماعيل ، ومن ثم يقع تاريخها ما بين سنتي ٦٣٥ هجرية و ٦٤٣ هجرية • وهي تتكون من رقيقتين مستطيلتين من المعدن عليهما نصوص منقوشة توضح اسم الأمير الذي صنعت من أجله ، ثم ٤١ رقيقة صـــغيرة مســـتديرة على الأقل ، من المعدن ، يوجد في بعضها ثقـــوب من أجـــل قوائم لسان القفل Buckle وهي مجمعة مع بعضها بما لا يقل عن ١٩ قائما صـــغيرا • وتعتبر هذه « الحياصة » Hiyâsa مثالا فريدا في نوعه • اذ من الواضح أن حياصة كهذه مركبة من رقائق صغيرة مستديرة تعتبر انموذجا للصناعة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، كما يستدل من تلك الحياصة الذهبية التي يرتديها بدر الدين لؤلؤ (١) ، أو من تلك الموجودة بالصور الرئيسية في نســـخة الحريري بفينا (٢) • ولـــكن القفل « البوكلة » لا يظهر في كلتيهما ، كما أن القطع الآلية المتحركة الصـــغيرة في هيئة العقود (٣) يبدو عليها أنها ضعيفة جدا بالنسبة لأي غرض من أغراض الاستعمال ، وبأي وجه من الوجوه وكم كان السيد / بازيل جراي Mr. Basil Gray على غاية الصواب عندما أوحى الى بذلك • وعلى أي حال فان أهم جزء في الحزام هو اطار الابزيم المستطيل . ومن الواضح أن الرقيقتين ــ البيكارية ــ قد أشار اليهما ابن فضل الله (٤) •

وكان الصولق Saulaq الذي يرتديه كل العســـكريين فوق القباء ، مصنوعا من الجلد البلغاري الاسود ، وكان أحيانا كبير الحجـــم

---

(١) وتظهر بوضوح تام على عدد من العملة النحاسية الاسلامية ، انظر مثلا ، لين بـــــول « Lane-Poole كتالوج العملة الشرقية في المتحف البريطاني » الجزء الثالث لوحة ١٠ ، شكل رقم ٥٦٨ ، واسماعيل غالب ، كتالوج العمـــلة التركمانية ، لوحة ٦، شكل رقم ١٣٩ لوحة ٨ شكل رقم ١٨٨ •

(٢) ارنولد وجروهمان : Arnold and Grohman, The Islamic Book لوحة رقم ٤٠٣٠

(٣) سيجال Segall المصدر السابق شكل رقم ٣٢٣ •

(٤) مسالك الابصار ، المكتبة الأهلية ، باريس ، مخطوط ، عربي ، رقم ٢٣٢٥ ، ورقة ١٨٥ وجه وظهر ، انظر أيضا الخطط الجزء الثاني ، صفحة ٢٢٧ سطر ٢٤ وما بعده ترجم والنص هنا في صفحة ١٠٥ •

بقدر يتسع لأكثر من نصف ويبه من الغلال ومغروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع (١) ٠

ونلاحظ أن « الشربوش » Sharbûsh كلباس للرأس ، له المكانة الأولى اذ يعتبر بصفة خاصة انطابع المميز لطبقة الأمير ٠ وقد وصف « المقريزى » الشربوش بأنه مثل « شيء يشبه التاج » ، ويبدو كما لو كان مثلث الشكل يوضع على الرأس بغير عمامة (أى لا يلف حوله منديل) وعندما يمنح أى مملوك رتبة « فارس » كان من المألوف أن يمنحه السلطان خلعة تتناسب ومرتبة الفروسية ، ثم يضع على رأسه شربوشا (٢) ٠ وعلاوة على ذلك ، كان لبس « الشربوش » والقباء يعتبر طابعا مميزا للغاية لأميرمسلم حتى ان الصليبىكان على استعداد لارتدائهما فى سبيل اظهار شيء من الصداقة والود لصلاح الدين (٣) (ولو كان لا يدين بالولاء له) ٠ وبينما تشير النصوص الى أن لبس الشربوش قد وجد فقط فى عصر الأيوبيين أو المماليك البحرية فان المقريزى يؤكد أن لبس الشربوش قد أبطل فىعصر المماليكالشراكسة (٤)، ويبدو أن المقصود بهذا هو تبرير تمييزه عن القبعة الصلبة المزينة بالفراء ذات المقدمة المرتفعة المثلثة الشكل قليلا ، وتتميز بحليسة معدنية فوق الجبهة وقد ظهرت صورتها كثيرا جدا فى مخطوطات العصر المملوكى (٥) ٠ كما وجد نوع آخر من الشربوش ، اسطوانى الشكل عظيم الطول (ومن المحتمل أنه يمثل طرازا مبكرا ، وهو يرى هنا فى اللوحة رقم ١٥) ٠

وقد كانت « الكلوته » Kalauta أخف من الشربوش العادى ولكنها لا تقل عنه مكانة من الناحية الرسمية ٠ (٦) ولما كانت العمامة

---

(١) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٠ ، سطر ٧ : الخطط الجزء الثانى صفحة ٩٨ سطر ٣ (من أسفل) وما بعده ، سلاطين المماليك ، الجزء الثانى أ صفحة ١٥٢ ٠

(٢) الخطط ، الجزء الثانى ٠ صفحة ٩٩ ، سطر ٩ وما بعده : قاموس الملابس صفحة ٢٢٠ وما بعدها وملحق القواميس لدوزى انظر المادة فى موضعها ، السلوك ـ الجزء الأول ، ص ٤٩٣ حاشية ١ جميعها صفحة ٢٥١ حاشية ١ مفضل صفحة ٥٠١ سطر٢ وما بعده ، ابن واصل ورد الاقتباس عنه فى سلاطين المماليك الجزء الأول أ صفحة ٤٤٢، حاشية ١ و ٥ (من أسفل) ٠

(٣) ابن الأثير ، الجزء الثانى عشر ، صفحة ٥١ وما بعدها ٠

(٤) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ ، سطر ١١

(٥) انظر مثلا ، لوحة رقم ١٨ شكل ١ أرنولد وجروهمان ، لوحة رقم ٣١ ٠

(٦) الجمع « كلاوت » Kalâûtât قاموس الملابس ، صفحة ٣٨٨ ، زترشتاين Zetterstéen ، صفحة ٢١١ ، سطر ١٢ ، أو « كلوتات » = Kalautât

وحدها رمز « أرباب القلم » أى أرباب العمـــائم ، أضحت « الكلوتـــة » Kalautâh رمزا للأرستقراطية العسكرية (١) الذين أطلق عليهم أحيانا اسم « المكلوتون » Mukalwatûn وكان السلطان يرتدى كلوتة صفراء وهى خاصة بالأمراء وباقى العسكريين ، يحيط بحافتها شريط ـ بند يطلق عليه اسـم « تضريب . Tadrib وأبازيم يطلق عليها اسـم « كلاليب » Kalalib وتلبس دون عمامة (٢) . وفى عصر المـــاليك المبكرين كانت الكلوتة Kalautâh صغيرة الحجم ، وتصنع عـــادة من الصوف الملطى يحيط بحافتها شريط عريض وظلت لفترة قصيرة يلف حولها منديل صغير (٣) .

وواصل خليل بن قلاوون ما قام به أبوه من أصلاح فى الزى (٤)

= قاموس الملابس ، صفحة ٣٥٥ (عن النويرى) وان كلمتى كلوتة أو كلوتاه ، هما أفضـــل من كلمـــة كلوته Kalaftâh ويدلنا على ذلك بطريقة أفضل المصـــادفة الصريحـــة المشـــتركة بين التكوين اللفـــظى للكلمتين « كلفتـــاه وكلفتـــات » Kalftâh, Kalaftât انظر سلاطين المماليك ، الجزء الأول (أ) صفحة ١٣٨ حاشـــية ١٥ ، قاموس الملابس ، صفحة ٣٨٨ ، دوزى ، ملحق القواميس تحت المـــادة ، صفحة ٤٨٢ (عن ابن الشحنة) . راجع النجوم الزاهرة (طبعة بوبر) ، الجزء السادس صفحة ١٧٣ ، سطر ٩ صفحة ٢٧٧ ســـطر ١ : القاضى ابراهيم بن غراب عند منحـــه امرة المائـة بعـد أن أمضى ســـتينا كمباشر Mubâshir وضـع على رأســه كلفتـــاه kalaftâh فى شـــهر جمـــادى الثانى سنة ٨٠٨ هجرية . وحـــدث بالمثـــل عنـدما أطلق سراح ثلاثة من الأمراء من الســـجن أمروا بارتداء قلانســـهم كلفتـــاه والعودة الى أعمالهم (النجوم الزاهرة ، طبعة بوبر ، الجزء السابع ، صفحة ٤١٧ سطر ٩ وما بعده . فى حوادث عام ٨٥٧ هجرية) أنظر أيضا النجوم الزاهرة طبعة القاهرة الجزء السابع ، صفحة ٣٣٠ ، حاشية ١ ، الجـــزء الثـــامن صفحة ٢٦٨ ، حاشية ١ ، السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٤٩٣ ، حاشية ١ صفحة ٨٣٠ حاشية ١ ، الجزء الثانى ، صفحة ٨٠ سطر ٢ ، ســـلاطين المماليك الجزء (أ) صـــفحة ١٣٨ ، الجزء الثانى (ب) صفحة ٢١٤ .

(١) راجع ابن واصل تعليق كاترمير فى مجلة العلماء Journal des Savants عدد سنة ١٨٤٨ ، صفحة ٤٦ وما بعدها ، وزترشتاين ، صفحة ٩٧ سطر ١٨ حوادث ٧٠١ هجرية .

(٢) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٩ (من أسفل) ، الخطط الجـــزء الثانى ، صفحة ٩٨ سطر ٧ (من أسفل) وما بعده . انظر أيضا صبح الأعشى ، الجـــزء الرابع صفحة ٦ سطر ٦ ـ ٩

(٣) الخطط الجزء الثانى ، صفحة ٢١٧ ، سطر ٤ وما بعده ، صبح الأعشى الجزء الرابع صفحة ٦ سطر ٨

(٤) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٨ كل الصفحة .

فغير لباس الرأس البسيط هذا ـ الذى كان يصنع أحيانا من خـــامة صوفية خشنة ـ وأصدر أمره الى أمرائه بالظهور بين مماليكهم بالكلوتــة المطرزة (١) ، أو حسب ما أورد القلقشندى ، بكلوتة حمراء والعمـــائم من فوقها (٢) ٠

وبمقارنة فقرتى المقريزى الأساسيتين (٣) نجد كثيرا من التناقض بخصوص تاريخ الكلوتة Kalautâh المبكر وبالاستعانة بالقلقشندى (٤) ربما أمكننا استيضاح التطور على هذا النحو : كانت الكلوتة فى العصر الايوبى صفراء اللون، وكذلك فى عصر المماليك الأول، حتى حدوث اصلاح خليل سالف الذكر كان لونها أولا أصفر ثم اتخذت كلا اللونين الأصـــفر والأحمر ، وكقاعدة عامة كانت تصنع من خامة رخيصة ومنذ عهد خليل والى ما بعد ذلك ، كان لونها أحمر على الاطلاق وتصنع القلنسوة من خامة فاخرة ٠

وكان الوضع نفسه سائدا ومتبعا حتى قبل اصلاح خليل حيث نصادف بين الفينة والفينة ما ينبىء عن مظاهر الترف ، اذ كان بيبرس يخلع على الأمير سيف الدين الرشــيدى كل شــهر كلوتتين من الديباج المزركش Zarkash تســاوى [illegible] منهما خمســـين دينارا ٠ وكان منـــديل كل منهما يساوى أربعين دينارا (٥) ٠ وبالمثل وصف النويرى (٦) زى المماليك ، فى سنة ٦٨١ هجرية (١٢٨٢ ـ ١٢٨٣ ميلادية) بقوله انهم كانوا يرتدون أقبيــة من الأطلس الأحمـــر مزينــة ببنــود ذات طــراز Trâz-Bands وكلوتات مطرزة ٠

وبعد اصلاح خليل ، أصـــبحت الكلوتة لهـــا شـأن عظيـــم من الناحية الرســمية كما أصبحت معترفا بهــا كلباس رأس للأمراء ، فقــد حدث فى سنة ٧١٠ هجرية (الموافق سنة ١٣١٠ ميـــلادية) أن قبض على الأمير جيراى Gîrây ، نائب السـلطان على سوريا فقذف بمنديل

(١) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ ، سطر ٢ وما بعده ٠

(٢) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٠ سطر ١ وما بعده ٠

(٣) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٨ (من أسفل) وصفحة ٢١٧ (من أعلى)٠

(٤) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٥ سطر ٩ وما بعده ، صفحة ٣٩ « من أسفل »٠

(٥) السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٤٩٣ ، ٤٩٤ ٠

(٦) حوادث سنة ٦٨١ هجرية ، مخطوط ليدن ، أصل ـ حاشية ٢ ، ورقة ٢٦ وجه واقتباسها وارد فى قاموس الملابس ، صفحة ٣٥٤ وما بعدها ٠

عمامته « شاش التشريف » وكلوتته على الأرض ولف حول رأسـه بدلا منها عمامة « تخفيفة » (١) ٠

وفى عصر يلبغا الخاصكى نائب السلطنة فى أيام الاشرف شعبان صارت الكلونه والمنديل الذى يلف حولها أكبر حجما وسميت فى ذلك الحين طرخانية Tar Khâniyya وذلك للتمييز بينها وبين الموضـة القديمة من الكلوتة الصغيرة التى أطلق عليها اسم « الناصرية Nâsiriyya وفى عصر برقوق جعل حجمها يزداد كبرا على الدوام وكان المنديل يلف ليكون شكل انتفاخات أطلق عليها اسم « عوج » 'Awaj ، فهذا هو النوع الذى انتشر أيام المقريزى وسمى بالكلوتات الجركسية (٢) ، واذن لا بد أن يكون هذا هو شكل الستة آلاف كلوتة التى وجدت فى حوزة الوزير عبد الله بن زنبور وكانت تشكل جزءا من ثروته (٣) ٠

وقرب نهاية حكم الجراكسة نجد شكل الكلوتة قد تغـير مرة أخرى ، وذكر عنها كما لو كان لها « طرفان » (٤) ٠ والنقطة الجوهرية هى ، أنه طالما أن جميع هذه التغييرات قد حدثت فعلا وظهرت فيهـا موضات جديدة تباعا ، فلا بد أنها كانت شائعة وشعبية تماما ، وقـد استمرت مستعملة حتى نهاية الدولة المملوكية وكانت فى جميع الأوقات لباسا مهما للرأس للأمراء وللسلطان معا ٠ ورغم ذلك ، فقد حدث فى سنة ٩٠٢ هجرية أن حضر محمد بن قايتباى صـلاة الجمعـة وهو يرتدى «تخفيفة صغيرة » بدلا من الكلوتة Kalautah فأثار بعمله هـذا استياء الأمراء على الفور ٠ (٥) وفى مناسبة أخرى مماثلة فى سـنة ٩٠٧ هجرية (١٥٠١ ميـلادية) حـدث أن ذهب الاتابك قايت الى الجامع وعلى رأسه كلوته (٦) ٠

---

(١) النويرى ، حوادث سنة ٧١١ هجرية (ليدن Or 2 or ورقة ٥٨ أ ـ سطر ١٣ مفضل ، صفحة ٧٠٩ من أسفل (تختلف العبارة قليلا) ٠

(٢) الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٢١٧ ، سطر ٥ ـ ٨ « مترجمة فى سلاطـين المماليك ، الجزء الأول «أ» صفحة ١٣٨ ـ حاشية ١٥ » ٠

(٣) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ ، سطر ٨ (من أسفل) ٠

(٤) « كلوته بطرفين » ابن طولون ، طبعة هرتمان صفحة ٥٧ (عـربى ٢٨) ، سطر ١٤

(٥) ابن اياس الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٣٣١ سـطر ٥ وما بعده

(٦) ابن اياس الجزء الرابع صفحة ١٧ ، سطر ٥

بيد أنه من الخطأ الظن بأن أى أمير لا يملك عمـــامة ، اذ كانت العمامة الأميرية من طراز مختلف تماما · والشكلان الرئيسيان لها همـا « التخفيفة الصغيرة » و « التخفيفة الكبيرة » (١) ·

وكانت في الأصل نوعا من الملابس العادية· اذ نقرأ أن السلطان غضب على أمير فاستبدل بالكلوتة التى يلبسها « تخفيفة » (٢) وأن السلطان برقوق مثلا كان يرتديهـا كلباس رأس منزلى (٣) · ولـكن بمضى الزمن أصبحت بالتدريج ذات صبغة أكثر رسمية ، وكما رأينا سابقا ، قرب نهاية العصر الشركسى ، كانت تعتبر مع « السلارية » Sallârîyya زيا تركيا صميما (٤) ، وقد دفع ذلك الدكتور محمد مصطفى الى الظن بأن أمراء الألف هم وحدهم الذين لهم حق ارتداء التخفيفة ، حتى ولو كان ارتداؤهم لها بتقليد من السلطان (٥) ·

وكان يوجد نوع خاص من التخفيفة الكبيرة ، يطلق عليه اســـم « الناعورة » An-Nâ'ûra (٦) وكقاعدة متبعـــة كان السـلطان هو وحده الذى يلبسهما ، هذا ويجب الاشارة هنا ، الى أنها كانت تخلع على أمير كجزء من ثياب التشريف · فقد حدث على سبيل المثال فى ٢٣ من ربيع الأول سنة ٩٢٠ هجرية (١١ نوفمبر من عام ١٥٢٥ ميلادية) أن خلع قانصوه الغورى واحدة على الأمير اركماس من طراباى (٧) ، وخلع واحدة أخرى على أزبك المكحل، الذى كان فى الغالب «طرخانا» Tarkhân

---

(١) ابن اياس الجزء الثالث « تحقيق كاله ومصطفى » صفحة ١٥٣ ، سطر ٢٥ وما بعده صفحة ٦١٨ ، سطر ١ ، صفحة ١٧٤ ، سطر ٧ وما بعده (تخفيفـة كبيرة ـ صفحة ١٩٠ ، سطر ١٦ وما بعده ، صفحة ٣٠٥ سطر ١٤ وما بعده صفحة ٣٠٧ سطر ١٣ ، تخفيفة بالقرون الطوال ـ (نفس المصدر ، صفحة ٣٣٢ ، سطر ٤ ، صفحة ٣٥١ سطر ٨) انظر أيضا قاموس الملابس تحت المادة ، دوزى ملحق القواميس تحت المادة، وكاترمـــير Notices et Extraits ســنة ١٨٣٨ المجـلد الثـالث عشر ، صفحة ٢٩٥ ، حاشية ٢ ، النجوم الزاهرة طبعة بوبر ، الجزء السادس صفحة ٨٢٥ ، سطر ١٦ وما بعده ، ابن اياس الجزء الرابع صفحة ١٠٠ فى أماكن متفرقة ·

(٢) انظر أعلى صفحة ٥٤ حاشية ١ من هذا الكتاب ·

(٣) ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ٢٧٤ ، سطر ٣ وما بعده ·

(٤) انظر أيضا صفحة ٤٥ من هذا الكتاب « حاشية ٣ » ، ابن اياس الجزء الثـانى صفحة ١١٣

(٥) مجلة ZDMG ســنة ١٩٣٥ ، صفحة ٢١٥ وما بعدها ، حاشية ١

(٦) انظر أيضا صفحة ٣١

(٧) ابن اياس الجزء الرابع صفحة ١٠٠ سطر ٢٣ وما بعده ·

ثم أقيل من رئاسة الفرقة الموسـيقية « طبلخاناه » Tablkhânâh وارتدى « تخفيفة صغيرة » . (١)

ووجد نوع آخر من لباس الرأس كان خاصا بالعسكريين يطلق عليه اسم « سراقوج » Sarâqûj قد لبسه بركة خان نفسه (٢) ، وكان يمثل الى حد كبير الزى التترى المميز ، مما جعل ملك أرمينيا يستخدمه فى محاولة منه لجعل جماعة من جنده تمر كفـرقة تترية متعاونة مع المماليك (٣)

وحدث بالمثـل فى سنة ٦٩٢ هجرية (الموافق سـنة ١٢٩٣ ميلادية) أن طلب عز الدين أيبك الرومى – عندما كان وقتئذ فى قلعة المسلمين – من الملك الأشرف خليل أن يرسل اليـه ثلاثين طاقية سراقوج Sarâqûj بقصد جعل جواسيسه غير متميزين (عن التتر) (٤).

ووجد لباس رأس آخر لم يمكث طويلا ، ولم تلبسه بتاتا قطاعـات كبيرة من الشعب ، وكانت فرصته ضئيلة لتخليده بالصـور فى العصر المملوكى . وعلاوة على ذلك وجدت له قلة من الصور الاصيلة التى ترجع الى القرن الثالث عشر التترى . ولكن اذا كان فى مقدورنا ان نعـول على صحة الشكل الذى يظهر فيه جندى تترى تحت أقدام هنـرى الثانى (الذى مات فى مدينة ليننتز Liegnitz فى سـنة ١٢٤١ ميلادية ، أثنـاء القتال مع التتر) كما هو مدون فى النصب التذكارى المقام على قبره (٥) فمن ثم لابد أن يكون السراقوج عبارة عن قلنسوة لها شكل مخروطى طويل بحافة مقلوبة الى أعلى كالتى نراها فى الصورة الفريدة بمخطوط جالن فى المكتبة القومية ، بمدينة فينا (٦) . أو ربما فى مخطوط – الجزرى

---

(١) ابن اياس الجزء الرابع صفحة ٣٧٢ ، سطر ١٨ – ٢١

(٢) سلاطين المماليك ، الجزء الأول «أ» صفحة ٢١٥ ، حاشية – سطر ١ – نقـلا عن ابن الفرات حوادث سنة ٦٦١ وغيرها .

(٣) سلاطين المماليك ، الجزء الأول «أ» صفحة ٢٣٥ ، وحاشية ١١٠ ، قاموس الملابس لدوزى صفحة ٣٧٩ ، حاشية ١ نقـلا عن النويرى (٢ م ورقة ٢٥٣ وجه) وكانوا لا يلقبونه بملك أرمينيا بل « صاحب » سيس وذلك دون الاشارة الى أن هؤلاء المتخفين على هيئة التتر كان من المفروض أنهم يساعدون المماليك .

(٤) السلوك الجزء الأول ، صفحة ٧٨٣ . سطر ١٥ .

(٥) كتـاب « ماركـو بولو » Marco Polo ترجمة يول Yule طبعة ثالثة مراجعة هـ. كورديه H. Cordier لندن سنة ١٩٠٣ ، المجلد الثانى صفحة ٤٩٣ .

(٦) ارنولد وجروهمان ، الكتاب الاسلامى Islamic Book لوحـة رقم ٣١ .

فى مكتبة بودليان Bodleian بأكسفورد (١) .

واذا كان لنا أن نحكم من خلال الصمت الذى يسود نصوصنا ، فاننا نجد أن السراقوج قد اختفى من عالم الموضة فى خلال عصر « المماليك البحرية » . ثم بعد مضى قرن من الزمان ، عاد الى الظهور فى عصر المماليك الشراكسة كلباس رأس للسيدات ، انظر أسفل صفحة ١٢٦ وقصص ألف ليلة وليلة Arabian Nights ، اقتباس فريتاج Freytag (وتعليقات دوزى فى قاموس الملابس صفحة ٣٧٩) .

وعندما قام محمد بن قلاوون بتأدية فريضة الحج لمكة قرب نهاية حياته ، حلق شعر رأسه ، وكذلك فعل أمراؤه أسوة به ، فعندئذ أبطلت موضة الشعر الطويل ولبست العمائم كقاعدة متبعة (٢) . ووجدت « عمائم » مثل التى كان يلبسها الايوبيون المتأخرون جدا ، أى فى نهاية عصرهم ، وكذا أمراء المماليك البحرية الأول ، وهى العمائم الصغيرة الحجم (٣) . وفى تاريخ يتعذر تحديده أصبحت هذه العمائم كبيرة الأحجام . وفى سنة ٦٩٠ هجرية (الموافق سنة ١٢٩١ ميلادية) حرم سنجر الشجاعى ، نائب السلطان فى سوريا ، على الأمراء ارتداء العمائم الكبيرة (٤) ، وفى عصر شعبان بن حسين عادوا الى صنع العمائم الكبيرة الأحجام وكان شكلها أكثر رشاقة واستمر كبر أحجامها فترة من الزمن ووصفها القلقشندى على أنها كانت كذلك فى زمنه (٥) .

والنوع الثالث من لباس الرأس هو « الطاقية » Taqiyya وصيغة الجمع « طواقى Tawâqî وكانت تشبه « الكوفية » Kûfiyya

---

(١) جريفز Greaves ٢٧ ، ورقة ٥٥ (ظهر) وصفحات أخرى عديدة ، وانظر ارنولد ، التصوير ، لوحة رقم ١١ « من أسفل » .

(٢) صبح الاعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٦ سطر ٩ ، الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٧ . (ورقم الصفحة غير موجود بالأصل الانجليزى) .

(٣) راجع المتمنمات ، وأيضا جوانفيل Joinville ترجمة ايفانس Evans رقم ١٠٦ صفحة ١٦٦ حيث أشير الى عمامة أمير مبارز كان من المألوف ارتداء هذه العمائم عندما كانوا يريدون القتال حيث كانوا يتقون بواسطتها ضراوة ضربة عنيفة من سيف .

(٤) ابن طولون ، رسائل ، الجزء الثانى ، صفحة ٤ سطر ٨ نقلا عن ابن كثير .

(٥) صبح الأعشى الجزء الرابع صفحة ٤٠ سطر ٢ ــ ٤ « فحسنت هيأتها وجادت » .

التى كان يلبسها أصلا الصبيان والبنات فلبسها الرجال والنساء (١) وفى عهد سلاطين الشراكسة لبسها العسكريون من جميع الطبقات وتصنع عادة من ألوان مختلفة ، وكان ارتفاعها يبلغ سدس ذراع تقريبا ، وقمتهـا مدورة ومسطحة • وفى عصر فرج تغيرت الموضة وعرفت « الطاقية » باسم « الجركسيه » Circassian وأصبحت عظيمة الارتفاع ، ويبلغ طولها حوالى ثلثى ذراع • عندئذ حدث تغيير بسيط فى الجزء الأعلى منها فصنع غالبـا على هيئة قبة صغيرة ، كثر فيها الحشو بمادة الورق ، زين بفراء القندس Castor بعرض يبلغ ثمن ذراع تقريبا (٢) • وبين سنتى ١٤٨١ و ١٥٠١ ميلادية ضاقت الطاقية عند القاعدة أكثر من القمة وصنعت من لونين ، فأحيانا يكون الجزء الأسفل منها أخضر اللون والأعلى أسـود اللون (٣) • وهى مصورة تماما فى صورة استقبال السفير البندقى Reception of a Venetian Ambassador المحفوظة فى متحف اللوفر (٤) وأما بخصوص الطواقى التى تلبسها السيدات فانظر صفحة ١٢٦ — ١٢٨ من هذا الكتاب (٥) •

وثمة لباس رأس آخر طالما ضلل جميع المستشرقين ممن اهتموا بأمره ، وهو « الزمط » Zamt (٦) وقد اعترف دوزى Dozy (٧) بجهله اياه ، ولو أنه ترجم اللفظ فى ملحق قاموسه بمعنى « كلوت » Calotte • وذلك بناء على تأويل دفريمرى Defrémery وظن بوبر Popper أنه كان عبـارة عن قمـاش يسـتعمل كغطاء للرأس (٨) (أ) وقد رأت فيه السيدة/ديفونشير Mrs. Devonshire (٩) نوعا من الدروع أو التروس أو ربما كان قميصـا من الزرد يختفى تحت الملابس (Sorte d'armure ou de bouclier, peut-être une cotte de mailles cachée sous les vêtements) وأخطأ آخرون فى تعريف كلمة « كلوت »

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى صفحة ١٠٤ ، سطر ٣ •

(٢) قاموس الملابس صفحة ٢٨١ ـ ٢٨٧ ، نقلا عن الخطط ، الجزء الثانى صفحة ١٠٤ سطر ٤ ـ ١٢ ، ومكرر فى ملحق القواميس تحت المادة صفحة ٧١ •

(٣) قاموس الملابس ، صفحة ٢٨٧ نقلا عن Joos van Ghistele و Peter Martyr

(٤) لوحة رقم ١ « المماليك الواقفون تحت السقيفة » •

(٥) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ١٠٤ ، سطر ١٢ وما بعده •

(٦) متعددة اللهجة : زنت Zant ، زنط Zant ،

(٧) قاموس الملابس ، صفحة ١٩٨ وما بعدها •

(٨) Hawâdith صفحة ٣٧ تحت المادة •

(٩) نشر المعهـد الفـرنسى للآثـار الشرقية BIFAO العدد الخامس والعشرون صفحة ١٢٩ وحاشية ١ •

calotte على أنها « كيلوت » culotte وظنوا أنها نطاق للحقوين أو ساتر للعورة loin-cloth وعلى أساس بعض الفقرات التى تصف الملك الظاهر قانصوه ، الذى وقع أسيرا فى شهر ذى الحجة سنة ٩٠٥ هجرية (الموافق شهر يولية سنة ١٥٠٠ ميلادية) وهو يضع على رأسه زمطا (١) أو على أساس الفرمانات التى حددت لونه (٢) ، يمكننا بسهولة أن نقرر أنه كان قلنسوة حمراء • وبمتابعة النصوص فى مراسيم تاريخية نجد أنه من المحتمل أن نكون على حق فى الظن بأنه وجد أصلا منذ بداية القرن التاسع الهجرى أو على الأقل فى منتصـــــفه ، حين أشير لأول مرة أن الزمط لباس الرأس للطبقات الدنيا اذ سمعنا أنه فى سنة ٨٤١ هجرية حرم على الفلاحين ارتداؤه مرتين (٣) • ولكن بعد مضى وقت قصير أصبح طابعا مميزا للزى العسكرى الشركسى ، وقرأنا أيضا أن محمد بن قايتباى كان يرتديه وهو بعد لم يزل مملوكا صغيرا بالمدرسة الحربية (٤) • وكان من الممكن التعرف بسهولة على الجنود الشراكسة كطبقة مميزة من زموطهم الحمر وكذا من ملاليطهم (٥)•وأحيانا كان لزاما على أحد الأمراء أن يرتدى زمطا قديما علامة على أنه مغضوب عليه ، وكعقاب له (٦) • ووصـــــفه ديتريش ف • شـــاختن Dietrich V. Schachten الذى طوف فى بلاد الشرق الأدنى ســـنة ١٤٩١ ميلادية على ان الزمط « كان ذا لون أحمر ، وله خصلات أى شراريب طويلة مسدلة بطول الاصبع • وملفوف من حوله شال وقد كان منظره حسنا » (٧) •

---

(١) ابن اياس ، الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٤٣٢ ، سطر ١٠

(٢) الســـلوك ، انظر حوادث التاســـع عشر من ربيع الأول ، ســـنة ٨٤٠ هجرية ، ابن اياس الجزء الخامس ، صفحة ٢٠٩ سطر ١٦ •

(٣) قاموس الملابس صفحة ١٩٨ وما بعدها ، لا توجد الفقرة الأولى فى نسختنا ، والثانية عن ابن اياس ، الجزء الثانى صفحة ٢١ ، الاسطر جميعها ، وفى شـــهر جمادى الثانى من سنة ٨٦٨ للهجرة (الموافق شهر فبراير ١٤٦٤ ميلادية) ركب المـــــماليك وطافوا بشوارع القاهرة وضربوا كل خصى أو خادم يضع على رأسه زمطا أحمر (Hawâdith صفحة ٤٥٧ ، الاسطر جميعها) •

(٤) ابن اياس الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٣٠١ سطر ١٥ •

(٥) ابن اياس الجزء الخامس ، صفحة ٢٠٩ ، سطر ١٦ و ١٩ أنظر أيضا ابن اياس الجزء الخامس ، صفحة ١٤٧ ، سطر ٧ و ٩ •

(٦) ابن اياس ، الجزء الثانى صفحة ١٥٣ ، سطر ٢٢ الجزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٣٠١ سطر ١٥ •

(٧) طبع روررشت Röhricht وميســـــنر Meisner ، « الحجاج الالمان » Deutsche Pilgerreisen سنة ١٨٨٠ ، صفحة ١٩١ •

«rot mit langen Zoten evaies Fingers lang und ihre Tücher darum gewickelt, das doch schön zu sehen ist»

ثم استطرد قائلا « ولم يكن يسمح لغير المسلم أن يلبس مثل هذه القبعة (الزمط) الحمراء حتى ولو كان مملوكا »

«es darf auch kein heide einen solchen roten Hut tragen, er sei denn ein Mamluk.»

ويجب أن تؤخذ هذه الكلمات كدلالة على أن ف٠شاختن V. Schachten قد وصف عمامة عادية عبارة عن منديل يلف حول طاقية حمراء ٠وكلمة «lange Zoten» تبرهن على أنه كان زمطا، أما كلمة tûcher فهى فى موضعهـا الصحيح كما تظهـر فى « تحسـين أوز » فى بحثـه «Hûnername» (أنظر لوحة رقم أربعة وعشرين) ٠

ونحن سعداء حقا لوجود الزمط مصورا بدقة فى بعض الصـور (١) الأوربية الموثوق بها (٢) كما نراه أيضا فى المنمنمات التركية التى يظهر فيها رسل المماليك فى بلاط السلطان سليم الأول (٣) ، ولم يزل المتحف القبطى فى القاهرة أكثر المصادر أهمية حيث يوجد من بين مجموعـاته زمطا فى حالة جيدة تماما (انظر لوحة رقم ١١ ، ٢) ٠

وكان من الواجب أن يرى « الطراز » Tirâz بنصوصه الشرقية على الكم ، كما كان يعتبر امتيازا منذ عصر ما قبـل الاسلام (٤) ٠ وفى خلال عصر الأيوبيين والمماليك قام الطراز بدور أكثر تواضعا عما كان عليه فى عصر أسلافهم ، وما زالت توجد بعض المواصـفات للطراز فى ذلك العصر ، وان جاءت مختصرة فيما يختص بالدولة التركية ، التى كانت تتربع على دست الحكم فى هذه الفترة فى مصر وسوريا ، فاستعمال الطراز فيها كان شائعا ودارجا، بسبب امتداد رقعة ممتلكاتهم واستقرار عمران بلادهم العظيمة ، وبما أن المنسوجات لم تكن تصنع فى قصـور

---

(١) انظر أيضا صورة « استقبال سفير من البندقية » The Reception of a Venetian Ambassador فى متحف اللوفر ٠

(٢) ارنولد فـون هارف Arnold von Harff صفحة ١٠٤ انظر أيضا قطب الدين طبعـة وستنفيـلد Wüstenfeld . صفحة ١٨٨ ، سطر ١٢ وما بعده ٠

(٣) تحسين أوز Hünername « فى مجلة الجمعية الشرقية الفلسطينية » عام ١٩٢٨ لوحة رقم ٢٤

(٤) انظر مقال ر٠ب٠ سيرجانت R.B. Serjeant الممتاز : «مادة لتاريخ النسيج الاسلامى الى زمن الغزو المغول » فى مجلة الفن الاسلامى Ars Islamica سنة ١٩٤٢، العدد التاسع صفحة ٥٤ ـ ٩٢ والعدد العاشر صفحة ٧١ ـ ١٠٤ والنصوص الأدبية الكثيرة جدا التى وردت بالمقال ٠

وقلاع هؤلاء الأمراء لذا لم يخصوا بها ــ من أجل ذلك ــ ضباطهم وحاشيتهم ومهما كانت طلباتهم من هذا النوع فان النساجين الذين يمارسون هــذه الصناعة كانوا يزودونهم بما يحتاجونه مستخدمين«الحرير والذهب الخالص» ويطلقون على هذا النســـيج اسم « زركش » ·· وهو لفظ مســـتعار من الفارسية· وكان اسم السلطان أو الأمير يسجل على هذا النسيج ويسمون ذلك «رقما» ويقوم العمال بصناعة تلك الأشياء مثل باقى المقتنيات الأخرى النفيسة المخصصة لاستخدامها فى البلاط »· (١) ، وكان يشار الى الطراز غالبا (٢) ، ويوصف أحيانا باعتباره « كلفة » خاصة وفاخرة (٣) · وفى الأيام السانفة كان يمنح من قبل الأمراء العظام لا عن طريق السلطان نفسه (٤) ، ووجدناه فى مشاهد تصور ملابس المماليك (٥) · فيظهـــر دائما كشريط من لون يختلف عن لون الكم ، وتظهر عليه بوضوح نصوص رسمية ، أو عبارات دينية ، وكانوا يقلدون تماما النص الكتابى الاصلى، وغالبا ما كان يظهر بدون أية كتابة كلية (٦) · وعلى الأقل منذ بداية القرن الخامس عشر ، كان من المألوف أن يصنع الطراز اما من « الديباج » ذى الخيوط الذهبية أو من الحرير الأسود المطرز · وفى خلال عصر المماليك ــ على أية حال ــ لا بد أنه فقد معناه الأصلى تماما ، اذ نلاحظ أن الشخص نفسه يرتدى الطراز الحقيقى ، والطراز المقلد فى وقت واحد · وفى الصورة الرئيسية لكتاب الحريرى نسخة فينا ، يوجد الطراز على كم القباء الفوقانى للسلطان أو الأمير ــ وهنا نرى أنه فى ضوء ما لدينا من معلومات فى الوقت الراهن لا يمكننا اثبات الطبقة الاجتماعية للشخص الممثـــل فى الشكل الوسطانى ــ والذى عليه نص بالخط النسخ ، ويستبان من

---

(١) ابن خلدون ، المقـــدمة ، ترجمة دى سلين Slane باريس ، ســـنة ١٨٦٣ ١٨٦٨ ميلادية ، الجزء الثانى صفحة ٦٨ اقتبســه وترجمــه ســيرجانت Serjeant المصدر السابق صفحة ٦١ ·

(٢) انظر قاموس الملابس لدوزى ، صفحة ٣٥٥ الفقرات المتعددة التى وردت فيه·

(٣) خلع السلطان ــ الخليفة المســتعين بالله على « شيخ » ، خلعـــة عظيمـــة بطراز لم يعهد مثله ، ولكن «شيخ» من جهة أخرى كان الحاكم الفعلى للبلاد ، وكان المستعين يعلم ذلك حق العلم ، انظر السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء الثانى صفحة ٨٣ سطر ١٣ وما بعده ·

(٤) وزع الأمير يشبك ثيابا للتشريف مماثلة ، راجع « قصة سفارة » (مكتبة طوب ــ قابوسراى ، مخطوط رقم ٣٠٥٧ ، ورقة ١٣١ وجه وظهر)

(٥) انظر اللوحات رقم ٣ ، ١٥ ، ٢٠ وغالبا فى أماكن أخرى ·

(٦) انظر صبح الاعشى ، الجزء الرابع صفحة ٤١ سطر ١ وبخصوص طراز من نفس ألوان الاكمام ، انظر لوحة رقم ١٠ ·

شـكله أنه طراز حقيقي ، ولـكن يوجد على كم رداء قبائه حروف كوفيـة تبدو كأنها لا تمثل أية كتابة على الاطلاق ، بل مجرد وحدة زخرفية ،ولا يمكن أن تحتوى على أكثر من صيغة دعائيـة دينية (١) • وعلى الرغم من

---

(١) أرنولد وجروهمـان ، لوحة رقم ٤٣ ، هـولتر : مخطـوط جالن لوحة رقم ٣ صفحة ١٦ وما بعدها (مع نص أدبي واف • ومن المحتمل أن يكون مفتـاح هذا الموضوع الغريب ما أورده أبو الفداء (حوليات ، العـدد الخامس ، صفحة ٨٠ ، سطر ٧ من أسفل و ٤ من أسفل) ، من وصف لثياب التشريف ، التى تلقـاها الملك المظفر محمود صاحب حماة فى شهر صفر سنة ٦٨٤ هجرية (الموافق شهر ابريل سنة ١٢٨٥ ميلادية) حيث ميز بين الشريط المطرز الذى يطلق عليه اسم « طـراز زركش » وهو الذى يوضع على الثوب «الفوقانى» و «الطرز المذهبة» التى توضع على «الثوب» التحتانى وقد كان الرداء الفوقانى يصنع من الحرير الأطلس الأحمر ، ويبطن بفراء السمور الرمادى ويزين «دائرة» بفراء «القندس» ، وكان فخما للغاية ويدلنا على درجة الرخاء التى كانت فى عهد قلاوون • هذا بينما كان الثوب التحتانى أسفل الرداء الأول يتساوى غالبا معه فى الطول ؛ أى مع القباء الفاخر ، ولذا كان من الصعب رؤيته وتمييز الفرق بين نوعى الطرازين بوضوح ؛ اذ أن أحدهما له أهميته التى لا تقل أيضا من حيث التصميم •

وفى حقيقة الأمر ، قد سبق لهولتر فى « مخطوط جالن Galen Handschrift صفحة ١١ وما بعدها ـ بدون الاستعانة بأى مرجع عربى ـ أن اشار من تلقاء نفسه الى أنه يوجد فرق بين طراز وبين «طراز مذهب» Goldstreifen بل وطبقا لتعريفه ، يجب أن يصـنع الطراز فى مناسج القصر in einer streng Gesonderten Hofmanufaktur ويراد من قوله هذا استثناء اشرطة الطراز الشركسية ، اذ أنه فى القرن الخامس عشر كان من المالوف شراء ثياب التشريف من السـوق دون تصنيعها فى المصانع السلطانية (الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٩ ، سطر ١١ ـ ١٥) • وفضلا عما تقدم ، فان الادلة الواردة فى المصـدر نفسه ، صفحة ١١ ، حاشية ٢٠ ، يسـتدل منها على أنه يعتبر شريط ـ طراز أصيل وهوالكتابة المنسوجة ، اوالمطرزة على حافة قطعة القماش لتعطينا بيانات عن تصنيعها ، وهى بوضعها هذا تطابق الاهداف العملية الخاصة بخاتم المصـنع أو مثل ما هو معروف فى التجارة فى وقتنا الحالى بالبرسل edging أى العـلامة التجـارية .(الماركة mark) التى تنسج عنـد طرف قطعة القماش • وان قبـول هذا التعريف بمعناه المزدوج أى « علامة المصنع » وكذلك « الطراز الأصيل » ، يجعلنا نفهمه بصعوبة أكثر ، وبالاضافة الى ذلك ، فقد عرف هولتر Holter الشريط الـذى يلف حول الـذراع بأنـه كان من ناحية اختـلافه عن الطراز عريضـا دائما ومذهبا stets gleich breit und golden gefärbt نفس المرجع صفحة ٢١) . وبنـاء على ذلك فان الشخصية الهامة فى صورة الصفحة الأولى من مخطوط الحريرى بفينا والتى ترتدى على معطفها « السلارى » شريط ذراع Armstreifen فقط ليس طرازا أصيلا ، وفضلا عن ذلك فان كلا منا يريد معرفة فى أى نص مملوكى قرأ هولتر ، Holter ان الطـراز كان يتراوح عرضه بين ١ سم الى ٥٥ سم حسب مركز الشخص نفسه schwankte nach der Hohe der Auszeichnung in seiner Breite von 1-55 cm.

التدهور النسبى الذى لحق هذه العلامة المميزة • يجب أن نضع فى الحسبان أن الطراز الحقيقى كان يختص به فقط من يمتلكون أرضـــا مقطعـــة منحت لهم ويطلق عليها اسم « اقطاع » 'Iqtâ ولم يكن لأى موظف من طبقة صغيرة ، كالذى يعمل بالاجر اليومى ، أى « من هو بالجامكية » حق ارتداء شرائط الطراز (١) •

ومثل كثير من وسائل الترف الاخرى نجد أن محمد بن قلاوون قد أدخل لأول مرة الطراز الذهب (٢) ، ثم نقرأ بالتالى ـ كقاعدة متبعة ـ عن شرائط الديباج المنسوج بالذهب « طرز زركش » (٣) • وقد أدخل الامير الشهـــير يلبغا شريطا عريضا خاصا بالكم ، وهو الذى أصبح معروفا من بعده باسم « الطراز اليلبغاوى » (٤) •

وكان لباس القدم للطبقة العسكرية يشتمل غالبا على حـــذاء برقبة طويلة يطلق عليه اسم « خف » Khuff (٥) • وكان من المألوف صنع خف الشتاء من جلد أصفر اللون يطلق عليه اسم « أديم » مستورد من الطائف ، أو من جلد أسود مستورد من بلغاريا (٦) • وكان موضـــع تقدير عظيم فى كل البلاد الشرقية خلال القرون الوسـطى • وقد كانت الاخفاف ذات الرقاب من المألوف لبسها فى فصل الصيف (٧) طبقا لما جرت عليه العادة • ولمعرفة خصائص الخف كحذاء برقبة من الجلد فانه يرى مصورا جيدا فى اللوحة رقم ٢ ، حيث يرتدى الشخص الأول والثالث والرابع والخامس من الجهة اليسرى طماقات فوق أخفافهم ذات رقاب طويلة وأحيانا نرى بوضوح الحياكة الرأسية ، مثل التى نراها فى اللوحـــــة رقم ١٦ ، وأحيانا كانت الأخفاف لها أربطة متككة • ويرتبط بالخف مهاميز

---

(١) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤١ ، سطر ٢ الخطط ، الجـــزء الثـــانى صفحة ٢١٧ ، سطر ١١ وما بعده ، ومع ذلك كان المماليك يظهرون بين الفينـــة والفينة فى معاطف لها أكمام عليها بنود (انظر السلوك الجزء الأول ، صفحة ٩١٥ سطر ١١) •

(٢) ابن اياس الجزء الأول ، صفحة ١٧٣ ، سطر ١٦ •

(٣) ابن اياس الجزء الأول ، صفحة ٣٠٥ ، سطر ٦ من أسفل وغالبا فى أماكن أخرى •

(٤) ابن اياس الجزء الأول ، صفحة ٢١٩ سطر ١١ وما بعده •

(٥) النجوم الزاهرة ، طبعة بوبر ، الجزء السابع صفحة ١٧٦ ، سطور مختلفة •

(٦) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤١ ، سطر ٤ الخطط الجزء الثانى ، صفحة ٩٨ سطر ٤ من أسفل ، قاموس الملابس ، صفحة ١٥٦ •

(٧) صبح الأعشى الجزء الرابع ، صفحة ٤١ ، سطر ٣ وما بعده •

مكفتة « مسقطة » (١) بالفضة أو الذهب ٠ وكان الأمراء من أجناد الحلقة الذين يتمتعون بأقطاع يخول لهم استعمال المهاميز الذهبية (٢)٠ الا أن هذا كان ساريا فقط فى عصر المماليك البحرية ، وقد حدث فى عصر المقريزى أنه لما شملت الفاقة البلاد ، غدا من المستحيل التمادى فى مثل هذا البذخ ، مع استثناء قلة من الطبقة الرفيعة (٣) ٠

وكان من المعتاد ارتداء حذاء فوق الخف يطلق عليه اسم « سقمان » Suqmân (٤) ويوجد نوع آخر من الأحذية ، كان على ما يظهر أكثر ثقلا من الخف ، ويطلق عليه اسم « ترجيل » Tarjîl (٥) أو « مركوب » Markûb (٦) ، وكان من المألوف صنعه من جلد مراكشى أحمر اللون ، له مقدم رفيع يلتوى الي أعلي (٧) ٠

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى ،صفحة ٢١٧ ، سطر ٨ « خف ومهماز » فى سنة ٨٥٤ هجرية ، النجوم ، طبعة بوبر ، الجزء السابع ، صفحة ١٩٨ ، سطر ٩ ٠

(٢) صبح الأعشى ، الجزء الرابع صفحة ٤١ سطر ٦ الخطط الجزء الثانى ، صفحة ٢١٧ ، سطر ١١ وما بعده ٠ (لم ترد صفحات صبح الأعشى فى الأصل الانجليزى)

(٣) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٧ ، الأسطر جميعها ، صفحة ٩٨ ، سطر ١ ٠

(٤) دوزى ملحق القواميس ، تحت المادة ، الجزء الأول ، صفحة ٦٦٤ ، الخطط الجزء الثانى ، صفحة ٩٨ ، سطر ٤ من أسفل وما بعده ٠

(٥) دوزى ملحق القواميس ، تحت المادة ، الجزء الأول صفحة ٥١٥

(٦) دوزى ، قاموس الملابس صفحة ١٩١ ، وملحق القواميس ، تحت المادة الجزء الأول صفحة ٥٥٤ (والمراجع الأدبية) ٠

(٧) وبشأن النوعين الأخيرين ، اتخذت الحيطة المعتادة ، وقد اشير اليهما فقط فى قصص ألف ليلة وليلة ، وليس فى أى مرجع آخر معاصر ٠

أسلحة ودروع



وأياما كانت معلوماتنا عن النماذج الحالية من الملابس المملوكيــة فاننا نعرف عن « ملابس المماليك المعدنية » (اذا جاز لنا أن نستعمل هذا التعبير) أكثر مما نعرف عن ملابسهم المنسوجة • وقد نشر الكثــير من قطع الاسلحة والدروع المملوكية ، أو على الأقل ، وصفت بين الفينــة والفينة فى كتب الأدب أكثر من أى أنواع أخرى من ملابســهم ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب لعل الرئيسى منها ما يلى :

(أ) ان الاسلحة والدروع التى حملها معه السلطان سليم الأول الى بلاده بعد انتصاره على دولة المماليك ، ظلت محفوظة بطريقة ممتــازة للغاية ، بين مجموعة كنوز متحف طوب قابوسراى •

(ب) ان بعض قطع من التى كانت محفوظة فى مخازن كنيســة القديسة ايرين St. Irene سابقا فى استنبول وجدت طريقهــا الى الخارج وأصبحت من بين مجموعات أوربية وأمريكية خاصة وعامة •

(ج) توجد على الأقل مجموعة ، نسبت خطأ الى عصر الصليبيين ، فوجهت اليها عناية أفضل مما لو كانت منســوبة لغير هذا العصر ، الا أن الفقرة التى كتبهــا ماكس فان برشــــم Max van Berchen والتى يذهب فيها الى أن « دراسة الأسلحة والدروع الاسلامية ، ينقصها حتى الآن الأســاس العلمى بسبب عدم استقصاء المعلومات الدقيقــة الخاصــة بالتاريخ والأماكن » يطابق هــذا القول الحقيقة الآن مثلمــا طابقها عندما كتب منذ أكثر من أربعين عاما مضت (١)•

---

(١) ماسوار Macoir خوذة باسم الســلطان محمــد الناصر (فى مجــلة المتحف الملكى ببروكسل سنة ١٩٠٩ صفحة ٧٢)
Bulletin des Musées Royaux, Bruxelles, 1909, p. 72.

وقد استخدم العرب الدروع حتى قبل الاسلام ، وكانت تشتمل وقتئذ على قميص من الزرد يطلق عليه اسم « درع » يكسو معظم الجسم (١) • وقد جرت العادة بأن تحتفظ الأسرة بقميص الزرد لتتوارثه الذرية المتعاقبة كأثمن المقتنيات ، وكثيرا ما كانت تنشب الحروب وتشن الغزوات للحصول على قليل من الأقمصة الزرد (٢) ، ولا توجد اليوم بتاتا قطعة واحدة ترجع بالتأكيد الى العصر الجاهلي • أما النماذج الحالية أو الصور الموثوق بها للزرد الاسلامي فترجع الى بداية العصر الايوبي فقط • والواقع أن الدروع كانت تنتقل من يد الى أخرى لتنتفع بها الأجيال المتتالية (٣) ، ومن أجل هذا السبب أمكن الاحتفاظ بنماذج منها حتى الآن • وهذا بدوره يجعل من الصعب للغاية — حتى في أفضل الحالات — تحديد التاريخ الصحيح لقميص شرقي من الزرد ، وكانت التغييرات التي تستحدث فيه طفيفة عديمة التأثير ، ولا يوجد دليل آخر سوى الكتابات والرنوك المسجلة التي تحدد الخطوط العامة لتطور صناعة الدروع ، وفي أي حشد مملوكي يرجع الى عصر الجراكسة كان من اليسير رؤية أقمصة الزرد الخالص فضلا عن قمصان أخرى من الزرد المقوى برقائق معدنية ودروع من الخشب أو من رقائق المعدن أو العظام على هيئة قشور السمك جنبا الى جنب مع البريجاندينات brigandines وهي قمصان من الجلد مثبت بها حلقات أو رقائق من الزرد أو الصلب •

ويبدو أن لبس الدروع في المجتمع الأيوبي والمملوكي ، كان امتيازا خاصا بالأستقراطية العسكرية — وانا لندين بالشكر الى مذكرات أسامة ابن منقذ (٤) التي أمكن بواسطتها معرفة درع أمير يرجع على الأقل الى غضون العصر الأيوبي • وكان يشتمل على « خوذة » Khudha وقميص

---

(١) انظر ف • ف • شوارزلوس Die waffen der Alten Araber أي (الأسلحة عند العرب القدماء) صفحة ٣٢٢ وما بعدها القلقشندي ، صبح الأعشى ، الجزء الثاني ، ص ١٣٥ ، الأسطر جميعها •

(٢) انظر مثلا ، الاغارة على السموءل بن عدي صاحب قلعة الابلق من أجل الحصول على زرد امرىء القيس •

(٣) انظر مثلا ، قطعا من الأسلحة والدروع ، كانت متاعا سابقا للمماليك المتوفين وزعت في السنة التالية فيما بين حرس السلطان من الخاصكية ، ابن اياس الجزء الرابع، صفحة ٣٥٩/٣٦٠ ، ومثال آخر ورد في ص ٣٠١ سطر ١٢ — ١٥ •

(٤) في الصفحات التالية من طبعة P.Z. Hitti مذكرات أسامة المعنونة بـ « كتاب الاعتبار » ، برنستون Princeton سنة ١٩٣٠ ، قد وردت فيها • ومستواه أعلى بكثير من مستوى المجهود الزائد لدرنبورج Derenbourg

من الزرد (درع أو زردية) وجوارب طويلة تكسو الساق يطلق عليها اسم « رانات » Rânât (١) ، وطماقات للأرجل يطلق عليها اسم « ساق الموزة » أو « كلسات الزرد » وأحذية برقبة طويلة تسمى « خفا » مزودة « بمهماز » ، بينما كانت أسلحة الأمير تحتوى على «سيف» وخنجر يطلق عليه اسم «دشن» Dashan ، أو « سيخ » Sikh أو «نمجة» Nimza أو « سكين » ، ورمح أو قنطارية qantâriyya وحربة وترس أو درقة .

ويوجد ثلاثة أنواع من الدروع (٢) ، كانت مستعملة فى الغالب آنذاك وهى قميص الزرد ، والدرع ذات الرقائق المعدنية ، والبريجاندين، وكان أكثر الأنواع شيوعا هو القميص المصنوع من الزرد الخالص ، الذى لم يتخل عنه ، وظل مستخدما فى الشرق غالبا الى وقتنا الراهن ، هذا مع أنه كثيرا ما ورد ذكر أقمصة الزرد فى المصادر العربية دون تقديم أية مواصفات تفصيلية عنها ، وخاصة فى خلال العصرالعربى ولكن عن طريق الاشارات العرضية ، يمكن أن نستنتج أنهم كانوا يرتدون قميصا واحدا أو اثنين معا ، قصارا أو طوالا ، على أن بعضا منها لم يكن بالطويل فحسب بل كان يسترسل الى الأرض ويطلق عليه اسم «زرديات سابلة » أو « زردية مسبلة » كانت تغطى ساقى الفارس (٣) . وبعض أقمصة الزرد الشركسية المتأخرة ، كانت لها ياقات عريضة تغطى الرقبة (٤) .

وكانت حلقات هذا النوع وسلاسل الزرد التى ترجع الى عصر مبكر تحمل أحيانا زخارف مطبوعة وبعض هذه الزخارف كان بارزا ،

---

(١) أسامة ، المصدر نفسه صفحة ١٢٦ سطر ٨ ومن المحتمل أن تكون طماقات .

(٢) « رجل يرتدى درعا » يطلق عليه باللغة العربية الفصحى « مدرع » أسامة المصدر نفسه صفحة ٣٢ ، سطر ٧ ولكن الكلمة المألوفة لرجل يرتدى درعا هى « لابس او ملبس » اى أنه يرتديه ، نفس المصدر ، صفحة ٤٨ السطر الأخير ، صفحة ٥١ ، سطر ٤ من أسفل « كزاغند » Kazâghand انظر السلوك طبعة زيادة ، الجزء الأول صفحة ٥١٧ سطر ٨ و ١٨ السيوطى ، تاريخ الملك الأشرف قايتباى ، طبعة ١ . فارموند Wahrmund ، صفحة ١٣ ، سطر ٤ من النص العربى ، ابن اياس الجزء الرابع صفحة ٤١٩ سطر ٤ وفى كل موضوع نلمس فيه أهمية دور الدرع.

(٣) السلوك الجزء الأول صفحة ٦٠٨ سطر ١٢ وكاترمير ، سلاطين المماليك الجزء الأول (ب) صفحة ١١٣ آخرها وحاشية ١٣٨ .

(٤) انظر ماير Mayer الاسلحة الشرقية « شكل رقم ١ » .

(٥) هـ. ستوكلين Stocklein أسلحة ودروع فى « موسوعة الفن الفارسى » الجزء الثالث صفحة ٢٥٦٠ ، حاشية ٢ .

في هيئة خطوط أو قنوات أو حبيبات أو نصوص كتابية . وكانت كل حلقة من حلقات الزرد الاسلامي تبرشم أحيانا بمسمارين ، من المعدن ينفذان رأسا من ناحية الى أخرى (١) .

وكانت أقمصة الزرد تقوى برقائق مستطيلة من المعدن تتداخل أطرافها بعضها تحت بعض ، ويطلق اسم « جوشن » (٢) وقد عرفت منذ زمن بعيد (٣) . ولكنها كثرت في عصر المماليك الأوائل (٤) وكذلك من بعدهم خلال عصر المماليك الشراكسة ، واقتصر استعمالها في الغالب على الدروع الثمينة الخاصة بالأمراء العظام(٥) . والى هؤلاء الأمراء ينسب أفخم وثاني قميص عربي من الزرد نعرفه ، وهو حاليا في حوزة السيد جورج بولهاك Georges Pauilhac بباريس (٦) . ولا يمكن تحديد هذا الأمير الذي صنع من أجله القميص الا أن رنكه ساعدنا على الوصول الى تحديد تاريخه بكثير من الدقة ، وهو يرجع الى الربع الثالث من القرن

---

(١) ب. دين B. Dean كتيب الاسلحة والدروع ، الطبعة الرابعة ، نيويورك ، سنة ١٩٣٠ صفحة ٢٤٥

(٢) هذا هو التفسير الصحيح لكلمة « جوشن » Jaushan وقد استدل عليه من ترجمة القاموس التركي ، حيث نقرأ عنها في الجزء الثالث ، صفحة ٦٠٩ : قال الفقير المترجم ان الجوشن في بلاد فارس هو اسم لنوع حلة من الدروع مصنوعة على نمط قميص الزرد الذي يطلق عليه اسم « زره » ولكن رغم انه على طراز قميص الزرد ، الا أن الأخير يتكون من حلقات فقط ، بينما الجوشن يشتمل على حلقات من الزرد وضع بين كل واحدة منها والأخرى قطعة صغيرة من القصدير «تنك» Teneke وربما وجد دليل آخر عن التعبير بلفظ « صفائح الجوشن » أي رقائق الجوشن المعدنية ، في أسامة ـ المصدر السابق صفحة ٥٢ ، سطر ١٢ وفضلا عما تقدم فقد ورد في قصة أسامة عن جوشن أبيه ، المصدر نفسه ، صفحة ٥٢ سطر ٥ حيث يذكر أن به « كلاب » Kullab على جانبه . ولا يوجد مواضع للابازيم في قميص الزرد العادي ولكنها توجد في أقمصة الزرد المقواة برقائق معدنية .

(٣) شوارزلوس Schwarzlose المصدر السابق ، صفحة ٣٣٨ ، والفقرات الواردة في حاشية رقم ٥ أسامة ، المصدر السابق ، صفحة ٥٢ سطر ٥ ، ١٢ .

(٤) السلوك الجزء الأول صفحة ٥٦٣ السطر الأخير ، صفحة ٦٣٦ ، سطر ١١

(٥) النجوم ، طبعة بوبر Popper الجزء الأول ، صفحة ٢٥٦ سطر ١٥ ، ابن اياس ، المصدر السابق الجزء الرابع ، صفحة ٤١٣ سطر ١

(٦) كانت توجد أصلا في مجموعة « البارون فيدال دي ليفي » Baron Vidal de Lévy ثم اقتناها السيد / بولهاك في سنة ١٩٠٢ ، ويبلغ ارتفاع الواحدة من صفائح المعدن ٢٥ سم وعرضها ١٣٫٥ سم ، انظر لوحة رقم ٦ .

الخامس عشر ، أما الدرع الخاصة بقايتباى ، التى يقرب شكلها كثيرا جدا من شكل الدرع التى نحن بصددها فقد صنعت بعدها بزمن قليل (١)

هذا ولم يرد ذكر عن النوع الثانى نقصد به الدرع المصنوعة من المعدن الخالص ، في كتب الأدب العربية المتعلقة بالقرون الوسـطى ، كما لا يوجد أى دليل شرقى على أنه كان يشكل جزءا من عدة الحرب عند المماليك ، ورغم ذلك فلا بد أنهم كانوا على علم تام به كما يستـدل من مصـدرين على درجة كبيرة من الاختـلاف . فالأول يوضـح أن جيرانهم المباشرين وهم أتراك آسيا الصغرى ، قد ألفوا ارتداءه ، ويدلنا على ذلك نقش بارز يوجـد فى شـنلي كشـك Çiniçi Kôsk فى استانبول (٢) . أما المصدر الثانى زودتنا به نوافذ الزجـاج المدهـون الذى يوجد بكنيسة القديس دينيس Denis بباريس ، وهى نوافذ ليست ذات شأن ولكن أهميتها فيما عليها من رسومات(٣) ترجع الى القرن الثامن عشر ، حيث يشاهد فيها أمراء مسلمون يقاتلون فرسانا مسيحيين، ويرى فى كل من المصدرين الدرع نفسـه غالبا ، ويمـكن أن تفسر على أنها أحد اثنين اما درع من المعـدن الخالص أو « جازران » Jazerans وهى درع من الجلد مكسوة بصفائح كبيرة من المعدن ، تشـبه تمامـا تلك المجموعـات المختلفـة من الدروع الخشـبية أو المعدنيـة Splint armour التى استخـدمها تتر آسيا الوسـطى والمغول (٤)

وفى خلال العصر المملوكى كانت الدرع ذات الصفائح المعدنيـة

(١) ستوكلين Stocklein أسلحة فى متحف طوب قابوسراى (فى مجـلة الفن الاسـلامى Ars Islamica الجزء الأول ، صفحة ٢١٣ ، شكل رقم ١٠) عبدالرحمن زكى « بعض قطع الاسلحة » ، المقتطف عدد ابريل سنة ١٩٤٠ لوحة رقم ٣) .

(٢) انظر أ. كونل Kühnel, Die Sammlung Türkischer und Islamischer Kunst برلين ، سنة ١٩٣٨ ، صفحة ١٦ ولوحة ٦ ، ج. منـدل G. Mendel كتالوج اشغال النحت الاغريقى ، والرومانى ، والبيزنطى ، القسطنطينية سنة ١٩١٤ الجزء الثانى رقم ٧٩٢ والمصادر الوافية للغاية للنصوص الأدبية التى وردت فى المرجع الاخير .

(٣) B. de Montefaucon, Les Monuments de la Monarchie Française باريس سنة ١٧٢٩ ، الجزء الأول صـفحة ٣٨٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، وبصفة خاصة اللوحات رقم ٥٠ ــ ١ ، ٥٢ ــ ٥ ، ٥٤ ــ ٩

(٤) انظـر بحـث B. Thordman عن الدروع الآسـيوية فى أوربا (مجلة Acta Archaeologica سنة ١٩٣٣) الجزء الرابع ، صفحة ١٢٨ ، وما بعدها صفحة ١٣٩ ، صـفحة ١٤٣ ، والأشكال ١١ ، ١٣ وانظر كذلك Armour from Wisby حيث نوقشت المشكلة فيها بطريقة دقيقة للغاية .

الثقيلة اما أنه قد شاع استعمالهـــا أو توطدت تمـــاما فى أوربا (١) والدروع المعدنية الخالصة ـ وأقصد بها الدرع المكونة أســاسا من صفائح معدنية كبيرة صلبة ـ لم يصنعها المسلمون بتاتا ، والنموذج الوحيـــد الذى يبدو أنه كان مســـتخدما محفوظ الآن فى متحف ســـتبرت Museo Scibbert (٢) فى فلورنســـا ، ويتضـــح أنه من صناعة أوربيـــة بحتة . ويدعم هذا الرأى وجود الرنك مغلوطا بالاضافة الى خلوه من أى معنى ، ثم اغفال النصوص الكتابية العربية المألوفة ، فضلا عن طابع زخرفته ، وان كان هذا لا يمس تفاصيل تصميمه أو ما يتعلق به . وقد وقع هرتس بك Herz Bey فى خطا واضح حين أعتبر هذه الدرعاسلامية بلا جدال .

وهناك مشكلة فريدة فى نوعها Sui Generis ونعنى بها الثوب الفوقانى المعطف من الزى الاسلامى (٣) . ومسألة استخدامه فى الغرب للوقاية من حرارة الجو أمر غير موثوق بـــه (٤) . وقد تكرم الســـير جمس مان Sir James Mann بتوجيه انتباهى مشكورا الى تلك الحقيقة ،

---

(١) F.M. Kelly و R. Schwabe, «مختصر تاريخ الأزيـــاء والدروع» A short history of Costume and Armour من سنة ١٠٦٦ الى ١٨٠٠ نيويورك ولندن ١٩٣١ صفحة ٦٢ وما بعدها .

(٢) م. هـــــرتز M. Herz أسلحة ودروع اسلامية (فى مجلة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية سنة ١٩١٠) العدد السابع ، صفحة ١١ ، لوحة رقم ٨ .

(٣) توجد فقرة فى مذكرات أسامة ، المصدر نفسه صفحة ٦٢ سطر ١ ، تشير الى فارس افرنجى يرتدى قميصا من الزرد تحت « تشهير » Tashhir من الحرير الأخضر والأصفر ، ومن المحتمل أنه قد أريد بذلك ، التنويه عن معطف فوقانى ، وقد استخدمت كلمة « شهر » Shahhara للدلالة على ملابس متنوعة الألوان او على ملابس ذات كلف لهـــا الوان مختلفة عن لون الملبس نفسه ، ومن جهـــة أخرى ، فالقصـــة جلية بالنسبة « للتشهير » الذى كان يغطى درع الزرد كلية مما جعل أسامة يقتنع بأن الفارس الفرنجى لا يرتدى درعا تحت هذا الثوب .

(٤) Kelly و Shwabe المرجع السابق صفحة ٥٤ وابو شامة ، كتـــاب الروضتين الجزء الأول صفحة ١٦٦ ســـطر ١٢ حيث يذكر ان الجيوش انتظرت الى ان اشتدت حرارة النهار ، فصار حديد الدروع يلهب أجسام الرجال « التهب على أجساد الرجال » ـ وكذلك حدث بالمثل لوالد أسامة الجريح ، المرجع نفسه ، صـــفحة ٥٢ ، سطر ١٣ و ١٢ وقد اعتقد فى بادىء الأمر أن آلامه كانت بسبب صفائح درعه الملتهبة ، ولكن مما يبعث على الشك أن أيا من تلك الحالتين كان سببا للضيق الى هذه الدرجة .

وهى أنه فى العصور المبكرة كانت الدروع تلبس فوق ثوب طويل (١) ، مثلما كان متبعا فى الشرق تماما باستثناء تلك الحالات المتعددة التى كان يلبس فيها الدرع تحت المعطف قصد اخفاء حقيقة أن المبعوث كان مسلحا ، وقد أشار أحد كتاب القرن الخامس عشر الى أن من بين علامات السلطان المميزة قميصا من الزرد « درعا داودية » (٢)، كان يرتديه تحت ملابسه عند السفر ، أو عند ظهوره بين الجمهور فى مواكب شعبية حتى يكون فى حمى من أعدائه الخونة (٣) . وقد ذكر ابن اياس قصة الأمير « سودون » الذى داخلته الريبة فى أمر يلبغا الناصرى سنة ٧٩١ هجرية ، فرفض والى حلب تلبية طلب استدعائه ، واستمر كذلك الى أن استدعى للمرة الرابعة ، فظهر فى مجلس السلطان لابسا قميصا من « زردية » تحت ملابسه (٤) . وقص علينا ابن تغرى بردى فى تعبير مبهم كيف أن الأمير ططر قد توفى من مرض لحق به بسبب ارتدائه درعا باردة لفترة طويلة جدا تحت ملابسه (٥) .

وبالمثل ، فان الثوب الفوقانى (المعطف) لا يمكن أن يكون وافدا على البلاد الشرقية . اذ يوجد على صخرة قريبة من مدينة فيروز أباد ، صورة لأردشير الأول الملك الساسانى ، وهو يرتدى معطفا فوقانيا فوق قميص الزرد (٦) أثناء محاربته للملك أردفان الخامس Ardavân V والبريجاندين الذى يطلق عليه اسم « كزاغند » Kazâghand

(١) : Kelly و Schwabe المرجع السابق لوحة رقم ٢٠ و ٢١ مكرر، وهذا ينعكس فى قصص ألف ليلة وليلة حيث يوصف فارس مسيحى على أنه يرتدى درعا ضيقة من حلقات الزرد فوق ثوب طويل من الحرير الأطلسى الأزرق . انظر قاموس الملابس صفحة ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

(٢) هذا هو ارفع ما يمكن أن يمتدح به مسلم « درعا » .

(٣) المقصد ، مخطوط ، باريس ، عربى رقم ٤٤٣٩ ، ورقه رقم ١٢٢ وجه سطر ٢ ـ ٤ .

(٤) ابن أياس ، الجزء الأول صفحة ٢٧٠ ، سطر ٢ .

(٥) النجوم ، طبعة بوبر ، الجزء السادس صفحة ٥٠٦ ، ٥٠٧ وهناك مثل مشابه للتخفى يتعلق بصلاح الدين ، الذى اعتاد ارتداء « مغفر الزرد » تحت « قلنسوة مدببة » ، انظر ابن الأثير ، الجزء الحادى عشر ، صفحة ٢٨٥ ، سطر ٩ وما بعده وأيضا أبو شامة ، المصدر السابق ، الجزء الأول صفحة ٢٥٨ سطر ٥ و ٢٤ سلاطين المماليك ، الجزء الأول ب صفحة ٧٩ حاشيه ١ ، ٥ عن ابن قاضى شهبه .

(٦) أ . هرتزفلد E. Herzfeld تاريخ ايران الأثرى ، لندن سنة ١٩٣٥ لوحة رقم ١١ من أعلى .

أشير اليه كثيرا فى القرن الثالث عشر (١) ، فهـو لا بد أن يكون حـلة شائعة الاستعمال فى تلك الأيام ، ولكنه كان فخما الى درجـة حملت السلطان على ارتدائه كذلك (٢) ٠ وانى لأعجب من قميصى الزرد ، اللذين كان يلبسهما والد أسامة بحيث كان القصير منهما فوق الطويل كما كان لكل منهما كسوة من الكتان ، فضلا عن كونه محشـوا بنفايات الحـرير وشعر الأرنب (٣) ، فهما فى الحقيقة ليسا من نوع البريجاندين ، فيمـا عدا تلك الصفائح العادية التى حل محلها حلقات من الزرد ٠ ولكن فى خلال العصر المملوكى المبكر كانت الدروع البريجاندين الحقيقية غالبا ما يشار اليها فى نصوصنا ٠ فلما هب أربعة آلاف عربى من قبيلة مرة ، جاءوا صحبة الأمير أحمد بن حاجى من العراق لنصرة قلاوون عام ١٢٨٠ ميلادية (٤) كانوا يرتدون دروعا من البريجاندين الأحمـر من « الأطلس المعدنى » وديباج من آسيا الصغرى وهو «الديباج الرومى» (٥) وقد بقى نموذج واحد من البريجاندين المملوكى محفـوظا حاليا بين مقتنيات المتحـف الوطنى بمدينة فلورنسا ـ ووصفه هرتس بك بدقة واستفاضة ٠ وهـذا النموذج عبارة عن سترة قصيرة ، لا يزيد طولها عن ٧٠ س٠م ، مصنوعة من قماش متين جدا ، ولها أكمام طويلة وياقة عريضة ، وهى مكسوة بالمخمل الأحمر القرمزى المرصع بمسامير نحاسية صغيرة (٦) ٠

---

(١) أسامة ٠ المصدر السابق ٠ صفحة ٤٦ حاشية ٤٤ و صفحة ١٠٠ ، سطر ١ ـ ٣ و ٧ ـ ٩ وفى أماكن متفـرقة ، السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٢٥٣ ، سطر ١٦، وصفحة ٦٩٠ سطر ١٠ ٠

(٢) كان من المألوف أن يرتديه صـلاح الدين دائما أثناء ركوبه ، أبو شـامة ، المصدر السابق ، الجزء الثانى ، صفحة ٢١٢ سطر ١٧ وكان له ياقة عريضـة ولم يكن فى استطاعة سكين أن تقطعه ، ولا يمكن للنصـل أن ينفذ منه ليلحق بالجسد ٠ ابن الأثير ، المصدر السابق ، الجزء الحادى عشر ، صفحة ٢٨٥ ، سطر ١٣ وقد ارسل الى مصر كزاغند الملك العزيز (توفى سنة ١٢٣٦ ميلادية) وقميصـه الزرد « زرديه » بعـد موته ، انظـر G.W. Freytag, Locmani Fabulae منتخبات من زبدة الحلب من تاريخ حلب) بون سنة ١٨٢٣ ، صفحة ٤٦ ، سطر ١٤ ، السلوك ، الجزء الأول، صفحة ٢٥٣ ، سطر ١٦ ٠

(٣) أسامة ، المصدر السابق ، صفحة ١٠٠ ، سطر ٧ ـ ٩ ، انظر أيضا فيليب حتى « نبيل سوى عربى » نيويورك سنة ١٩٢٩ ، صـفحة ١٣٠ حاشـية ١٨٨٠

(٤) قد أخطأ المؤلف فى احتساب هذه السنة هجرية وهى فى الحقيقة ميلادية

(٥) السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٦٩٠ ، سطر ١ ٠

(٦) Hertz المرجع السـابق صفحة ٥ ـ ٧ ، اللوحتـان ٣ ، ٤ ٠ ويمـكن تذكر احداها بوضوح من وصف المقريزى لأقمصة مدرعة بريجاندين فى كنوز الفاطميين « والكزاغندات الملبسة ديباجا المكوكبة بكواكب فضة » ٠ ولكلمة « كراعيدات » =

والنص الكتابى الموجود على الياقة : هو (عز لمولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ، أعز الله أنصاره) ويمكن تأريخ هذا البريجاندين بدقة بين عامى ١٤٣٨ ـ ١٤٥٦ ميلادية (١) ٠

وفى بداية القرن الخامس عشر كان يطلق على البريجاندين اسم « قرقل » Qarqal ويتضح هذا جليا من التعريف الذى قدمه القلقشندى اذ قال : « والدرع ـ القرقل » يصنع من صفائح الحديد المغشى بالديباج الأحمر والأصفر (٢) ٠ وخص ابن تغرى بردى بالذكر درعا بريجاندين ليس لها أكمام (٣) ٠ وعند الحديث عن القميص الزرد ، علق عليه القلقشندى بأنه كان من المألوف أن يرتديه العرب عند القتال ، وليس كذلك « الآن » ويعنى بداية القرن الخامس عشر ، وكانت طريقة تصنيع الدرع ـ القرقل ، هى أن يصنع من صفائح الحديد المجمعة مع بعضها بدقة ومتانة (٤) ٠ ويجب بهذه المناسبة ملاحظة ان المؤلف لم يكرر فى وصفه أن صفائح القرقل كانت تغشى بالحرير أو المخمل ، ومع ذلك فان

= Kará'îdat فى النسخة المطبوعة غلطة واضحة (الخطط ، الجزء الأول صفحة ٣٩٧ ، سطر ٢٤) ٠

(١) وانى أتقدم بالشكر الى الدكتور د٠ س٠ رايس Dr. D.S. Rice الذى قام بدراسة البريجاندين حديثا وقدم لى مجموعة من الملاحظات الخاصة بالرصائع المثبتة فيه ٠ (يلاحظ أن النص هنا ترجمة عن الانجليزية) ٠

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ١١ فى آخرها ٠ واذا استعمل لأغراض خاصة كان يغطى بأقمشة مختلفه ، فمثلا ، كان لزاما على الجنود الذين يستعملون أسلحة نارية أن يرتدوا «قرقل» مكسو بنوع من القماش الوبرى يطلق عليه اسم « بلس » Balas ، انظر رينو وفافية Reinaud et Favé Du feu Crégeois فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٤٩ ، صفحة ٣٢١ حاشية ١ ، استنادا الى محمد ابن منكليبغا فى التدبيرات السلطانية ، وصفحة ٣٢٣ ، حاشية ١ ، مما ورد فى « كتاب المخزون » وفى كتب الحوليات العربية لا نجد فارقا بين الحديد والصلب ٠ ولو أنه كان يطلق عليه فعلا اسم « فولاذ » وكلمة « صلب » Steel كان يطلق عليها فى معظم الأحيان « حديد ذكر » أى بمعنى حديد مذكر ، انظر القلقشندى صبح الأعشى ، الجزء الثانى ، صفحة ١٣٢ ، سطر ٥ من أسفل ٠

(٣) النجوم ، طبعة بوبر Popper الجزء الخامس ، صفحة ٥٦٠ ، سطر ١١ والجزء السابع صفحة ٤١٧ ، سطر ١٢ ومابعده « قرقل مخمل أحمر بغير أكمام » وفى ملاحظات كاترمير على موضوع النار الحارقة feu Grégeois (فى المجلة الآسيوية سنة ١٨٥٠ المجموعة الرابعة ، الجزء الرابع عشر صفحة ٢٦٩) استلزم وجود فقرات قليلة اضافية ، توضح أنه كان من المألوف ارتداء القرقل بدون أكمام ٠

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء الثانى ، صفحة ١٣٦ ، سطر ٦ ومابعده ٠

القول فى النهاية بأن القرقل لا يعنى شيئا آخر غير البريجاندين قول غير صحيح ، حيث اتضح تماما أن الأقمصة الزرد الخالية من الصفائح كان يطلق عليها اسم « زردية » وتلك التى بصفائح كان يطلق عليها اسم « جوشن » (١) .

والدروع مثلها كمثل السيوف لابد من تركها فى غرفة قبل الدخول على السلطان والمثول بين يديه (٢) ، وكان ذلك يعتبر اجراء حتميا يتخذ على سبيل الوقاية ، كما يبدو من تلك الحوادث الكثيرة التى وقعت . ومن جهة أخرى فقد أوقفتنا فقرات كثيرة من كتب الأدب على أن أمراء الشرق كانوا قد اعتادوا الخروج غير مسلحين ولا يتدرعون الا فى اللحظة الأخيرة (٣) .

ويمكن للمرء فى ضوء قطع رئيسية قليلة — تحديد تطور «الخوذة» بالدقة ، فقد خص القلقشندى (٤) منها بالذكر نوعين مختلفين هما : (أ) البيضة Baida وهى التى تقى الرأس فيما عدا الرقبة والأذنين (ب) والمغفر Mighfar وهو وقاية مماثلة — اذا كان فهمى للقلقشندى صحيحا — مزودة بشملة من الزرد تغطى الرقبة والأذنين . وفى الوقت نفسه وجد طراز مستعمل من الخوذ أكثر قدما ، يغطى الأذنين والعنق جيدا ، ولكنه ليس من الزرد ، وقد ظلت هذه الخوذة مستعملة منذ القرن الثامن الى القرن الرابع عشر على الأقل . ويمكن رؤية نموذج فخم منها من عصر مبكر منقوشة على قطعة من الحجر ، كشف عنها س.د. برامكى Baramki فى القصر الاموى بخربة المفجر قريبا من أريحا Jericho (٥)

---

(١) أنظر صفحة ٦٨ حاشية ٨ .

(٢) جوانفيل Joinville طبعة ، ن . دى . ويللى N. De Wailly باريس سنة ١٨٧٤ ، صفحة ١٨٨ .

(٣) أبو شامة ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٨ اسطر مختلفة : أسامة المصدر السابق ، صفحة ١٠٠ ، سطر ٣ وصفحة ١٥٢ سطر ٢٠ — ٢٢ . حيث تحدث عن « الكزاغاند » انظر أيضا أسامة ، المصدر السابق ، صفحة ٤٠ ، اسطر مختلفة حيث ورد أن فارسا خلع قميصه الزرد (درع) فى سبيل ان يكفل لنفسه الخفة « تخفف » حتى يمكنه المرور .

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء الثانى ، صفحة ١٤٢ سطر ١٤ — ١٩ .

(٥) انظر ماير Mayer الأسلحة الشرقية ، شكل رقم ١٠ ، هملتون Hamilton ، نحت الأشكال الحية فى خربة المفجر (نشرة مصلحة الآثار العدد الرابع عشر ، لوحة رقم ٣٩ ، شكل ١٤) Quarterly, Dpt. of Antiquities, Vol. XIV

بينما يمكن رؤية نماذج أخرى من نفس النوع ولكنها متأخرة جدا ، وذلك فى منمنمات تصور المسلمين فى « تاريخ القديس لويس » الذى كتبه جوان جيل Joinville (١) حيث كان المغفر يصنع أحيانا بغطاء للانف والى هذين التعبيرين(المغفر والبيضاء)يجب أن يضاف تعبير ثالث هو ، «الخوذة» وفى عصر المماليك أصبحت تعبيرا شائعا دون الدلالة على نوع خاص (٢) وليس بالمستحيل وجود نوع رابع من أغطية الرأس المدرعة ، يتكون من مجرد صفائح حديدية أو على هيئة قشور الأسماك ويوجد منه نموذج جميل فريد فى نوعه من عصر متأخر فى متحف Vleeschhuis بمدينة انتويرب Antwerp ، كما وجد أيضا فى العصر الأيوبى (٣) . أما النوع المبكر المؤكد للخوذة الاسلامية (٤) ، والذى صنع (٥) ، بيكون أكثر ملاءمة يرجع فقط الى عصر محمد بن قلاوون ، فهو عبارة عن قلنسوة متناسبة الطول (٦)،مخروطية الشكل مصنوعة من الحديد ، ومزودة بشملة

---

(١) مخطوطات باريس ، رقم ٥٧١٦ ، ١٣٥٦٨ Fr., نشرت فى المصدر السابق صفحة ٦٥٩ وفى مواجهة الصحيفة رقم ٨٨ .

(٢) انظر زترشتاين Zetterstéen صفحة ١١٥ ، أسط مختلفة ، النجوم ، طبعة بوبر ، صفحة ٥٣٠ ، سطر ٨ ، وغالبا فى أماكن أخرى .

(٣) أبو شامة ، الجزء الأول ، صفحة ٢٥٨ ، سطر ٢٤ .

(٤) هرتز Hertz, «Az Iszlâm Mûvészete صفحة ١٨٤ ، شكل رقم ٢٠٦ ، ج . مسوار G. Macoir ، « الخوذة » (فى مجلة المتاحف الملكية ، صفحة ٧٠ ـ ٧٢ ، هرتز Hertz ، الأسلحة (فى مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، سنة ١٩١٠ ، صفحة ٢ ـ ٤ ، لوحة رقم ١ ـ ٢ ، ج . مسوار G. Macoir « المتحف الملكى للاسلحة والدروع » (فى حونيات ، سنة ١٩٢٨ ، صفحة ٤٣ ، شكل ٥١) ، ج. ميجون G. Migeon, Manuel ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، صفحة ٤١٠ ، كتالوج المعرض الدولى للفن الفارسى فى الاكاديمية الملكية للفنون ، طبعة ثالثة ، لندن ، سنة ١٩٣١ ، صفحة ٣٢٥ ، رقم ٨٣١ E : ج. فييت Wiet « المعرض الفارسى » لعام ١٩٣١ القاهرة ١٩٣٣ ، صفحة ٤٥ ، رقم ٤٩ .

(٥) وقد بدا لكل من مسوار Macoir وهرتز Hertz انها هدية مع أنها صنعت خصيصا من أجل استعمال السلطان الشخصى ، هذا ولو أن هرتز Hertz فى المصدر السابق صفحة ١٤ ذكر انه « من الواجب علينا من ثم أن نقتنع بأن وجود اسم سلطان على سلاح أو على احدى الأدوات المنزلية ليس فيه ما ينطوى على أنها ملك للشخصية التى ذكر اسمها (على التحفة) . ولكن على قدر ما أعرف لايوجد دليل على على أن اى أداة ظفرت بتسجيل كتابى يبدأ بالصيغة الآتية « عز لمولانا ... الخ ، » لم تصنع فى الحقيقة لغير الاستعمال الشخصى للسلطان نفسه ، وان الصيغة الصحيحة يجب أن تكون « برسم مولانا » أو ربما أيضا فى صيغة مبسطة «السلطان الملك... الخ » . . .

(٦) وطبقا لما ذكر مسوار Macoir عن « الخوذة Casque» فان اتساعها ١٩ سم .

من الزرد وريشتين مغروستين داخل جرابين (١) ، ولا يتصل بهـــا أجزاء لوقاية الاذنين كمالايوجد بها شفة عليا لصيانة العينين ، وربما كانت بدون وقاية للأنف أصلا (٢) وهى غنية بالزخارف العربية المتشابكة المموهـــــة بالذهب ، ومحوطة بشريط عليه نصوص كتابية بارزة مموهة بالذهب . هذا ولو أن كلتا الريشتين المغروستين قد أضيفتا بعد صنع الخوذة ، ومن المحتمل أن تكونا من زمن معاصر . والزخارف الغنية لهذه الخوذة لا تثير الدهشة ، فقد كانت خوذة صلاح الدين مموهة بالذهب (٣) ، وورد فى مصدر موثوق به من القرن الرابع عشر اشارة الى الخوذة المموهة بالذهب كالتى كان يلبسها المماليك أثناء القتال ، كما حدث على سبيل المثال فى سنة ٧٠٢ هجرية (٤) . وفى ضوء ما يمكن الوقوف عليه ، لم يستعمل المسلمون بتاتا الأقنعة الحديدية للوجه ، وكذلك أيضا لم تستعمل فى عصر الأيوبيين والمماليك هذا على الرغم من أنهم قد رأوا خوذة مماثلة على رءوس الصليبيين (٥) والمغول (٦) . كما لم يستعملوا أيضا درع الزرد التى تغطى الوجه جميعه ، كالتى مثلا ، فى الأنواع التركية والفارسية ، اذ لم تظهر سلاسل الزرد دون شك على أية خوذة اسلامية ، ومع ذلك فان وجودها فى عصر المماليك قد ثبت فعلا من شكل الفارس ذى الخوذة فى الصورة المحفورة

---

(١) وشكل الخوذة يحقق تماما المعنى المقصود من اصطلاح « بيضـــة » Tashlír أى Egg ولكن طالمـــا لها شملة كغطاء للرقبة والأذن فان من الواضـــح انها « مغفـــر » Mighfar

(٢) وهذا لا يعنى أن الانفية Nasal اختراع متأخر . انظر أسامة ، المصدر السابق ، صفحة ٥١ ، سطر ٤ من أسفل ، وقد أشار الى خوذة اسلامية لها انفيـــة كجزء من درع أبيه .

(٣) أبو شامة المصدر السابق ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٢٥ ، سطر ١٦ .

(٤) ل.ف. زترشتاين K.V. Zetterstéen ســــــلاطين المـــــاليك ، طبعــــة ليدن سنة ١٩١٩ ، صفحة ١١٥ السطر الأخير .

(٥) ان هذا الطراز من الخوذ قد عرف على الأقل فى فلسطين وسوريا ، واستدل عليه من الحطام الذى اكتشف فى قلعة القرين (Montfort) اى « قلعة الجبل » انظر ب. دين B. Dean قلعة للصليبيين فى فلســـــطين (فى مجلة متحـــف المتروبوليتان للفنون ، سنة ١٩٢٧ ، العدد الثانى والعشرين ، القســم الثـــانى ، صفحة ٣٦ وما بعدها) وقد أرخ كيللى Kelly وشواب Schwabe الصـــندوق الكامل الذى يشكل القطعة الرئيسية على أنه بعد عام ١٢١٠ ـ ١٢١٥ ، انظــــــر Kelly and Schwabe المصدر السابق صفحة ٥١

(٦) ف. زارد Sarre ، وف.ر. مارتن Martin ، Meisterwerke الجزء الثالث ، لوحة رقم ٢٣٠ ، وغالبا فى أماكن اخرى .

على « معمدانة القديس لويس » حيث تشاهد الزرد وهى تغطى وجهه مع ترك عينيه فقط مكشوفتين (١) .

ويوجد كتيب فى الفنون العسكرية ، وضع فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، يقدم النصيحة التالية بخصوص طريقة وضع الخوذة على الرأس « عند وضع الخوذة على الرأس من الضرورى أن تكون أزرار طاقية الخوذة التى يطلق عليها اسم « قبع » فى الجانب الداخلى لبطانة الخوذة مارة « فى العرى » ، حتى لا تنفصل الخوذة عن القبع .. ويجب أن يصنع الحشو الداخلى للخوذة من الألياف الاسفنجية ذات المســام الدقيقة أى « ضيق الأبخاش » لأن هذا يقى جيدا من التأثير الذى قد ينتج من ضربة قوية تقع فوق الخوذة مباشرة .. والقصد من وراء هذا التصميم ، هو أن المسام العديدة الموجودة فى الياف الاسفنج ستشتت قوة الضربة » (٢) .

وقد سيطر طرازان رئيسيان على الزى الشــائع فى عصر المماليك الجراكسة ، وهما طراز الخوذة الخاصة بمحمد بن قلاوون التى أصبحت أكثر طولا، وأدخل عليها مدارىء لوقاية الأذن والرقبة معا، وكل من هذه الوقايات مصنوع من قطعة معدنية واحدة ، وأدخل عليها الانفية بالاضافة الى الشفة العليا الخاصة بصيانة العينين ، وقد أصبحت تشكل جزءا رئيسيا منها . وهى تشاهد فى خوذة السلطان برسباى بمتحف اللوفر التى يبلغ ارتفاعها ٣٨ سم. (وهذا الارتفاع يعادل ضعف الخوذة الموجودة ببروكسل) وتزينها نصوص كتابية وزخارف جميعها مموهة بالذهب (٣) .

وثمة نوع آخر من الطراز نفسه ، ربما يرجع تاريخه الى ما بعــد عصر برسباى بنصف قرن ، وظل هذا النوع محتفظا بشكل الخوذةالطويلة وينتهى بقمة مستطيلة مدببة ، ويوجد من هذا الطراز نماذج عدة عرفت بشهرتهــا فى متحف « زويج هــــاوس Zeughaus ببرلين وفى قاعة الأسلحة بمتحف «طوب قابو سراى» باستانبول ، على حين أن بعضها يعتبر دون شك عثمانى الطراز . ولنا أن ننتظر ، قبل أن نقطع فى أمــر

(١) انظر د. س. رايس D.S. Rice « معمدانية القديس لويس » لوحة رقم ٣٣

(٢) محمد بن منكليبغا ، المصدر السابق ، ورقة ١٤ ظهر ، سطر ١ وما بعده ، وسطر ٦ ــ ٩ (النص مترجم عن الانجليزية) .

(٣) ج. ميجــــون G. Migeon ، « الشرق الاسلامى » الجزء الخاص بالاسلحة وغيرها ، صفحة ١٧ لوحة رقم ١٨ ونفس المؤلف Manuel الجزء الأول صــــفحة ٤١٠ ، وانظر سال Salles وبالو Ballot ، المصدر السابق وكتالوج مجموعات خزانة أسلحة صاحب الجلالة الامبراطور صفحة ٤٠

نسبتها حتى تظهر الى الوجود خوذة من الطراز نفسه ، تتضمن نصـــا تاريخيا أو رنوكا أو زخارف مؤكدة التاريخ ٠

ويمكن عن طريق الافتراض أن نقرر أن النوع التالى ، الذى عرف باسم « الخوذة المعممة » قد استخدمه المماليـــك كذلك ، ولو أن الخوذة الوحيدة التي نشرت من هذا الطراز صنعت قبل عام ١٥١٧ ميلادية ، وهى تحمل نصوصا تاريخية تتعلق بالسلطان العثمانى بايزيد (١) وفروخ يسار صاحب شروان (٢) ٠

وعند نهاية العصر المملوكى ظهرت خوذة جميلة وقصيرة يطلق عليها اسم « موائمة » Muwa'ama ، بدون القمة المخروطية « قونس » Qaunas ولكنها مزودة بمداريء لوقاية الاذن والرقبة وكذلك أيضا بحافة عليا للعينين ، وبأنفية (كانت تنتهى غالبا بزهرة الزنبق) وأصبحت هذه الخوذة أكثر شيوعا ، وهى تشاهد بوضوح تام فى آخر خوذة مملوكيـــة غير مؤرخة ، ونقصد بها ، خوذة خايربك ، آخر الحكام المماليك لمدينـــة حلب والذى خان بلده وباعه لسليم الأول (٣) ٠

وأن أهمية هذه الخوذة ترجع الى تلك الطاقية الصغيرة الصـــلبة كالجمجمة المزودة بشملة ، ومن المحتمل أنه كان يلبسها الجنود فقط ٠ وفي ضوء أفضل ما توصـــلت اليه من معلومات لم نعثر على نص تاريخى فى أى واحدة من تلك الخوذات ، وأما من حيث نسبتها الى العصر المملوكى فهو أمر ما زال مفتوحا للمناقشة ٠

ومن الصعوبة ـ عن طريق التخمين ـ معرفة الســـبب الذى حفظ الخوذة المملوكية المبكرة من أن تضيع فى ساحة القتال باحدى المعارك ٠ أما فى خلال حكم المماليك الشراكسة المتأخرين وحسب فقد استخدمت سيور الجلد الخاصة بالذقن مع الأبازيم من أجل تثبيتها (٤) ٠

وكان السيف الاسلامى يصنع من الحديد ويطلق عليه اســـم

---

(١) بنجويللى لاهارديون Penguilly L'Haridon, Musée d'Artillerie ص ١٧٣ ميجون Migeon المصدر السابق صفحة ٤٢٠ شكل ٢٠٥ ٠

(٢) مطبوعة بالألوان مع تعليق مختصر على بطاقات خاصة من الورق تبـــاع فى المتحف الحربى باستانبول ٠

(٣) منوه عنهـــا ومطبوعـــة فى مدينـــة ستوكلين Stöcklein فى مجمـــوعة الاســـــلحة Waffenschätze صفحة ٢١٣ وما بعدها ، شكل رقم ١٣ ، ماير Mayer ر Huit objets inédits صفحة ١٠٣ وما بعدها شكل رقم ٤ ٠

(٤) انظر نماذج مختلفة فى متحف طوب قابوسراى ٠

« سيف أنيث » أو صلب أو « سيف فولاذ » . وكان مستقيما (١) كالسيف العربى القديم المصنوع وفق الطراز الفرنجى من الحديد وله حد من الصلب « سيف مذكر » (٢) ، كما برهنت عليه بوفرة الرسوم المعاصرة ، وخاصة فى الرنوك ، حيث نجد السيف المستقيم مستخدما حتى نهاية القرن الرابع عشر . وظل السيف المستقيم مستعملا فى أغراض الاحتفالات الرسمية حتى نهاية العصر المملوكى ، وقد اشتهر باسم « سيف بداوى » كان يحمل دائما أثناء مواكب تنصيب السلاطين والخلفاء ، ولكن السيوف المقوسة الطرف Sabre ظهرت فى عصر مبكر ، ويوجد دليل على وجود هذا النوع من السيوف « حسام » Sabre والسيوف المقوسة الحد « أحدب » scimitar منذ أوائل القرن الرابع عشر وما بعده (٣) وكقاعدة متبعة ، كان مقبض هذه السيوف بسيط الشكل (٤) وهو مقبض يمتاز فى الغالب ، برمانة ناتئة مرتفعة لها عروتان.

---

(١) ويجب ملاحظة عدم اعتبار بعض السيوف اسلامية الطراز ، لمجرد أنها تحمل نصوصا عربية فحسب آخر البيانات عن السيوف الأوربية تماما والتى أصبحت ملكا للمسلمين ، قد نقشت عليها نصوص عربية ، انظر كومب E. Combe و أ. ف س. دى كوسن A.F.C. de Cosson ، « السيوف الأوربية » صفحة ٢٢٥ ـ ٢٤٦ ، أحد عشر شكلا ، واضاف اليها أ. كومب Combe فيما بعد ملحقا «سيوف أوربية جديدة » صفحة ١٥٨ ـ ١٦١ ، لوحة رقم ١ ، وانظر كينبش Keinbusch وجرانساى Grancay « مجموعة مقتنيات باشفورد دين » Bashford Dean صفحة ١٩٥ وتوجد عدة سيوف مماثلة لم تنشر بعد ، وهى حاليا بالمتحف الحربى ، باستانبول . وينتمى الى المجموعة نفسها سيف من بين مجموعات دار الآثار العربية (متحف الفن الاسلامى) بالقاهرة ، ومزود بنصوص عربية باسم ازبك اليوسفى ، ونشر لأول مرة على يدى ارتين باشا (مجلة المجمع المصرى سنة ١٨٩٨، صفحة ٢٥٠) .

(٢) توجد تفاصيل عديدة فى شوارزلوس Schwarzlose المصدر السابق ، صفحة ١٢٤ وما بعدها وفى القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء الثانى ، صفحة ١٣٢ وما بعدها ويشير فى الغالب الى كل السيوف العربية القديمة لا الى الشرقية ، وبناء على ذلك لم يقدم أية فائدة من أجل موسوعة الاسلحة المملوكية . وبهذه المناسبة من المحتمل أن نعود بالذاكرة الى السيف الصينى الذى يطلق عليه اسم بن تيى Pin-Tié وهو يعنى حرفيا « الحديد الصلب » ، وقد ترجم الى معان شتى مثل « صلب » و « صلب مدمشق » أى « صلب مسقى » Damascene Steel وبصفة خاصة نصل السيف انظر شوجوكوا Chau Ju-Kua صفحة ١٩ حاشية ٢ وورد ذكره فى كثير من كتب الأدب .

(٣) ل. أ. ماير Mayer الرنوك الاسلامية ، طبعة اكسفورد سنة ١٩٣٣، تحت عنوان « بهادر البدرى » Bahâdur al-Badrî

(٤) اسامة ، المصدر السابق ، صفحة ١٧٣ ، سطر ١١ حيث ذكر قصة عن الخليفة المقتفى بأمر الله (المتوفى سنة ١١٦٠ ميلادية) والذى دخل مسجدا وهو متخف=

ومما لا شك فيه أن السيوف المزينـــــة بالزخارف (١) وجدت فى جميع العصور على الأقل فى خلال العصر الاسلامى ، وكانت السيوف غالبا موضع تقريظ من أجل زخارفها الفخمة ، ولو أنه كان من النادر جـــدا تقريظ الأنواع ذات النصـــل غير المزخرف • أما النصـــــال الأجنبية فكانت وحـــدها موضـــع التقـــدير الفـــائق لمتـــانتها وجـــودتها وبصفة خاصة تلك النصال الهندية • وهكذا نجد مثلا أنه عندما أراد صلاح الدين فى سنة ١١٩٠ ميلادية أن يضمن مساعدة الحاكم الاسلامى فى الغرب ، أرسل اليه من بين أشياء أخرى كثيرة ، سيوفا هندية (٢) • وقد كرر مؤرخو الحوليات الاشارة الى الســــيوف المدمشقة المنزلة بالفضة(٣) أى «المستقلة بالفضة» أو «المدمشقة» «المسقطة بالذهب»(٤) ، ونقشت عليها الفصوص ، أو رصعت بالأحجار الكريمة (٥) وكان هـــذا مطبقا كذلك بالنسبة للخناجر (٦) •

وسوف لا أطيل الحديث هنا عن مسألة « الدمشقة » الشائكة ،

= متقلدا سيفا له حلية من حديد ، وقد اشار الى ذلك حتى «Hitti» فى « نبيل سورى عربى » صفحـــة ٢٠٥ وترجمـــة مقبض Handle اذ كان الخليفة يرتدى قبـــاء دمياطيـــا ثمين القيمة وفكرة أن الرجال الفقراء هم وحـــدهم الذين كان لســـيوفهم مقابض من حديد ، تعتبر فكرة مرفوضة ، ومن جهة أخرى فانى لم أجد فى أى قاموس امكننى الرجوع اليه أن كلمة « حلية » Hilya ترادف كلمة « مقبض » Handle

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ـ المصدر السابق ، الجزء الثانى صفحة ١٤٠، سطر ٩ ، ١٠

(٢) أبو شـــامة ـ المصـــدر السابق الجزء الثـــانى ، صفحة ١٧٣ سطر ٣٢ وما بعده •

(٣) ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ٣٠١ سطر ١٣ صفحة ٣٥٨ سطر ١٣ صفحة ٣٥٩ ، السطر الأخير •

(٤) المقريزى ، الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٠٩ ، سطر ٢٢ ، ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ٤٥٦ سطر ١٧ •

(٥) خلع الخليفة الفاطمى العاضد على صلاح الدين عنـــد تنصيبه وزيرا ثوب تشريف وكان من بين محتويات أشياء أخرى سيف مزين بالأحجـــار الكريمـــة أى « مجوهر » يساوى خمسة آلاف دينار ، أبو شـــامة ، المصدر الســـابق ، الجزء الأول صفحة ١٧٣ سطر ١٤ وما بعده •

(٦) ابن اياس ، الجزء الأول ، صفحة ٣٠٦ سطر ٦ من أسفل «نمجه» Nimja ودوزى Dozy المصدر السابق ، صفحة ٣٠٢ حاشية ٢ مع النصـــوص الادبيـــة وانظر « خنجر » فى سلاطين المماليك ، الجزء الاول (ب) صفحة ٢٣ ـ سطر ٤ وصفحة ٢٠٢ وما بعدها .

وأقصد بها السيوف ذات النصال المسقية ، والتى آمل أن أتناول موضوعها بعناية فى مناسبة أخرى ، ولكنى أذكر هنا ملاحظة بسيطة هى أن العادة قد جرت بأن يشار فى النصوص المملوكية الى سيوف من دمشق عند نهاية قائمة أو قريبا منها ، واستنادا الى مصدر مبكر جدا ، وأعنى به الادريسى نعرف أنه قد جرت العادة بأن يكون استيراد نصال السيوف الحديدية المدمشقة (المسقية) من بين أشياء أخرى كثيرة من بلاد الصين، عن طريق عدن ، ويخيل الى أن ذلك كله يشير الى أن الشهرة العامة الخاصة بالسيوف الدمشقية ترجع الى خطأ لغوى • فقبل الغزو العثمانى كانت السيوف ذات النصال المسقية تصنع فقط خارج سوريا ، وخاصة فى بلاد الفرس والهند ، ولكن السيوف المدمشقة (المسقية) التى يدل عليها مفهوم عبارة « المكفتة (المسقطة) بزخارف من الذهب » كانت تصنع فى الغالب داخل حدود دولة المماليك ، وأن اتقان العمليات الفنية الخاصة بكتابة نصوصها وزخرفتها تستوجب بحق كل ثناء وتقدير وستظل جديرة بذلك •

وكان قراب السيف يشد اما الى حزام الوسط أى «بند» Band أو يلبس فوق القباء (١) وكان يعلق على أحد الكتفين بواسطة حمالة للسيف (يطلق عليها اسم «حميلة» أو «نجاد» فى العصر العربى المبكر) • واذا أخذنا بصحة ما ذكره أبو البركات الحسن بن محمد ابن هبة الله نقلا عن أبى شامة فان العادة قد جرت بأن يتمنطق المسلمون بسيوفهم « أى يربطونها بأوساطهم » ، بأن نور الدين ــ الذى سمع بأن محمدا (ص) ، تمشيا مع التقاليد العربية(٢) السائدة ، كان يعلق سيفه عادة فوق كتفه ، فيقال انه «تقلد» السيف ــ قد اختار (نور الدين) هذه الطريقة لنفسه ولجيشه(٣) ويتضح من النماذج المصورة أن هذه

---

(١) أسامة المصدر السابق صفحة ١٢٠ سطر ٩ وصفحة ١٥٩ سطر ٦ ، جوانفيل Joinville المصدر السابق صفحة ١٨٢ LXXIV صفحة ٢٠٤،
ابن اياس الجزء الأول صفحة ١٢٦ سطر ٤ من أسفل ، الجزء الرابع صفحة ٣٠٨ ، سطر ٥ .

(٢) كانت هذه هى القاعدة السائدة ولكن وجدت استثناءات ، انظر شوارزلوس Schwarzlose المصدر السابق ، صفحة ٥٥ •

(٣) أبو شامة ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، صفحة ١١ ، سطر ٢٧ وما بعده وذكر أبو شامة فى فقرة أخرى أن الأخ الأكبر لنور الدين وهو سيف الدين غازى بن زنكى كان أول من أصدر الأمر الى جيشه بعدم الركوب حتى يضع كل رجل سيفه حول وسطه ، المصدر السابق ، الجزء الأول صفحة ٦٥ ، سطر ٢٩ وما بعدها • وتكرر ذكر هذه الحادثة عند المقريزى ، فى الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ سطر ٢١ ــ ٢٤ مع =

الطريقة لم تكن مألوفة ، كما يظهر على سبيل المثال من صور الجنود في كتب الفروسية الذين يبدون وكأنهم يتمنطقون بسيوفهم(١) واستخدمت الطريقة نفسها في أشكال الصور بالتحفة الشهيرة المعروفة باسم « معمدانية القديس لويس » والتي صنعت اما في نهاية القرن الثالث عشر أو في بداية القرن الرابع عشر (٢) · ولكن في مقامات الحريري (بالمتحف البريطاني ، قسم المخطوطات الشرقية ، رقم ٩٧١٨) المصورة على يدي الفنان الدمشقي غازي بن عبد الرحمن ، نرى أحد العرب وهو يحمل سيفه في حميلة كتف (لوحة رقم ١٩ ــ ١) ومن المعروف من المصادر الأدبية أنه في حفلات تتويج سلاطين المماليك جرت العادة بأن يتقلدوا « السيف المستقيم » وهو « سيف بداوى » أو « سيف عربى » معلقا في حميلة « بالكتف » (٣) ·

والأغماد التي يطلق عليها أسماء «جهازه» Jahâza أو غمد Ghimd أو قراب Qirâb وهي صناعة شرقية كان من المألوف أن تتكون من غلافة خشبية مكسوة بجلد رقيق جدا ، أو مكسوة بالشجرين Shagreen (وهو نوع من الجلود المدبوغة اللينة جدا) أو بالحرير الأطلس ، أو بالمخمل أو بالمعدن (٤) · وكانت حلقات المعدن تتألف من رباطين الى ستة أربطة تدور حول الغمد ، وفي حالة ما اذا كان السيف شديد التقوس ، كان الجزء الخلفي من القراب الذي يلي المقبض ، يعد بطريقة خاصة تجعله عند استلال السيف يفتح آليا ثم يعود وينطبق بعدذلك(٥) · ولكن السيوف لم يكن يحتفظ بها دائما داخل قرابها · اذ يحدثنا جوانفيل Joinville عن ثلاثين رجلا من جنود الحلقة أتوا الى سفينة

= اضافة الزامهم بوضع دبابيسهم تحت ركبهم ، وعلى قدر فهمي للفقرة ، فان الأمر قد أعطى من أجل حمل الحسام ، ولكن العبارة العربية « والسيف في وسطه » يستبان منها أن العادة قد جرت على أن يتمنطقوا به ·

(١) انظر أيضا ، لوحة رقم ١٤ ــ ٣ ، وديفس Davies برنهارد فون بريدنباخ Bernhard von Breydenbach صفحة ٣٤ من أعلى ·

(٢) انظر لوحة رقم ١١ ، ورايس Rice المرجع السابق في مواضع مختلفة منه ·

(٣) المقريزى ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٠٩ سطر ٢٢ ، والسيوطى ، حسن المحاضرة ، ١٢٩٩ من الهجرة الجزء الثاني صفحة ٧٧ ز سطر ١٦ وما بعده ·

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٧٦ ، سطر ١١ ·

(٥) جاهنس Jâhns في تاريخ تطور الاسلحة القديمة Entwickelungsgeschichte صفحة ٢٨٤، وما بعدها ·

افرنجية بسـيوفهم (١) عارية ، وبلط دانمركية Danish axes تزين رقابهم (٢) .

وكانت الرماح تصنع كلها من الصلب ، أو من الخشب برءوس من الصلب (٣) . « بسن » أو « بسن فولاذ » ، وقد جرت العادة فى المواكب الخاصة أن يزين المماليك « الخاصكية » الرماح بأعلام (٤) يطلق عليهـا اسم « شطفات » Shatfât وكانت فى الغالب لا تصنع من الحرير الملون (٥) ، اذ كان الحرير الأصفر مخصصا للواء السلطان (٦) . وكان النوع الثقيل من الرماح يطلق عليه اسم « رمح » (٧) ، بينما وجد نوع آخر كان يستعمله الصليبيون أيضا عرف باسم « قنطارية » (٨) .

وبالاضافة الى الرماح استخدم العرب نوعا من الحراب كالعـلم يتكون من « طو » Tû (٩) وهو نصل عريض يشـكل رأس الحـربة ، وجرى العرف أن يزود بساق من الخشب . وقد عرف هـذا السلاح من مصدر يرجع الى القرن الثالث عشر (١٠) ، وهو من نماذج الأسلحة المملوكة

---

(١) وهناك مثل آخر عن السيوف العارية أثناء أحد المواكب . انظر . أبو شامة . المصدر السابق ، الجزء الثانى صفحة ٢٣٨ سطر ٢٨ وما بعده .

(٢) جوانفيل Joinville المصدر السابق LXX صفحة ١٩٢ .

(٣) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٥٩ ، أسطر مختلفة ، صفحة ٤١٢ ، سطر ١٠ وصفحة ٤١٣ سطر ١٠ .

(٤) المصدر نفسه ، الجزء الرابع صفحة ٤١٩ سطر ٥

(٥) المصدر نفسه ، الجزء الرابع صفحة ٤٢٠ ، السطر الأخير ، الجـزء الخامس صفحة ٧٩ ، سطر ١٩

(٦) مفضل ، الجزء الثالث ، صفحة ٦٣١ حاشية ٣ ؛ القلقشـندى ، صـبح الأعشى الجزء الرابع صفحة ٨ ، سطر ١١ ـ ١٣ ، ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٢٠ ، السطر الأخير ، « وكان السنجق السلطانى مطويا فى كيس حرير أصفر » .

(٧) أسامة ، المصدر السابق ، صفحة ١٢٦ سطر ٣.

(٨) المصدر نفسه ، صفحة ٧٤ ، الأسطر جميعها ، صفحة ٧٥ ، سـطر ٦ رشـيد الدين « تاريخ المغـول والفرس » طبعـة أ . م . كاترمير E.M. Quatremère باريس ، سنة ١٨٣٦ صفحة ٢٨٩ حاشية ، أبو شامة ، المصدر نفسه ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٧ ، سطر ٣١ .

(٩) انظر ابن تغرى بردى ، المنهل ، مخطوط باريس ، عربى ، رقم ٢٠٧١ ، ورقة ٧ وجه تحت عنوان طولون بن عبد الله ومقـال Mayer عن « نصـوص غزة العربية » Arabic Inscriptions of Gaza المجلد الثالث (من صحيفة الجمعيـة الشرقية الفلسطينيـة Journal of the Palestine Oriental Society سـنة ١٩٢٩ الجزء التاسع ، صفحة ٢٢٠ ، وما بعدها) .

(١٠) انظر الصفحة الشهيرة من مخطوط شـيفر Schefer من مقامات الحريرى ، نشرها ميجون Migeon المصدر السابق ، الجزء الأول شكل ١٣ وفى أماكن أخرى .

المتأخرة المؤكدة (١) . وكانت النصال أى « الطو » تصنع من الصلب كما كانت غنية بزخارفها المفرغة أو المسقطة بالذهب ، هذا بالاضافة الى الآيات القرآنية والعبارات الدعائية كما كانت تشتمل على كتابات لها أهميتها التاريخية ، كأسماء الأمراء الذين صنعت من أجلهم ورنوكهم، وفى أحيان كثيرة كان يسجل عليها أسماء الفنانين الذين قاموا بصنعها(٢) .

ويوجد سلاح شائع أطلق عليه اسم « دبوس » ورد ذكره كثيرا في الكتب الأدبية المعاصرة (٣) . وكان يتقلد تحت الركبة منذ عهد غازى بن زنكى ، وطبقا لما ذكره القلقشندى (٤) ، كان مخصصا فى الغالب لتحطيم الخوذ ، وقد صنعت الدبابيس العادية من الحديد أو الصلب ، برءوس اما كروية او مضلعة أو تشكل سطوحها هيئة نتوءات مثلثة الشكل ولها مقابض مستديرة أو مضلعة بتضليعات متقاطعة ومحزوزة غالبا ولابد أن يكون قد وجد من هذا السلاح أى « الدبوس » فى الوقت نفسه نماذج جميلة فخمة غنية بزخارفها ومعدة أحيانا برءوس عجيبة الأشكال تذكرنا بالفن المصرى القديم (٥)

---

(١) انظر أيضا مختار « المتحف الحربى العثمانى » دليل رقم ٢ ، القسطنطينية سنة ١٩٢١ لوحة ٣ رقم ١ ، وصفحة ٦٧ وما بعدها ، ومن أجمل النصوص الكتابية والرنوك على أمثلة من « الطو » Tû ومن حيث نشرها انظر كتاب Mayer عن « الرنوك الاسلامية » صفحة ٦٦ حاشية ٢ ، وانظر « اقبردى من على باى » صفحة ١٠٣ وعن برقوق ، وتوجد أجمل وأفخم النماذج فى متحف طوب قابو سراى ، استانبول ، وانتقلت واحدة جميلة من مجموعة ج.س. ستون G.C. Stone الى متحف المتروبوليتان للفنون ، بنيويورك ، انظر مقال Mayer عن (الأسلحة الشرقية) شكل ١٣ .

(٢) ومن أجل الحصول على وصف تفصيلى للتحف المشار اليها فى هذا الفصل وفصول أخرى من هذا المؤلف فانى أحيل القارىء الى الاطلاع على مؤلفى عن « الملابس الشرقية » عند نشره .

(٣) انظر مثلا جوانفيل Joinville المصدر السابق CVI صفحة ٣٠٠ و CXII صفحة ٣١٤ ، أبو شامة ، المصدر السابق ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٢٥ سطر ١٦ ، وكان من بين أسلحة صلاح الدين الشخصية دبوس من الحديد أنظر المقريزى ، المصدر السابق ، صفحة ٧٧٢ ، سطر ١٦ ، صفحة ٨٨٦ ، سطر ٩ وفى أماكن اخرى ومن أجل معرفة موضة وضعه تحت الركبة انظر ، المقريزى ، الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٩ سطر ٢٣ ، وابو الفدا ، الجزء الثالث صفحة ٥٠٨ .

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء الثانى ، صفحة ١٣٥ ، سطر ١١ ـ ١٣ .

(٥) انظر ستوكلين Stöcklein فى مجموعة الأسلحة Waffenschatze شكل رقم ١٤ .

وبالاضافة الى الدبوس ، اعتاد الأمراء والجنود أن يحتفظوا فى سرج الجواد بقضيب من انصلب يطلق عليه اسم «غداره» Ghaddâra وهو سلاح قوى بالقدر الذى يكفى لقطع ذراع رجل اذا ما ضرب به ٠ وفى التاسع من شهر يوليو عام ١٥١٢ ميلادية حرم قانصوه الغورى استعماله ، وكذلك أصدر أمره الى الأمير مغلباى « الزردكاش » لمنع « الصناع » من صناعة مثل هذه القضبان للمماليك (١) ٠

وجرت العادة بأن يحمل أفراد فرقة « الطبردارية » وربما بعض طبقات أخرى من الجنود بلطة يطلق عليها اسم « طبر » Tabar ذات رأس شبه دائرى ، تحلى بزخارف مفرغة أو مموهة بالذهب ، أو بكليهما ، ويغلب أن تكون الزخارف على هيئة جامات تحتوى على تروس محفورة ، وكانت هذه البلطة تثبت فى قائم اما من المعدن أو من الخشب ، ويحلى المعدنى منها غالبا بالزخارف ، وقد يتكون مقبض الطبر من خطوط متقاطعة مستديرة أو مضلعة ، كما كان فى الامكان اضافة أشكال على السطح قوامها وحداتزخرفية مثل التضليعات أو الحبال المجدولة أو القنوات المحزوزة ، وذلك كله فى أشكال متنوعة ، وفى كتب الأدب الأوربية يطلقون على هذا السلاح اسم « فأس الاحتفالات » ، وهى تسمية تعتبر فى الغالب اسما على مسمى ، ويبدو ذلك على سبيل المثال، عندما وصفت فى قصة مشهورة على أنها كانت تحمل أمام « رجل الجبال » قال عنها انها فأس دنمركية لها مقبض طويل مغطى بأكمله بالفضة (٢) كما كان يحملها أمام السلطان « حامل الطبر » ، ودلت الزخارف المفرغة لبعض هذا النوع من الأسلحة على طابعها الذى يكشف عن كونها أداة جميلة المظهر للزينة أكثر عادة للاستعمال فى القتال (٣) ٠ وعلى أية حال فان هذه الفأس تعتبر عادة بمثابة آلة للقتال مهمة وشديدة الخطورة ، صممت خصيصا بهدف القتل ، وذلك حسب ما يمكن استنتاجه من الاشارات العابرة أو من « المقصد » ونقف من

---

(١) ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ٢٦٧ ، سطر ١٣ ومابعده ٠

(٢) جوان فيل Joinville المصدر السابق XC صفحة ٢٥٢ ، ترجمة ايفانس Evans صفحة ١٣٩ ٠

(٣) مثلا عن الفاس الموجودة بمتحف فينا وعليها ترس منقوش باسم محمد ابن قايتباى انظر زاره Sarre ومارتن Martin فى Meisterwerke الجزء الثالث لوحة رقم ٢٤٤ أ ، ونشر غالبا منذئذ ٠

حالة بعض نماذجها على وجود أجزاء كبيرة مستهلكة من أثر الاستعمال(١). وفى ضوء معلوماتنا يتبين أن المماليك لم يستخدموا بتاتا الفئوس ذات الرأسين ، اذ نجد أن جميع النماذج المنشورة على الأقل تركية أو فارسية أو هندية ، أما الشكل الخاص بالفأس الاسلامية التى ترجع الى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر فمن المحتمل مشاهدتها في زخرفة رنك على كسرة خزفية فى متحف بناكي بأثينا (٢) ، ويمكن مقارنتها بفأس دانمركية معاصرة فى المتحف الأهلى بمدينة كوبنهاجن (٣) .

أما « الترس » (٤) بصفة عامة فمستدير الشكل تحيطه حافة ، وله مقبض أفقى من الداخل ، وعليه من الخارج بعض النهود القليلة ، وكان يصنع من الخشب أو المعدن ، وأحيانا من أنواع مختلفة من الخشب مجمعة مع بعضها بواسطة خيوط قطنية ، واذا ما صنع الترس من الجلد السميك أطلق عليه اسم « درقة » Daraqa (٥) وبالرغم من عدم وجود قطع أصيلة محفوظة ، فانه لحسن الحظ نعرف من صور منقوله جيدا (٦) أن هذه التروس المستديرة كانت محدبة قليلا ، ولكن فى

---

(١) وهكذا توجد فأس الأمير دوليتباى في المتحف التاريخى بمدينة درسدن انظر زارة Sarre ومارتن Martin نفس المصدر الجزء الثالث لوحه رقم ٢٤٤ ب ـ وواحدة أخرى مؤرخة من النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، المصدر نفسه ، الجزء الرابع ، رقم ٥٣٢ ، وقد أرخ الفأس الأخيرة خطأ على أنها من القرن السادس عشر ، ولكن لا يوجد أى خطأ آخر فى مؤلف زاره Sarre ومارتن Martin

(٢) انظر كتاب Mayer عن « ثمانى تحف » شكل ٢ .

(٣) ماير Mayer « الأسلحة الشرقية » شكل ١٤ .

(٤) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٥٩ ، سطر ٢٢ ، صفحة ٤١٣ ، سطر ١٠ .

(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء الثانى ، صفحة ١٣٦ ، سطر ٨ وما بعده . وما بعده .

(٦) توجد صور جميلة مطبوعة لأسلحة كهذه ترجع الى ما قبل العصر المملوكى ، انظر مثلا ، م . فان برشم M. Van Berchem, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicorum, Egypte, ـ الجزء الأول ، صفحة ٥٦ وما بعدها ، لوحة رقم ١٩ كما كان من المألوف أن تزين الأبواب بالاسلحة حتى نهاية العصر المملوكى . انظر ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٦٦ ، وما بعدها وصفحة ٣٨٣ ومابعدها ، وليس من المستحيل أن يكون القصد من ذلك هو فقط الناحية التذكارية طبقا لتقاليد قديمة ، وخاصة من وجهة نظر التعبير عن الباب « بباب النصر » . انظر علاوة على ذلك ، ج . فييت G. Wiet « النصوص الكتابية لقلعة جيندى » (فى مجلة سوريا Syria ، سنة ١٩٢٢ الجزء الثالث ، صفحة ٥١ شكل ٢ ، ج. كرباتشك J. Karabeck فى Ein Arabisches Reiterbild =

عدد من تحف « الموصل » النحاسية التى صنعت فى سوريا أو مصر ، وكذلك فى المنمنمات المملوكية نرى صورا لرجال مسلحين بتروس مستديرة وصغيرة جداً يشاهد معظمها فى وضع جانبى مثلثة الشكل . ولم تقتصر معرفة العرب على هذا النوع من التروس وحده (١) ، ولكنهم استخدموا فى الحقيقة « الترس النورماندية » التى تشبه الطائرة kite ويمكن الوقوف على شكلهـــا باطمئنان من الرنوك المختلفة التى يرجع تاريخها الى أواخر القرن الثالث عشر، (مثل رنوك طقز تمر أو قراسنقر) (٢). وعلى كل حال ، فان هذا الشكل ظل شاذا فى نوعه(٣) الى أن عاد فى عهد سلاطين الشراكسة الى الظهور على قليل من التروس المحفـــورة المبكرة فقط ، (ونضرب مثلا بتلك التروس الخاصــــة بالسلطـــان برقوق والسلطان الخليفة المستعين)(٤) ويجب أن نوضح أنه فى كل مثال منها

= صـــفحة ١٢٣ ـ ١٢٦ آرنولد وجـــــروهمان Grohmann و Arnold فى « الكتاب الاسلامى » شكل ٤ صفحة ٦ وما بعدها وصفحة ١٠٣ ، علاوة على نصوص أدبيه ، ب . جراى B. Gray ، « رسم فاطمى » (فى النشرة الرباعية للمتحف البـــريطانى British Museum Quarterly ســـنة ١٩٣٨ العـــدد الثانى عشر ، صـــفحة ٩١ ـ ٩٦ ، لوحه رقم ٣٣) وعن نمـــاذج مملوكية ، راجع مخطوطات « الفروسية » .

(١) ويثبت ذلك تلك التروس المنحوتة على باب النصر ، فى القاهرة ، حيث تظهر جنبا الى جنب مع التروس المســـتديرة ، انظـــر فان برشم Van Berchem ، المصدر السابق ، لوحه رقم ١٩ ومن المحتمل أن تسمى الدرع التى على هيئة الطائرة « طارقة » والجمع « طوارق » ، وبالنســـبة الى الفقرة التى وردت فيما نشره كاترمير Quatremère عن « رشـــيد الدين » المصـــدر السابق ، صفحة ٢٨٨ وما بعدها ، وهى التى أوردها دوزى فى ملحق القواميس وذلك بالاضافة الى « أبى شامة » المصدر السابق ، الجزء الأول صفحة ١٠٧ ، سطر ٣١ ، الجزء الثانى ، صفحة ١٣٩ ، سطر ٨ . وقد صور على باب اللوق ، فى القاهرة ، « طوارق » وكان من الممكن مشاهدتها حتى ســـنة ٧٤٠ هجريـــة (الموافق عام ١٣٣٩ ـ ١٣٤٠ ميـــلادية) انظر المقريزى ، الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ١١٨ سطر ٣١ وصفحة ١٩٨ ، سطر ١٨ ، انظر « رشيد الدين » المصدر السابق ، صفحة ٢٨٩ . وقد تولدت فى ذهن الجميـــع على حـــد سواء من واقع الأمثلة المختلفة التى ساقها كاترميرودوزى أن « طارقة » لا تدل على ترس ، بل هى جزء من آلة للحصـــار ، كما يستنتج ذلك جيدا من أقوال ابن اياس الجزء الثانى صفحة ٣٢٤ سطر ٢٤ .

(٢) ماير Mayer ، « الرنوك الشرقية » .

(٣) كان « أسندمر وقراسنقر على سبيل المثال يستخدمان ترسين من كلا النوعين

(٤) « الرنوك الشرقية » لوحـــة رقـــم XL شـــكل ٣ ، و « موسوم الخليفة المستعين بالله» مجلة مصلحة الآثار فى فلسطين Quarterly, Department of Antiquities in Palestine سنة ١٩٤٤ لوحة رقم ١٠ شكل ٣ .

كانت الترس لها قمة مستديرة ، وأما الحافة العليا المسطحة أو المقعرة فلم تظهر على أية ترس عربية أصيلة ، كما لم يوجد أى رسم لاحداها(١) .

---

(١) والاستثناء الواضح هو صحن فى متحف القيصر فردريك ، ببرلين ، انظر ف. زاره Drei Meisterwerke Syrischer Keramik in Berliner Museen ; ١٩٣٧ صفحة ٨ ف والصورة الرئيسية) الأولى ولكن هذا الصحن يقدم تفاصيل أخرى مختلفة ترتبط بخزف الصليبيين بمدينة عتليت Atlît ' ولعل هذا مما يدفع الانسان للتساؤل عما اذا كان هذا الصحن اسلاميا أصلا . راجع تصميم حافته مع تصميم دائر صحن فى مقال س.ن. جونس C.N. Johns بعنوان « شقافات ترجع للعصر الوسيط من قلعة الحجاج بمدينة عتليت Atlît ، (انظر مجلة مصلحة الآثار فى فلسطين Quarterly, D.A.P. ، سنة ١٩٣٤ ، العدد الثالث لوحة رقم ٥٥ شكل ٣) ، والزخارف الموجودة فوق الجزء الداخلى مع شريط حافة صحن آخر من عتليت ، انظر المرجع نفسه ، لوحة رقم ٥٤ شكل ١ ، وترس صحن برلين مع ما يشاهد على صحون متعددة من عتليت ، نفس المصدر ، لوحة رقم ٥٥ ، شكل ١ ـ ٣ .

رجال الدين



يقصـــد بطائفة رجال الدين العلمـاء المسلمون من غير الطبقـة العسكرية ، وهم طبقة تتميز بلبس «العمامة» ، ونظرا لانها الجزء الأكثر أهمية فى ملبسهم ، فقد أطلق عليهم كطبقة قائمة بذاتها اسم « أرباب العمائم » أو « المتعممون » (١) ، وهذا لا يعنى أنهم كانوا الوحيدين الذين لهم عمائم فوق رءوسهم ، غير أن عمائمهم كانت أكبر حجما وأكثر أهمية من عمائم الآخرين (٢) ، ولو أنه حتى القرن الســـابع الهجرى لم تكن « العمامة » ، جزءا مكملا لزى القاضى ، اذ كانت القلنسوة تســـتخدم حتى ذلك العهد(٣) . وتتضح أهمية العمامة عن بقية الملابس الأخرى عند الحديث عن العمائم الملونة التى كان يمكن بها تمييز المســـيحيين

---

(١) أبو الفـــداء ، الجزء الرابع ، صـــفحة ٢٨٨ سطر ٣ من أسفل ـ تعليـــق رايسك(Reiske) . صفحة ٦٨٨ ، وسلاطين المماليك الجزء الأول ـ أ ، صفحة ٢٤٤ وما بعدها . النجوم طبعة بوبر Popper ، الجزء السابع صفحة ١٢٥ (زين الدين يحى ، الاستادار) .

(٢) كما جاء فى ملحق القواميس لدوزى ، الجزء الثانى صفحة ١٦٩ (أ) سبق التعليق عليها ، وراجع أيضا قاموس الملابس ، صفحة ٣٠٧ .

(٣) سلاطين المماليك ، الجزء الأول (أ) صفحة ١٣٣ ومابعدها ، وانظر ليفى Levy : Notes ، صـــفحة ٣٤٤ ، مع ملاحظـــة الفرق بين « تخفيفة » (انظـــر صفحة ٣١ وعمـــامة : انظر قاموس الملابس ، بولياك Poliak ، الاقطـــاع فى مصر وسوريا وفلسطين ولبنان ، لندن ١٩٣٩ ، صـــفحة ١٥ ، هذا الفرق مستنتج وغير مشروح فى ابن اياس ، الجـزء الأول ، صفحة ٢٧٤ سطر ٣ وما بعده ، الجـزء الثالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ٣٥١ سطر ٨ وما بعده ، وبشأن عمامة السيدات انظـــر صفحة ١٢٧ . « شـــاد » Shadd (سلاطين المماليك ، الجزء الأول أ) صـــفحة ١٥٠ حاشية ٢٣ ومن المحتمل ألا يكون اصطلاحا فنيا .

واليهود عن المسلمين ، فقد ذكر القلقشندى ببساطة : « والبس أهل الذمة بالشام : النصارى الأزرق ، واليهود الأصفر والسامرة الأحمر » وينطبق هذا القول على العمائم دون أى جزء آخر من الملبس(١) ومع مر العصور ازدادت العمامة كبرا وضخامة ، حتى كان مظهرها يطابق التشبيه العربى الدارج الى الآن ، بأنها « كبرج صغير » ورأينا آنفا فى (الصفحة رقم ٤٥) انه قد حدث تطور مماثل تميز به لباس رأس الطبقة العسكرية أيضا ، وسنرى عما قريب أن المسيحيين وكذلك اليهود قد زادوا من أحجام عمائمهم بقدر استطاعتهم وحتى بعد صدور الأوامر الخاصة بتقييد أحجامها كانت عمائمهم تشتمل على سبعة أذرع من القماش . وكان يلبس تحت العمامة طاقية صغيرة يطلق عليها اسم « قبع » وكانت الطبقات الدنيا من الشعب تلبس على ما يظهر «الطاقية» دون استعمال أى شيء آخر معها(٢) .

وبصفة خاصة كانت ملابس طائفة رجال الدين من المسلمين تستند الى الطبقة التى ينتمى اليها صاحبها فى الهيئة الاجتماعية أو المركز الذى يشغله فى خدمة الحكومة . وفى القرن الرابع عشر ، كان من المألوف أن يرتدى القضاة والعلماء عمائم كبيرة الحجم شاذة فى ضخامتها (٣) وكان لبعضهم أطراف عمائم أى « ذوائب » تسترسل بين الكتفين حتى تبلغ « قربوس » سروجهم(٤) .

ورغم ماورد من اشارات متعددة عن « البقيار » (٥) فان الصحيح

---

(١) صبح الأعشى ، الجزء الثالث عشر ، صفحة ٣٧٨ ، سطر ٦ وما بعده .

(٢) قاموس الملابس صفحة ٣٤٥ وما بعدها ، النويرى ، مخطوط ، ليدن ٢٠ ورقة ١٠٣ وجه وظهر ، وتكرر فى السلوك ، الجزء الثانى ، صفحة ١٨٨ ، حاشية ٢ سلاطين المماليك ، الجزء الثانى ب صفحة ٢٥٢ حاشية ٥١ .

(٣) القباء الخاص بالشيخ شمس الدين الرومى (الذى توفى سنة ٨٥٥ هجرية) كان يزن عشرة أرطال مصرية (١٠×١٢ = ١٢٠ أوقية) ، وعمامته تحتوى على اكثر من «ثوب» بعلبكى ، وذلك « حفظا لدماغه وعينه » أنظر التبر ، صفحة ٣٧٤ ، سطر ٩ من أسفل — وعلى عكس ذلك لم يغير سليمان بن هلال القرشى (توفى سنة ٦٢٥ هجرية) ملابسه القطنية ، ولا عمامته الصغيرة عند تعيينه نائبا للقاضى ابن صصرى أنظر الكتبى ، الجزء الاول ، صفحة ١٨٠ سطر ٢١ .

(٤) من أجل طرف عمامة صغيرة متدل ، انظر لوحة رقم ١٩ ، شكل ١ .

(٥) انظر قاموس الملابس تحت هذه المادة ، وسلاطين المماليك ، الجزء الثانى (ب) صفحة ٧١ ، ٧٦ ، ودوزى ، ملحق القواميس ، تحت هذه المادة .

هو أنه لباس للرأس خاصا بالقضـــاة (١) والنبلاء الآخرين (٢) ، وكان يصنع من قماش اسكندراني رفيع فاخر ، يطلق عليه اسـم «طرح» (٣) ومن ثم كان بمثابة نوع من العمائم ، وليس بقبعة من طراز القلنسوة (٤).

وكان من المألوف أن يرتدى المشايخ «دلقا» diiq (٥) فوق ملابسهم له أكمام متسعة وهو مفتوح فوق الأكتاف بغير فتحة خلفية أى من غير « تفريج » وكان هذا الدلق مسترسلا حتى القدمين أى « سابلا» .

وكان رجال الدين من الطبقة الأدنى يضعون فوق رءوسهم عمامة أكثر أناقة ، ويرتدون بدلا من « الدلق » (٦) « فرجية » مفتوحـــة أى « مفرجة » من الأمام من أعلاها حتى الذيل ، ومزودة بصف من الأزرار. وجرت العادة أن يرتدى العلماء في الشتاء ملابس من الصوف الأبيض الملطى ، أما الملابس الملونة فلا تلبس الا فى منازلهم فقط ، أو بمناسبة السفر ، وكان من المألوف أن يرتدوا أحذية من نوع « الأخفاف » مصنوعة من الجلد الطائفى ، بدون مهاميز (٧) . وقد وصف لنا ابن اياس الموكب الرسمى للوزير ــ وهو رئيس أرباب القلم ــ أثناء طوافه بشـــوارع القـــاهرة ، مبتدئا من القلعة بمناســـبة عيد الفطر حســـبما جرت

---

(١) انظر مثلا النويرى كما ذكر فى دوزى قاموس الملابس صفحة ٨٥ .

(٢) جوتيل Gottheil جواب على الذميين (فى صحيفة الجمعية الأمريكية الشرقية) Journal of the American Oriental Society ســنة ١٩٢١ مجـــلد ٤١ صفحة ٤٠٣ سطر ٤ وما بعده .

(٣) وستنفيلد Wüstenfeld Mâcrizi's Geschichte der Copten صفحة ٣٢ (من النص العربى) سطر ١٦ .

(٤) ومن المفهوم جيدا ، أن دوزى Dozy فى ســـنة ١٨٤٥ قد اختلط عليه الأمر فى فقرة من الزمخشرى ، ترجمها الى « هو نوع من الملبس ، مصنوع من وبر الجمال » ولكن لماذا دهش جوتيـــل فى المصدر السابق نفســـه ، صفحة ٤٣٩ ، مع كل ما تجمع من دلائل منذ أن نشر قاموس الملابس ، ويصر على تفســـيرها « بالصديرى » Bodices فذلك أمر عجيب حقا .

(٥) ويظهر من الرواية التى أوردها دوزى نقلا عن النويرى أن «الدلق» كان يلبس تحت العباءة الفوقانية ، ومن ثم فهو نوع من الملابس « التحتانية » والفرق بين الاثنين هـــو أن الدلق عبارة عن معطف واسع ، بدون فتحـــة سوى الفتحة على الكتفين ، راجع السيوطى ، حسن المحاضرة ، طبعة سنة ١٢٩٩ هجرية ، الجزء الثانى صفحة ٢٢٦ ، قاموس الملابس صفحة ١٨٤ وصفحة ٣٤٥ ، سطر ١٦ ، وصفحة ٣٤٦ سطر ٥ ، أنظر ايضا سلاطين المماليك ، الجزء الثانى ب ، صفحة ٧٨ مادة «دلق» .

(٦) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٢ سطر ٦ ، الســـيوطى ، حسن المحاضرة طبعة سنة ١٢٩٩ هجرية ، الجزء الثانى صفحة ٢١٥ سطر ٤ ومابعده .

(٧) صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤١ ومابعدها .

عليه العادة فذكر أنه كان يركب بغلة ويرتدى عمامة بطرحة بيضاء اللون تحتها طاقية مطرزة بالذهب محبوكة على الرأس ، يطلق عليها اسم « عرقية أو طاسة » ويتقلد حزاما من حبات العنبر (١) . وكانت تلك العمائم تستخدم كأكياس للنقود ، ويستدل على ذلك جيدا من العادة التى كان يمارسها عصاة المماليك من خطف العمائم من فوق رءوس المدنيين ، وكان يحدث ذلك بصفة خاصة فى الأيام التى كانت تسود فيها الاضطرابات (٢) . كما جرت العادة أن تصنع الطاقية المحبوكة تحت العمامة من قماش رخيص ، بينما وجد نوع مختلف من الحرير أو من خامة مشابهة يعرف بـ « الشاشية » (٣) .

وكان من المألوف أن ترتدى الهيئة العليا الرسمية من رجال الدين والوزراء ، ورؤساء القضاة ، ونظار الجيش ، وكتبة أسرار السلاطين وغيرهم ملابس بعلبكية (من القطن) بيضاء فى فصل الصيف أما فى فصل الشتاء فيلبسون معاطف فوقانية من الصوف الأبيض وقد ظل هذا التقليد متبعا حتى سنة ٧٩٩ هجرية حين تساءل السلطان برقوق عن الأسباب التى دعت أصحاب المناصب الرفيعة الى اتخاذ البياض لونا لملابسهم . فقيل له انه فى الامكان أن يجعلهم يرتدون ملابس ملونة اذا ما أصدر «مرسوما» بذلك ، وأخبرهم برغبته هذه عن طريق كاتب سره . ومنذ ذلك الوقت ، جرت العادة بأن يرتدى رؤساء ديوان القلم جببا ملونة أى « فواقين » ومعاطف فوقانية يطلق عليها « فراجى » وهكذا لاحظ ابن الفرات وهو فى دهشة عظيمة أن القاضى شرف الدين الدمامينى، ناظر الجيش المصرى كان يركب فى « موكب » رسمى وهو يرتدى جبة « فوقانية » ، وللعمامة طرف أى عذبة تسترسل من الخلف مسبلة عليها (٤) .

---

(١) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ١٠٤ سطر ١٠ – ١٤ .

(٢) ابن تغرى بردى ، حوادث ، بتاريخ الثالث عشر من ربيع الأول ، سنة ٨٧٠ هجرية صفحة ٥١٠ ، سطر ٦ (وفى أماكن أخرى غالبا) .

(٣) قاموس الملابس ، صفحة ٢٤٠ .

(٤) ابن الفرات الجزء التاسع ، صفحة ٤٦٠ سطر ٦ وما بعده . ابن اياس الجزء الأول انظر ما جاء فى صفحة ٧٩٨ و ٧٩٩ (وطبقا لما ذكر بقاموس الملابس ، صفحة ٨٢ نجد أنه سقط سهوا جزء فى النسخة المطبوعة) . السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء الثانى صفحة ٢١٨ ، سطر ١ وما بعده أشير اليه ببساطة على أنه فى سنة ٧٩٩ هجرية ، طلب كاتب السر بدر الدين الكلستانى من السلطان وحصل على الاذن لنفسه ولرجال الدين الآخرين بأن يرتدوا أثناء المواكب ملابس من « الصوف » الملون بدلا من الأبيض .

ولدينا مواصفات متماثلة ، خاصـــة بكبـــار رجال الدين وهم يظهرون بين الشعب بملابس ملونة ، ونضرب لذلك مثلا ، انه في الثامن من شهر شعبان سنة ٧٨٩ هجــرية ، ركب قاضى القضـــاة ناصر الدين ابن ميليق (؟) للذهاب لصلاة الجمعة فى جامع قلعة القاهرة وهو يرتدى « فرجيات تاق » Farajiyyat Tâqوعمامة لها « عذبة » على جانب واحد، مثل رجال الصوفية (١) .

ووجدت قطعة أخرى من الملابس التى تميز زى الطبقة الرفيعـــة من رجال الدين الموظفين ألا وهى « الطرحة » (٢) ، وكانت عبارة عنوشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ويســترسل على الكتفين (٣) . وكان ذلك الزى فى الأصل امتيازا يمنح فقط لقاضى قضاة الشافعية (٤)، ولكن فى سنة ٦٦٣ هجــرية ، أذن بيبرس لثلاثة من كبار القضـــاة (٥) الآخرين بارتدائه.وسواء أحدث نقض لهذا الامتياز دون أن يلاحظه مؤرخو الحوليات ، أو أحيط به السيوطى علما (٦) بطريقة ساذجة رديئة وهو من أعلام المؤرخين الثقات فى القرن الخامس عشر ، فحقيقة الأمر أن هذا الوضع ظل ساريا الى أن سمعنا فى سنة ٧٧٣ هجــرية أنه قــد أذن للسراج الهندى قاضى قضاة الحنفية بارتداء الطرحة ، مثل زميله قاضى قضاة الشافعية . وبعد مضى فترة من الزمن ، حذا حذوهما قاضيا قضاة المذهبين الباقيين (المالكى والحنبلى) وظل هـــذا التقليد قائما فتلبس « الطرحة » فى المناسبات الخاصة ، أو فى أثناء العمل اليومى أيضا (٧).

---

(١) ابن الفرات ، الجزء التاسع ، صفحة ١٥ ، سطر ١٤ ومابعده .

(٢) « طرحة» أو «طراحة» انظر دوزى Dozy ، الملحق ، الجزء الثانى صـفحة ٣٢ سلاطين المماليك الجزء الأول (ب) صفحة ٢١ حاشية ٢٣ ، قاموس الملابس صـــفحة ٢٥٤ وما بعدها .

(٣) زترشتاين Zetterstéen صـــفحة ٩٢ ، ســـطر ١٨ « على راس قاضى » ، صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٤٢ سطر ٤ (استنادا اليهم كان قضـــاة الشافعية والحنفية فقط هم الذين يرتدونها) . وكان قاضى القضـــاة يرتديها كعلامة للتشريف أثناء الاحتفاء بالمبعوثين الأجانب ، انظر سلاطين المماليك ، الجزء الثـــانى (ب) صفحة ١٨٢ وسط الصحيفة وأسفلها .

(٤) ابن الفرات (مخطوط فينا الجزء التاسع ، ورقة ٨ ظهـــر ، سطر ١ ــ ٣) وورد بخصوصها أيضا فى قاموس الملابس ، صفحة ٢٥٥ ، وسط الصحيفة .

(٥) المقريزى ، السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٥٤٠ ، سطر ٣ .

(٦) أنظر : حسن المحاضرة ، الجزء الثانى ، صفحة ٢١٥ سطر ٤ ومابعـدها ، قاموس الملابس ، صفحة ٢٥٥ ومابعدها .

(٧) النويرى حوادث سنة ٧١٧ ، ليـــدن ، Or. 2 ٢٠ ورقة ٨٨ أ سطر ١٠ من أسفل «وخلع عليه بطرحة على عادة القضاة ، وانظر قاموس الملابس ، صفحة ٢٥٦.

وكان الطيلسان هو أقرب الأزياء شبها بالطرحة (١) • ويوجد نوعان مختلفان من الطيلسان فيشار أحيانا الى طيلسان به قطعة مقطوعة من الوسط(٢) • وأحيانا أخرى الى طيلسان من قماش«مقور» starched (*) وقد أطلق على الطيلسان المقور اسم « طرحة » فى القرن الخامس عشر (٣) • وبالرغم من وجود الجزء المقصوص بالطيلسان الا أنه من المحتمل جدا أنه لم يكن يلبس كحلة القداس chasuble على الصدر وفوق الظهر ، بل كان يلبس كالطرحة فوق العمامة (٤) • وهو احدى الملابس القليلة فى العالم الاسلامى التى صغر حجمها مع مر العصور • وكان شكله فى الأصل مناسبا وأنيقا من حيث الطول والعرض ولكن فى المنمنمات المملوكية يشاهد القاضى عادة متشحا بطرحة أو طيلسان ، وكان يغطى العمامة والأكتاف مع حبكه نوعا ما (٥) ، ولا يوجد ما يماثل الطيلسان الذى أخبرتنا المراجع أن القاضى الفاضل كان يغطى به حدبته (٦) •

(١) وهناك اختلاف آكده النويرى والأمر نفسه عند كاترمير Quatremère فى سلاطين المماليك ، الجزء الأول (ب) صفحة ٢٢ حاشية •

(٢) لين Lane تحت مادة « طيلسان » ، صفحة ١٨٦٧ •

(*) Starched ومعناها مقوى أو منشى ، وهى الكلمة الانجليزية التى استخدمها المؤلف للتعبير عن الكلمة العربية « مقور » ولذا ترجمت حسب الأصل التزاما بنص المؤلف مع وضع الكلمة الصحيحة بجانبها ، وهذا رغما عن اختلاف الكلمتين فى المعنى ، والمعنى المراد استخدامه هو كلمة « مقور » التى كتبها بالحروف اللاتينية ، وكلمة مقور أى به قوارة أى فتحة فى الوسط مثل حلة القداس التى يطلق عليها بالانجليزية والفرنسية اسم Chasuble التى يرتديها رجال الكهنوت الكاثوليك عند صلاة القداس ، وعلى سبيل التخمين فان الفتحة فى الطيلسان صنعت فى الوسط خصيصا من أجل مرور البسة الرأس المستطيلة منها ، وذلك لضمان ثبات الطيلسان على وضعه المراد له ، ومن جهة أخرى يتجنب بذلك المنظر غير الملائم فى حالة ما اذا وضع بدون فتحة على لباس الرأس (المترجم) •

(٣) وورد ذلك عن المقريزى مقتبسا فى قاموس الملابس ، صفحة ٢٥٧ ، راجع أيضا قاموس الملابس ، تحت نفس المادة ، للبرهنة على أن النساء اعتدن ارتداءه منذ عام ٦٦٣ هجرية والى مابعد ذلك .

(٤) ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ٢٧٧ ، السطر ٤ وانظر ليفى Levy « التعليقات » «Notes» صفحة ٣٣٤ •

(٥) انظر مثلا لوحة رقم ١٧ شكل ١ •

(٦) ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ٧٥ سطر ٣ (استنادا الى ابن مماتى) • وكان سوفاجيه Sauvaget أول من لاحظ ان طرطورا Hood-like بأهداب استعمل كغطاء للرأس فى صورة مشهورة من مدينة سلمرا ، وهو فى الحقيقة طيلسان انظر : « ملاحظات عن العمائر الأموية » Remarques sur les Monuments Omeyyades, J.A., فى المجلة الاسيوية سنة ١٩٤٠ – ١٩٤١ صفحة ٥٥ حاشية ١ Mélanges Asiatiques

ويسمى الثوب « انفوقانى » الخاص بطبقة العلماء « بالفرجية » ، وكان النوع الأكثر أناقة منه ـ مثل النوع الذى كان السلطان يقدمه كمنح هو المبطن بفراء السنجاب الرمــادى والمزين بحافات من فــراء القندس(١) . وقد جرت العادة بأن يرتدى القضاة والعلماء على وجه العموم فرجية لها أكمام طويلة بدون فتحات (٢) . وكان من المألوف أن تصنع الفرجية من أقمشة متنوعة ـ حسبما يتناسب وفصول السنة ـ من صوف أو قطن أو حرير ، وكانت تزين بطراز (٣) ، وتزرر . وفى خلال العصر المملوكى كان يوجد نوعان من الفرجية : الفوقانية والتحتانية. أما « الفوقانية » فهى الفرجية الأصلية ، ويطلق عليها أحيانا اســم « جبة »(٤) أما التحتانية منها فكان من النادر أن يشــار اليهــا ، من الصعب وجود وصف لها .

ووجدت عباءة خشنة كانت فى الأغلب بيضاء اللون (ومن المحتمل أن يكون هذا اللون كقاعدة متبعة) يطلق عليها اسم « الكبر » Kibr ، يرتديها رجال الدين والعسكريون على السواء (٥) .

وفى الأيام الممطرة ، جرت العادة أن يرتدى رجال الدين ، من الطبقتين الرفيعة والدنيا عباءآت من قماش سميك له وبر ، يطلق عليها

---

(١) قاموس الملابس صفحة ٣٢٨ وما بعدها ، النويرى ، مخطوط ، ورقة ٣٢ ظهر ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء الثانى ، صفحة ٢١٩ سطر ١ وما بعده ويشير الى أنها شيء جديد مستحدث فى سنة ٨٢٧ هجرية من أجل المشــايخ الذين يواظبون على حضور فصول تدريس الحديث فى قلعة القاهرة .

(٢) قاموس الملابس ، صفحة ٣٢٩ ودى ساسى (De Sacy) فى Chrest. Arb الجزء الثانى صفحة ٢٦٧ .

(٣) قاموس الملابس صفحة ٣٢٩ ومابعدها ، ومع ذلك قد امتنعت على وجه العموم عن الاستناد الى ألف ليلة وليلة وكنت قد استندت اليها فى حالات قليلة ويخيل الى ان نصوصها الحالية قد نشرت فى خلال نهاية العصر المملوكى أو فى الفترة الأخيرة منه وفى خــلال فترات الانحطاط الأولى بعد الغزو العثمانى ظلت تقــاليد وعادات وأزياء الشعب على ما كانت عليه خلال العصر المملوكى .

(٤) قاموس الملابس ، صفحة ١٠٧ ـ ١١٧ وعلى أية حال يجب أن نتذكر ان الجبة تشكل جزءا من حفلات تنصيب السلطان . وانظر أيضا سلاطين المماليك ، الجــزء الأول صفحة ١٣٤ حاشية ٢ . ومن حديث النويرى الذى ورد بخصوص « الجبة » يبدو منه أنها كانت مطابقة «للفرجية» .

(٥) انظر ملحق القواميس لدوزى تحت المادة نفسها وابن اياس ، الجزء الثــالث (تحقيق كاله ومصطفى) صفحة ١٦٣ سطر ٢٤ ، صفحة ٣٠١ ، سطر ١٥ صــفحة ٤٣٢ ، سطر ١٠ .

اسم « جوخة » Jûkha مثل العسكريين وفى خلال عصر الجراكسة، أصبحت هذه العباءات من الملابس المألوفة للغاية ، وقد سبب ذلك استياء شديدا لرجال كالمقريزى ، الذى أخذته الحسرة على زوال ما كان فى الحياة من مظاهر الترف (١) .

ومن النوادر الغريبة التى ذكرت ، أنه لما عين « يحيى بن الدويرى» قاضيا لبس « طوقا » وهو أمر لم يسمع عنه بتاتا من قبل (٢) واذ كان المألوف أن يرتديه « ناظر الأوقاف » ومع ذلك لم يصدر أى نقد من أى شخص (٣) . كما لبس أيضا حذاء برقبة أى «خفا» مزودا بمهاميز (٤) .

أما كيف كان شكل هذا الطوق فما زال مشكلة شديدة التعقيد .

وفى هذه الحالة ــ كما فى حالات كثيرة مشابهة ــ يظهر أنه نوع من الياقات العريضة أو الزخرفة التى تلتف حول الرقبة . وفى أمثلة أخرى كان يقصد به بكل تأكيد شىء آخر مخالف للغاية . وفى هذه المناسبة أود أن ألفت النظر الى مخطوط « الفروسية » بالمكتبة الأهلية بباريس ، حيث يستدل دون شك من سياق الحديث ومن رسم موجود ، بأنه يقصد بالطوق الحافتان الأماميتان للمعطف (٥) . ومن المحتمل أن يكون له معان أخرى كذلك .

ومن بين الملابس الخاصة بطائفة رجال الدين : الزى الأسود لخطيب الجمعة وهو زى يستحق التنويه بصفة خاصة اذ يعتبر مع البيدق الأسود والسيف اشارة من الشارات الوظيفية ، وكان يلبسه الخطيب يوم الجمعة أثناء القاء الخطبة ويمثل هذا الثوب عباءة سوداء لها طرطور مناسب يوضع

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٨ ، سطر ٢٢ ــ ٢٧ « تحت عنوان « سوق الجواخين » وانظر ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ٢٧٤ سطر ٤ ، قاموس الملابس صفحة ١٢٨ وانظر أيضا ما جاء تحت كلمة « أمراء » .

(٢) ابن أياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٦٨ سطر ٧ وفى ابن اياس القاهرة ١٩٦٠ ورد الاسم « محيى الدين بن الدميرى » وليس « الدويرى » كما أورده Mayer (المراجع) .

(٣) المصدر نفسه ، صفحة ٤٤ ، سطر ٣ .

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥) كتاب المخزون ، مخطوط عربى ، رقم ٢٨٢٤ ، ورقة ٨٢ ظهر .

فوق عمامة سوداء(١) ، والظاهر أن ذلك الزى قد أدخله الأيوبيون كرد فعل ضد العلويين الفــــاطميين (٢) ، ثم ظل تقليدا ساريا فى عصر المماليك(٣) ٠

وقد كان لسلالة النبى مكانة مرموقة دائما فى المجتمع الاسلامى ، ويطلق عليهم اسم « السادة الأشراف » ولكن من العجيب أن صــفة التشريف والنبل لم تظهر بوضوح فى شكلها المادى المتعلق بالزى حتى سنة ٧٧٢ هجرية ، أى حتى عصر الملك الأشرف شعبان ، حينما بدءوا فى تثبيت قطعة قماش خضراء فى عمائمهم(٤) ٠ وكانوا أحيانا ــ بل من المحتمل فى حالات خاصة جدا ــ يثبتــــون أكثر من قطعــــة صــــغيرة خضراء فى عمائمهم٠وقد حدثنا المقريزى أن الشريف شهاب الدين عندما عين « كاتب السر » تلقى ، كجزء من ثياب التشريف ، طرحة خضراء بزخارف مطرزة بالذهب (٥) ٠

وفى مجتمع ترتدى فيه كل طبقة من الشعب زيا مميزا متباينا ، يصبح من الطبيعى تماما ــ نتيجة لذلك ــ أنه اذا ما حصل رجل من رجال دين على رتبة عسكرية ، وجب عليه أن يشرع فى ارتداء الملابس العسكرية الخاصة برتبته الجديدة والعكس بالعكس ، ولكن الأمر لم يسر هكــذا

---

(١) انظر مخطوط الحريرى بفينـــا ، تعليق هولترا Holter ، جالن ، Galer صفحة ٢٤ شكل رقم ٢٠ ، ونسخة الحريرى بأكسفورد (هولتر Holter, Frûhmamlûk شكل رقم ١٤ ، صفحة ٦ وما بعدها ونظرية هولتر التى تفيد أنها تصور الخليفة العباسى مبنية على أساس أن اللون الأسود خاص بالعباسيين ٠ ولكن اللون الأسود كان يدل كذلك على مجـــرد الولاء للعباسيين ، ولذا ليس من الضرورى أن يكون الشخص المصور فى الوسط هو الخليفة نفسه لاسيما وأنه ليس له أية علاقة بالمنظر المصور ٠

(٢) خلال حكم صلاح الدين ، أنظـــر ابن جبـــير Gibb. Mem. Series صفحة ٥٠ وليفى «تعليقات» Notes ، صفحة ٣٣٣ ٠

(٣) مثلا فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الثانى ، سنة ٩١٨ هجرية ، لبس أحد الخطباء السواد أثناء القاء الخطبة ٠ (ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٦٨ ، سطر ٤) ٠

(٤) النجوم ، طبعة بوبر ، الجزء الخامس ، صفحة ٢١٦ سطر ١٣ وما بعده ٠ ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ٢٢٧ سطر ٥ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء الثانى صفحة ٢١٤ سطر ٩ من أسفل والمؤلف نفسه ، تاريخ الخلفاء ، القاهرة سنة ١٣٠٥ هجرية الجزء الأول صــفحة ٢٠٢ سطر ١٧ ومابعــده ، على دده الســـجتوارى البوسنوى ، محاضرات الأوائل ، طبعة بولاق ، سنة ١٣٠٠ هجرية صفحة ٨٥ سطر ٣ ومابعده ٠

(٥) السلوك ، أنظر : ذو الحجة سنة ٨٣٢ هجرية ٠

على طول الخط ، اذ رغما عن كل قوى الاغراء التى يمكن لعضو من الطبقة الارستقراطية العسكرية أن يضفيها على أى فرد مدنى ، ورغم جميع القيود التى كانت تفرض بين الفينة والفينة على « أرباب العمائم » مثلا حينما صدر فى سنة ٧٩٣ هجرية أمر يحرم على جميع أصحاب المناصب الرفيعة ركوب الخيل (١) ، فقد فضل بعض رجال الدين الذين أصبحوا ضباطا عسكريين ارتداء الملابس الدينية (٢) ، وهكذا مثلا ، لما عين « صلاح الدين محمد بن بدر الدين حسن » كاتبا للسر نزل من القلعة الى القاهرة ، « وهو يرتدى عمامة » مستديرة وفرجية مثل رؤساء القلم ، وقد فرح الناس كثيرا لذلك » ، وان كان قد تربى تربية عسكرية وفى زى عسكرى ، وأصبح أميرا فى خلال حكم السلطان المؤيد شيخ ، وظل لعدة سنين يشغل مناصب خاصة بالعسكريين (٣) . ولما عين جقمق فى سنة ٨٤٦ هجرية (الموافق ١٤٤٢ ميلادية) زين الدين يحيى « أستا دارا » داوم هذا على ارتداء العمامة والفرجية . وكان ذلك سببا لتعرضه لنقد شديد من ابن تغرى بردى (٤) . كما أن « شمس الدين بن عواد » القيم على مصانع الذخيرة أو « استادار الذخيرة » وهو فى الأصل فلاح من محافظة الغربية ، ظل محافظا على ارتداء عمامة الفلاحين (٥) وكذلك فعل « عبيد » البازدار الذى لبس الملابس العسكرية أثناء سباقتشريف Cursus Honorum أقيم تكريما له ثم أعرض عنها وخلعها بعد ذلك(٦)، ولما استقال أحمد بن حاج آل ملك . وهو أمير ابن أمير ، فى سنة ٧٧٩ هجرية ، امتنع عن ارتداء الملابس

---

(١) ابن الفرات ، الجزء التاسع ، صفحة ٢٤٦ ، سطر ١٤ . فى شهر يناير ١٤٢٩ ميلادية ، أذيع مرسوم يحرم على أرباب العمائم شراء الخيل (ويسرى ذلك أيضا على الجنود من أولاد الناس » ولو أن هذا المرسوم قد ألغى بعد ذلك بوقت قصير ، وهذا مثل طيب للحد من الامتيازات للجميع فيما عدا العسكريين (السلوك ، ربيع الثانى سنة ٨٣٢ هجرية .

(٢) النجوم طبعة بوبر Popper ، الجزء السابع ، صفحة ١٢٥ ، بتاريخ ٨٤٦ هجرية (ولم يغير زيه فى لبس المباشرين) التبر ، صفحة ٤٣ ، سطر ٣ من. من أسفل .

(٣) السلوك ، حوادث الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ٨٤٠ هجرية .

(٤) النجوم ، طبعة بوبر Popper ، الجزء السابع ، صفحة ١٢٥ ، سطر ١٢ .

(٥) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٧٦ ، سطر ٢١ .

(٦) ابن الفرات ، الجزء التاسع ، صفحة ٢٨٣ سطر ١٥ ومابعده .

العسكرية ، واتخذ لنفسه زى الدراويش ، وهو عبارة عن عباءة وثياب من صوف (١) .

ومن ناحية أخرى ، اشتهر بعض رجال الدين بارتدائهم الزى العسكرى . فقد ورد بشأن أحد المشايخ أنه حصل على مرتبة عسكرية، فارتدى من الزى ما يلائم مركزه ، الا أنه اضطر بعد ذلك الى ترك « العمامة » وارتداء « الشربوش » (٢) . واشتهر الشيخ سيدى « أبو بكر » بأنه « صاحب الكلوتة » (٣) . أما « صارم الدين ابراهيم بن ناصر الدين بن الحسام الصقارى » ، ولو أنه ابن أمير ووزير ، فقد انتقده المقريزى لأنه اعتقد صراحة أنه من غير اللائق أن يرتدى ابراهيم هذا زيا عسكريا (٤).

ومع ذلك ، كان رجال الدين حريصين بصفة عامة على عدم ارتداء الملابس المحرمة ، ونقصد بها المصنوعة من الحرير ، والأطلس ، أو من أقمشة أخرى يغلب الحرير على خاماتها ولكن لم يتقيد بعضهم بهذا ، فقد حدث مثلا أن خلع على « صاحب ديوان الانشاء » فى سنة ٦٥٩ هجرية، ثوبا أصفر من الحرير الأطلس (٥) وظهر به فعلا بين الجمهور .

وفى أثناء الاحتفال بالمولد النبوى ، جرت العادة أن يخلع السلطان أحيانا على المقرئين والخطباء مقاطع من الحرير ، ولكن ليس هذا دليلا على أنهم سيتخذون منها ملابس لهم (٦) .

ومجمل القول : أن الزى المميز « لرجل عامى » ، ونقصد به أى رجل من«عامة الشعب» ، يتكون من «عمامة» و «ملوطة» وهذا يقابل«التخفيفة» و « السلارى » عند المملوك (٧) .

---

(١) ابن الفرات ، الجزء التاسع ، صفحة ٢٧٦ سطر ٣ .

(٢) سلاطين المماليك ، الجزء الأول (أ) صفحة ٢٤٤ حاشية ١١٩ ، سطر ٤ من أسفل .

(٣) ابن أياس ، الجزء الأول ، صفحة ٣٤٠ ، جميع الأسطر .

(٤) السلوك ، انظر «ابراهيم» بين وفيات عام ٨٣٣ هجرية .

(٥) السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٤٥٣ ، سطر ٢ .

(٦) حوادث Hawadith صفحة ٥١٠ ، سطر ٦ بتاريخ الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٧٠ هجرية .

(٧) ابن اياس ، الجزء الثالث ، (تحقيق كالة ومصطفى) صفحة ٣٥١ ، السطور من ٧ ــ ٩ .

خلع التشريف

الواقع أنه فى كتاب عن تاريخ الأزياء الاسلامية ، نرى من الواجب افراد فصل خاص لثوب التشريف (١) ، الذى يطلق عليه اسم «خلعة» . وقد كان فى العصور السابقة للعصر المملوكى غالبا عبارة عن ثوب يلبسه الحاكم نفسه ويعطيه كهدية بعد أن يخلعه من فوق جسده — وكان هذا التصرف يعتبر أصلا بمثابة وعد شخصى بالأمان أكثر منه رمزا للتكريم — ثم أصبحت خلعة التشريف فى القرن الرابع عشر بمثابة هدية شائعة، الى حد أنه أمكن لموظفى الدولة اعتبارها حقا مكتسبا كمرتباتهم سواء بسواء. وقد وردت فقرات عديدة فى المراجع التاريخية تثبت أن طابع الخلعة كان هبة معتادة(٢)،

---

(١) جوديفروى — ديمومبين Gaudefroy-Demombynes, Syria ، صفحة LXXXIX ، اعترض على هذه الترجمة لكلمة (خلعة) لأن هذه الأخيرة تحتوى على « جملة أشياء .. تشتمل على ثياب ، وأسلحة وجواد وعدته .. الخ » وعلى أية حال فان ذلك فى حالات استثنائية . ولكن كقاعدة عامة ، فان المنحة التى كانت مكونة من عدة أشياء لا ليلبسها الرجل ولكن للتشريف ويطلق عليها اسم « تقدمة » . ومن جهة أخرى ، فان أقنعة الرأس فى أحيان كثيرة وكذلك أيضا الأحزمة هذا مع استبعاد الأسلحة — التى ينبغى علينا أن نتذكر أنها كانت تمثل دائما جزءا مهما وأساسيا من مظهر الأمير — لم تكن تحتسب كجزء من الثياب الممنوحة التى يطلق عليها اسم (خلعة) راجع ما جاء فى صفحة ١٠٣ حاشية ٧ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٢١٦ ، س ١٤ ومابعده : ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة بوبر Popper ، ج . السابع ، صفحة ٣٢٣ ، س ٦ — ٨ ، Hawadith صفحة ٣٠ ، سطر ١ وما بعده « على عادة » صفحة ٤٤٦ سطر ٩ ، صفحة ٤٧٢ سطر ١٤ ، السخاوى ، التبر ، صفحة ٢٠٨ ، سطر ١٢ . صفحة ٤٢٤ ، سطر ١٢ ، ابن اياس ، ج. الرابع ، صفحة ١٠٤ سطر ٧ ، « أخلع السلطان على من له العادة » .

وبخاصة تلك الفقرات التى تشير الى التغييرات التى حدثت فى خصائص «ثوب التشريف» (١) وبناء عليه، أصبح من النادر أن نسمع فى خلال حكم المماليك ، أن ثياب التشريف كانت من الملابس التى يرتديها السلطان نفسه (٢) . ومع ذلك نقرأ أنه لما أرسل السلطان الملك «المظفر يوسف ابن عمر» من بنى رسول هدايا ثمينة الى السلطان «بيبرس» ، أرسل اليه الأخير ردا على ذلك قميصا (كأمان) ودرعا (جوشن) ، وكانا فى الأصل يرتديهما لنفسه (٣) . وفى حفل زفاف نجله « بركة قان » من ابنة «قلاوون» أهدى بيبرس الى قلاوون «خلعة» تشريف كاملة وشربوش كان هو نفسه يرتديهما »(٤) . وفى السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٨٣٧ هجرية (التاسع عشر من مارس سنة ١٤٣٤ ميلادية) ، عندما تنحى « كريم الدين » عن عمله كوزير ، وعين « استادارا » للسلطان أهدى قباء سلطانيا من أقبية السلطان (٥) . وفى سنة ٨٦٢ هجرية عندما أراد السلطان « اينال » أن يكرم الأمير « أزبك من ططخ» ، الذى لم يكن يشغل أية وظيفة حتى ذلك الحين ، خلع على «أزبك» هذا «معطفا — سلاريا» من ملابسه الخاصة (٦) وفى عام ٨٨٢ هجرية خلال جولة تفتيشية فى سوريا خلع « قايتباى » على « قانصوه اليحياوى » ، الذى كان حينئذ حاكما على حلب ، « سلارية » من الصوف الأبيض ومبطنة بفراء السمور الرمادى

---

(١) السخاوى ، الضوء ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٤ ، سطر ٢١ ومابعده حيث ورد ذكر « عبد الباسط بن خليل » كموظف خلعت عليه ثياب للتشريف أرقى بكثير مما يمنح لطبقته . وفى سنة ٨٧٣ هجرية تلقى يشبك الدوادار ثوبا للتشريف فخما (خلعة حافلة) كالتى تخلع على الأتابك ، ويتضح أن القصد من هذا اعلاء شأنه . ابن اياس ، الجزء الثانى صفحة ١٠٢ ، سطر ٢٠ ومابعده .

(٢) جاء التقرير الشامل لسيمون سيجولى Simone Sigoli (الذى نقل عنه تنيود Thenaud طبعة شيفر ، صفحة ١٣) أن برقوق اعتاد أن يرتدى ملابسه مرة واحدة فقط ، ثم يخلعها على أمرائه ، وكان ينبغى أن يتقبلوها مع حبتين من الملح

(٣) النويرى ، حوادث سنة ٧٦٤ هجرية مخطوط ليدن ، Ot. 2 m ورقة ٢١٥ وجه سطر ٦ ومابعده وأخذ عنه قاموس الملابس ، صفحة ٢٢٣ .

(٤) السلوك ، طبعة زيادة ، الجزء الأول صفحة ٥٦٣ السطور جميعها وصفحة ٥٦٤ سطر ١ .

(٥) السلوك حوادث هذه السنة .

(٦) ابن اياس ، الجزء الثانى ، صفحة ٦١ سطر ١٤ ومابعده .

مما كان السلطان نفسه يرتديه وقتئذ (١) . على أننا غالبا ما نقرأ عن «ثياب التشريف» التى صنعت خصيصا من أجل السلطان، ولو أنه لم يلبسها (٢) .

ولعله من الصعوبة بمكان ، بل من المتعذر تماما ، تحديد الأجزاء التى كانت تتكون منها الخلعة ، فقد قرأنا المرة تلو المرة عن الخلعة «الكاملة» دون تحديد نوعية القطع التى كانت تتألف منها (٣) . وأحيانا كان ثوب التشريف يقتصر على «قباء» أو «عباءة» (٤) كما كان يشتمل غالبا على متنوعات من ملابس الأمراء كالأحزمة أو القلانس التى كان يشار اليها على التخصيص بوصفها أشياء مضافة الى الخلعة (٥) ، وأحيانا أخرى كانت الخلعة تشتمل على أجزاء من الثياب ، بل وفى بعض الظروف كانت تتضمن أسلحة (٦) . والخلعة التى منحت لأبى الفداء سنة ٧١٥ هجرية (١٣١٥ ميلادية) كانت تحتوى على مسكوكات وأقمشة كذلك (٧)، وفى بعض الحالات الاستثنائية أيضا كانت تحتوى على درع فارس وكسوة جواد

---

(١) أبو البقاء بن الجيعان ، القول المستظرف ، طبعة ر.ف. لانزون R.V. Lanzone صفحة ١٩ سطر ٩ ـ ١١ (ترجمة هـ . ديفونشير Devonshire صفحة ١٨ من أعلى) .

(٢) راجع مثلا « القماش » الذى خلع على أبى الفداء والذى صنع فى دار الطراز بالاسكندرية . أبو الفداء : مختصر ، حوادث سنة ٧٢٨ هجرية ، الجزء الرابع صفحة ١٠١ سطر ٦ ومابعده .

(٣) زترشتاين Zetterstéen ، صفحة ٩٧ ، سطر ٤ ، صفحة ١٦٣ سطر ٤ ، صفحة ٢١١ سطر ١٥ وبالطبع دون احصاء الأمثلة العديدة التى وردت فيها كلمة (كاملة) فهى مجرد خطأ من الناسخ عند نسخ كلمة (كاملية) ، انظر مثلا ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ٣٣٢ سطر ١٥ ، صفحة ٣٣٣ سطر ٩ ، صفحة ٣٧٢ سطر ١٨ .

(٤) السخاوى ، التبر ، صفحة ٢٠٨ ، سطر ١٣ .

(٥) فى سنة ٦٦٦ هجرية تلقى سنقر الأشقر ثيابا للتشريف وأحزمة «حوائص» ، أنظر السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٥٧٠ سطر ١٢ وفى سنة ٧١٢ هجرية تلقى ستة وأربعون أميرا ثيابا للتشريف ، وقلانس (شربوش) النويرى ، حوادث السنة ، مخطوط، ليدن Ot. 20 ، ورقة ٦٤ وجه ، سطر ١٥ وفى سنة ٧٢٨ هجرية تلقى أبو الفداء أحزمة ـ حوائص مصنوعة من الذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة بالاضافة الى ثياب التشريف ، راجع كتابه المختصر ، الجزء الرابع صفحة ١٠١ سطر ٦ .

(٦) راجع النويرى فى تاريخ ٧١١ هجرية نفس المرجع ، ورقة ٥٨ وجه ، سطر ١/٢) السلوك : حوادث ذى الحجة سنة ٨٣٦ هجرية .

(٧) أبو الفداء ، طبعة رايسك Reiske ، الجزء الخامس ٢ صفحة ٢٩٤ من أعلى .

مزركشة (١) . ومن المحتمل أن يكون مؤرخو العصر المملوكي من أجل هذا السبب قد اعتادوا الجمع بين هذه الأشياء كلها ، تحت عنوان واحد هو : الخلع والتشاريف (٢) . ومثل هذه التفاصيل التي نجدها في المراجع تبعث على الظن بأن ثوب التشريف لم يكن له خصائص معينة من حيث تفصيله بل انه بقدر ما نعرف عن شكله من معلومات ، كان كأى ثوب عادى آخر ، اللهم الا اذا كان قد صنع أو بطن أو حلى بأهداب أو أشرطة من مواد نفيسة (٣) . وأسماء الملابس المستخدمة كثياب للتشريف تخلع على الأمراء ، كانت تماثل تماما تلك التي يرتديها عادة أى شخص في حياته اليومية (٤) . ومن ثم كانت تتنوع وتختلف باختلاف طبقات الشعب .

والواقع أن ذلك التنوع المذهل في ثياب التشريف خلال العصر

---

(١) وفى فقرات كهذه ، كما لاحظ جودفروى ـ ديمومبين Gaudefroy-Demombyens وراجع أيضا حاشية٦ ص١٠٢او ١٠ف٠كرير A.V. Kremer, Beiträge zur arabischen Lexik في اضافات على المعاجم العربية تحت مادة « خلع » ، صفحة ٥١ ، وبالطبع نكون حريصين بخصوص هذه النقطة . اذ نقرأ من حين لآخر : خلع عليه .. انعم عليه ، ويظهر بوضوح تام أن الأشياء التي يشار اليها بعد كلمة «أنعم» لا تمثل جزءا من الخلعة (النويرى ، حوادث سنة ٧١٨ هجرية ، مخطوط ، ليدن ، أصل ٢٠ ورقة ١٠٠ وجه سطر ٩ وزترشتاين Zetterstéen صفحة ٢١٥ سطر ١٣ ، ابن اياس ، الجزء الأول ، صفحة ٢٠٤ سطر ١٣) « خلع وفرق » (ابن اياس الجزء الأول ، صفحة ٢٦٤ كلها) وكانت تستعمل احيانا كلمة « البس » (الحوادث Hawadith صفحة ٥٠٩ ، سطر ٢٠ حوادث العاشر من ربيع الأول سنة ٨٧٠ هجرية) راجع صفحة ٨ من أسفل .

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء الرابع ، صفحة ٥٢ ، ضوء الصبح صفحة ٢٥٩ ، سطر ٨ ولما كانت كلمتا « تشريف وخلعة » مترادفتين فربما كان الأفضل الوقوف على ذلك عن طريق هذه الفقرات «وخلع .. تشريفا» ويقصد بذلك محمد بن قلاوون حين خلع على أبى الفداء وولده محمد ، راجع : أبو الفداء ، المختصر ، حوات تاريخ سنة ٧٢٨ هجرية ، الجزء الرابع ، صفحة ١٠١ ، سطر ٥ ، والسخاوى ، التبر صفحة ١٤٤ سطر ٤ (وهو لابس التشريف .. وهو أيضا فى لابس خلعة) وفقرات مختلفة من المصادر المملوكية ، أوردها كاترمير Quatremère فى رشيد الدين ، تاريخ مغول فارس ، الجزء الأول صفحة ٢١٧ حاشية ٦٢ .

(٣) ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ١٠٤ سطر ٩ ، « سيوار ـ ولو أنه كان مسجونا ـ لبس عند دخوله القاهرة خلعة التماسيح على أسود » ، ابن اياس الجزء الثانى ، صفحة ١٣٨ سطر ٤ .

(٤) فوقانى ، جبة ، كاملية ، قباء ، سلارى .. الخ .

المملوكى ، قد صنف بدقة حسب طبقات المماليك ويبدو ذلك واضحا من كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ، حتى ان الانسان ليجد صعوبة كبرى اذا أراد أن يحاول محاولة أفضل وأدق مما قدمه هذا المؤلف بأسلوبه الخاص • ولكن بما أن المخطوطين الوحيدين الخاصين بهذا الكتاب واللذين تحت تصرفى قد عانيا كثيرا على أيدى النساخين الذين نقلوهما الينا ، ولما كان كاترمير Quatremère قد ترجم أحدهما (١) ، لذلك أفضل أن أقدم ترجمة لهذا الفصل من واقع اقتباس مطول من كتاب الخطط للمقريزى : (٢)

« وكانت لأهل الدولة فى الخلع عوايد ، وهم على ثلاثة أنواع : أرباب السيوف والأقلام والعلماء ، فأما أرباب السيوف فكانت خلع أكابر أمراء المئين الأطلس الأحمر الرومى (من آسيا الصغرى) وتحته الأطلس الأصفر الرومى ، وعلى الفوقانى طرز زركش ذهب وتحته سنجاب ، وله سجف من ظاهره مع الغشاء قندس ، وكلوته زركش بذهب وكلاليب ذهب ، وشاش لانس رفيع fine musline موصول به فى طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان ، مع نقوش باهرة من الحرير الملون ، مع منطقة ذهب

ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم ، فأعلاها ما عمل بين عمدها بواكر وسطى intermediate roundels ومجنبتان بالبلخش والزمرد واللؤلؤ ، ثم ما كان ببيكارية واحدة مرصعة ثم ما كان ببيكارية واحدة غير مرصعة، وأما من تقلدولاية كبيرة منهم فانه يزاد سيفا محلى بذهب يحضر من السلاح خاناة ، ويجلبه ناظر الخاص ، ويزاد فرسا مسرجا ملجما بكنبوش ذهب ، والفرس من الاصطبل ، وقماشه من الركاب خاناه • ومرجع العمل فى سروج الذهب والكنابيش الى ناظر الخاص •

وكان رسم صاحب حماة (٣) من أعلى هذه الخلع ، ويعطى بدل

(١) سلاطين المماليك الجزء الثانى ب صفحة ٧٢ ـ ٧٤ •

(٢) الجزء الثانى ، صفحة ٢٢٧ سطر ٢٠ ، صفحة ٢٢٨ سطر ١١ • أضيفت فقرات قليلة من المسالك أشير اليها بحاصرتين صغيرتين وكان وصف ابن فضل الله قد اختصره القلقشندى ، فى صبح الأعشى ، الجزء الرابع صفحة ٥٢ سطر ١٢ ، صفحة ٥٣ سطر ٩ وفى ضوء الصبح صفحة ٢٥٩ وما بعدها •

ونحن بدورنا قد رجعنا الى نص المقريزى الأصل مع الاشارة عند الضرورة الى الخلافات بينه وبين ماجاء به ماير Mayer (المراجع) •

(٣) من أجل معرفة الوصف التفصيلى لخلعة تشريف أبى الفدا ـ راجع ترجمة حياته فى Recueil des Historiens des Croisades, Historiens orientaux, T, I, pp. 166-186

حيث يظهر أن الخلعة التى أشار اليها ابن فضل الله قد خلعت عليه فى شهر محرم سنة ٧٢٠ هجرية (أبو الفدا نشر Reiske جزء ٥ صفحة ٣٣٦) •

الشاش اللانس شاش من عمل الاسكندرية حرير شبيه بالطول ، وينسج بالذهب ، ويعرف بالمتمر (١) ويعطى فرسين أحدهما كما ذكر ، والآخر يكون عوض كنبوشه زنارى أطلس أحمر · وكانت لنائب الشام — على ما استقر فى أيام الناصر محمد بن قلاوون — مثل هذا ، وزيد لـ «تنكز» تركيبة زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقانى ·

ودون هذه الرتبة فى الخلع نوع يسمى طرد وحش (٢) يعمل بدار الطراز التى كانت بالاسكندرية وبالقاهرةوبدمشق ، وهو مجوخ جاخات (مزين بأشرطة) كتابة بألقاب السلطان ، وجاخات طرد وحش ، وجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب ، يفصل بين هذه الجاخات نقوش ، وطراز هذا يكون من القصب ، وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازا مزركشا بالذهب ، وعليه فرو سنجاب وقندس كما تقدم ، وتحت القباء الطرد وحش قباء من المفرج (٣) الاسكندرانى الطرح، وكلوته زركش بكلاليب وشاش على ما تقدم ، وحياصة ذهب ، فتارة تكون ببيكارية ، وتارة لايكون بها بيكارية ، وهذا لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم ·

ودون هذه الرتبة فى الخلع كمخا عليه نقش من لون آخر غير لونه ، وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما ، وتحت سنجاب بقندس ، والبقية كما تقدم ، الا أن الحياصة والشاش لايكونان بأطراف رقم ، بل تكون مجوخة بأخضر وأصفر مذهب ، والحياصة لاتكون ببيكارية .

ودون هذه المرتبة كمخا تكون واحدة بسنجاب مقندس والبقية على ما ذكر ، وتكون الكلوتة خفيفة الذهب ، وجانباها يكادان يكونان خاليين بالجملة ، ولا حياصة له ، ودون هذه الرتبة محرم muhram (٤) لون واحد، والبقية على ماذكر، خلا الكلوته والكلاليب ودون هذه الرتبةمحرم مقندس، وهو قباء ملون بجاخات من أحمر وأخضر وأزرق، وغير ذلك من

---

(١) فى المقريزى « المثمر » ولكن لتبريرات متعددة يعتبرها ماير Mayer « المتمر » انظر صفحة ٢٧ حاشية ٢ ·

(٢) فى المقريزى « طرز وحش » ولكن ماير Mayer يعتبرها « طرد وحش » استنادا الى بلوشيه Blochet ومفضل بن أبى الفضائل انظر حاشية ١ صفحة ٥٩ من ماير Mayer Mamluk Costumes (المراجع)

(٣)صححها ماير Mayer بعد أن كانت فى المقريزى « المقترح » ·

(٤) فى المقريزى « مجوم » وقد قرأها ماير Mayer « محرم » وذكر ان لفظ (مجوم) خطأ نسخ واضح ·

الألوان بسنجاب وقندس ، وتحته قباء اما أزرق أو أخضر ، وشاش أبيض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره . ثم دون هذا من هذا النوع (بالرغم من أنه لرتبة أقل) (١) .

وأما الوزراء والكتاب فأجل ما كانت خلعهم الكمخا الأبيض المطرز برقم حرير ساذج وسنجاب مقندس وتحته كمخا أخضر (٢) وبقيار baqyar (شال العمائم) كان من عمل دمياط مرقوم وطرحة.

ثم دون هذه الرتبة عدم السنجاب ، بل يكون القندس بدائر الكمين وطول الفرج (الفتحة) ودونها (دون هذه الرتبة) ترك الطرحة ، ودونها أن يكون التحتاني محرما ودون هذا أن يكون الفوقاني من الكمخا لكنه غير أبيض ، ودونه أن يكون الفوقاني محرما أبيض ، ودونه أن يكون تحته عتابى ʻattâbî (٣) .

وأما القضاة والعلماء فان خلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة، وأجلهم أن يكون أبيض ، وتحته أخضر ، ثم مادون ذلك .

وكانت العادة أن أهبة الخطباء ــ وهى السواد ــ تحمل الى الجوامع من الخزانة وهى دلق مدور (٤) ، وشاش أسود وطرحة سوداء وعلمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذهب وثياب «المبلغ» قدام الخطيب مثل ذلك حلا الطرحة » (٥) .

والشيء الهام الذى يجب ألا يغيب عن ذاكرتنا ، هو ذلك الطابع الرسمى للخلعة فان أى ترقية الى منصب أعلى كان معناه ضمنا « منح خلعة » حتى غدا التعبير ب « خلع عليه بنيابة» (٦) شائعا تماما كما شاع التعبير بكلمة « لبس » (خلعة أو تشريف) ، ولو أنه مع ذلك يعتبر

---

(١) الزيادة هنا ل ماير Mayer صفحة ٥٩ .

(٢) أضاف ماير Mayer عن المسالك ، لابن فضل الله العمرى فقرة وضعها بين حاصرتين وهى تفيد ان « الكمخا محدد بسنجاب قندس وكذلك الحال بالنسبة للاكمام » مع أن هذه العبارة غير موجودة بالمقريزى (انظر .

(٣) فى الاصل «عنابى» وصححها ماير Mayer صفحة ٦٠ كما وردت هنا فى المتن

(٤) من الواضح أن مؤرخى العصر المملوكى يعنون بالدلق المدور أو المربع خلعة بفتحة للرقبة مدورة أو مربعة .

(٥) المقريزى : خطط صفحة ٢٢٧ وصفحة ٣٣٨ . (وقد تمت مراجعة الترجمة مع النص الأصلى بالمقريزى) .

(٦) مثلا ، النجوم ، طبعة بوبر Popper ، ج ، السادس ، صفحة ٩٤ ، سطر ١

تعبيرا ضعيفا للدلالة على التعيين الفعلى (١) وبالمثل أصـــبح التعبـــير عن قرار الترقية مختصرا فى كلمات مثل « فلان من الناس عين وزيرا » « دون الاشارة الى منحـــه تشريف » (٢) • وهناك أمر مهـــم آخـــر هو تعيين موظف ليشغل وظيفتين فى وقت واحد ، فعندئذ كان يتلقى ثوبين للتشريف • وهكذا نقرأ أن أحد رجال الدين قد عين فى وظيفتى قاض وخطيب ، فمنحه السلطان«لاچين»ثوبين للتشريف ، لكل منصب منهما ثوب خاص به (٣) • ولما نصب طشتمر البدرى حاكمـــا لحلب ، تلقى ثوبا للتشريف ليرتديهعند وصوله الى حلب، ثم بعد ذلك قدم له ولكل فردمن أبنائه « قباء » خاصا بالرحلة (٤) • كما أنه فى احدى المناسبات منح أمير عظيم ثوبين للتشريف لرحلة واحدة (٥) •

وكان من المهم جدا أن تظهر الخلعة للناس فى المناسبات ، فقـــد حدث فى شهر صفر سنة ٧١٦ هجـرية (١٣١٦ ميلادية) أن وجـدنا الشيخ « محمد بن مسلم » قاضى قضاة الحنابلة فى دمشق يرتدىالخلعة أثناء ذهابه الى عمله ، ويخلعها عقب قراءة المرسوم الخاص بتعيينه(٦) •ولما عين الشيخ « برهان الدين السوسى » قاضيا لقضاة مكة ، ارتدى خلعتهلمدة أسبوع من قراءة مرسوم تعيينه الصادر من السلطان (٧) • وينطبق هذا الوضع حتى على الحكام المســـتقلين ، فعندمـــا تلقى الســـلطان مراد

---

(١) النجـــوم ، طبعة بوبر Popper ، الجزء السابع ، صفحة ١٢٥ سطر ١٠ ومابعده : وفى سنة ٨٤٦ هجرية لبس عبـد الرحمن بن الكويز الاســـتادارية : و الحـــوادث Hawâdith صفحة ٣٢ سطر ١٢ وما بعده ، وفى سنة ٨٥٢ هجرية ، «ليس يلبغا الجركسى .. نيابة ثغر دمياط» .

(٢) السلوك ، بتاريخ أول ربيع الأول سنة ٨٣٨ هجرية (الموافق الخامس من شهر أكتوبر ١٤٣٤ ميلادية) وفى مناسبة مبكرة ظن المقريزى أنه جدير بالاهمية أن يشير خاصة الى أنه قد حدث فى سنة ٦٩٠ هجرية أن رقى سنجر الشجاعى وزيرا ، فمارس عمله بعض الوقت بدون أن يمنح قرارا بالتعيين أو يمنح «خلعة» ، السلوك الجزء الأول صفحة ٧٦١ سطر ١ ومابعده .

(٣) ابن كثير ، الجزء الثالث عشر ، صفحة ٣٤٩ ، سطر ١٥ .

(٤) زترشتاين Zetterstéen ، صفحة ٢١٢ سطر ١٥ وما بعده ، من المحتمل أن يكون من أجل سبب مماثل ــ قد تلقى الأمير زين الدين عبد الباسط خلعة ثانية بعد يومين من منحه وظيفة استادار ، بالرغم من أن الخلعة الثانية لم يطلق عليها خلعة السفر على سبيل التمييز ، السلوك ، حوادث شهر محرم سنة ٨٣٣ هجرية .

(٥) السلوك ، أحداث أول شعبان سنة ٨٣٥ هجرية .

(٦) برزالى Birzali مخطوط ليدن ١٧٠٠ ب صفحة ٣

(٧) التبر ، صفحة ٩٥ ، سطر ٥ وما بعده .

العثمانى ثلاثة أثواب للتشريف من «شاه رخ» ظهر بها أمام السفراء(١).

والغالب أن تسمى هذه الثياب بأسماء تطابق المناسبة التى منحت من أجلها ، فمثلا حين يرقى أمير الى منصب نائب كان ثوب التشريف الذى يخلع عليه يجب أن يطلق عليه اسم « خلعة النيـــابة » (٢) ، والوزير الذى يرقى حديثا يجب أن يتلقى « خلعة الوزارة » (٣) وبالنسبة لمن يعين حديثا فى منصب من المناصب كان يحصل أحيانا على خلعة تسمى « خلعة الاستقرار » (٤) واذا امتدت خدمة أحد الموظفين الرسميين أو ثبت فى وظيفته ، أو حامت حوله بعض الشكوك ، ثم أريد استمراره مع ذلك فى العمل ، أطلق اســـم « خلعة الاســـتمرار » على ثوب التشريف الذى يخلع عليه (٥) ، وعند وصول موظف كبير من أحد الأقاليم وجب تهنئته بسلامة الوصول بأن يخلع عليه « خلعة القدوم » (٦) ، وعند استئذانه فى الرحيل من السلطان قبل سفره وجب منحه « خلعة الســـفر » (٧) وغالبا ما كان يشار الى هذه الأخيرة مع نوع الثياب التى كانت تستخدم فى نفس أغراض « خلعة السفر » (٨) واذا استقبل الســـلطان أميرا فى مجلسه بعد تغيبه لمرضه ، كان يمنح ثوبا للتشريف يطلق عليه « خلعة

---

(١) السلوك ، بتاريخ شهر جمادى الثانى سنة ٨٤٢ هجرية .

(٢) زترشتاين Zetterstéen صفحة ٢١٢ سطر ١٥ .

(٣) السلوك احداث شوال سنة ٨٢٥ هجرية .

(٤) التبر ، صفحة ٣٨٤ ، سطر ٣ من أسفل .

(٥) السلوك ، أحداث ربيع الثانى من سنة ٨٣١ هجرية ، الحـــوادث Hawadith صفحة ٣٠ ، ســـطر ١ وما بعده ، صـفحة ٥٤٣ ســـطر ١٨ ، صـفحة ٤٦٧ سطر ٢ ، التبر ، صفحة ٢١٥ سطر ٣ وصفحة ٣٨٩ سطر ٨ وبكل تأكيد نجد فى الغالب خلطا بين « خلعة الاستمرار » و « خلعة الاستقرار » .

(٦) التبر ، صفحة ٩٦ سطر ٩ .

(٧) زترشتاين Zetterstéen صـــفحة ٩٨ سطر ٣ ، الســـلوك أحداث جمادى الأولى سنة ٨٣٥ هجرية ، النجوم ، طبعة بوبر Popper الجزء السابع صفحة ١١٤ سطر ١٣ .

(٨) ابن الفرات الجزء التاسع صفحة ١٩ سطر ٢٤ ، صفحة ٦٢ سطر ١ (قباء خلعة السفر) صفحة ٢٩٨ سطر ٣ ، صفحة ٣٠٦ سطر ١٤ ، صفحة ٤٥٥ ســـطر ٢١ (قباء السفر أو كاملية السفر) ، ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ١٤٠ سطر ١٣ ومابعده ، وأحيانا تكتب فى صيغة مختصرة : (قباء السفر أو كاملية السفر) ، راجع أبناء الحصر ، بتاريخ شوال سنة ٨٧٣ هجرية .

العافية » (١) للدلالة على شفاء الأمير · وفى حالة الصفح عن أمير معزول وجب أن يمنح « خلعة الرضاء »(٢) أو « خلعة الرضا »(٣) وكانت هـذه الخلعة تمنح أحيانا دون أن يشغل صاحبها أية وظيفـة (٤) ، وحتى الاقالة (٥) — وليس طبعا لسبب مخل بالشرف — كانت تعتبر فرصة لتقديم خلعة يطلق عليها اسم « خلعة العزل » (٦) · وأحيانا كان انقطاع مثل هذه الخلع يعنى فى ذاته الاقالة (٧) ·

وكان رفض ثوب التشريف يعتبر اساءة خطيرة ، اذ كان ذلك يعنى اعلان العصيان أو على الأقل المجاهرة بالعداء (٨) ، وعلى العكس من ذلك كان قبول خلعة التشريف علامة للتعبير عن الخضوع والولاء للسلطان (٩)·

وكان ثوب التشريف الخاص برجل الدين يمـاثل ثوب الرجـل العسكرى ، من حيث طريقة التفصيل والمظهر المألوف ، ولعله ممـا يبعث على الحيرة مبدئيا ، أننا نقرأ بين الفينة والفينة عن بعض رجال الدين ممن منحوا ثيابا للتشريف كانت فى حقيقتها — بقدر ما لدينا من معلومات حاليا

---

(١) الحوادث Hawâdith صفحة ٣٢٤ سطر ١٤ وما بعده ·

(٢) التبر صفحة ٤٥ ، سطر ١ ·

(٣) التبر ، ص ٣٠٧ ، س ١٦ ·

(٤) النجوم ، طبعـة بوبر Popper الجزء السادس ، صفحة ٩٤ سطر ٨ ، صفحة ٣١٧ سطر ٥ وما بعده ، السخاوى ، الضوء الجزء السابع ، صفحة ١٩٣ سطر ١٧ وما بعده ، ابن اياس الجزء الثانى صفحة ١٦٢ ، سطر ٥ وكذلك لما أراد السلطان أن يمنح رضاه لأمير كان يبغضه كثيرا بعد أن غلب هذا الاخير على أمره بواسـطة المماليك الجلبان فى البلاط السلطانى الحوادث Hawâdith صفحـة ٣٢٣ سطر ١٨ ·

(٥) النجـوم ، طبعة بوبر Popper الجزء السادس ، صفحة ٦٧٣ سطر ١٨ (ورد فى جودفرى وديمومبين صفحة ٤٩ حاشية ١) ·
(Gaudefroy-Demombynes, LXXXIX, No. I)

(٦) منح سلار واحدة عند جلوس محمد بن قلاوون على العرش للمرة الثـالثة، النويرى حوادث سنة ٧٠٩ هجرية ، ليدن أصل ٢٠ ورقة ٤٧ ظهر ، سطر ٢ ومابعده . ومنح الوزير بدر الدين حسن بن نصر الله فى مناسبة مماثلة جبة — مبطنة أو بسجف من فراء السمور ويستدل منها على أن خلعة العزل كانت بـدورها على قـدر كبير من الفخامة ، السلوك بتاريخ السابع عشر من شهر ربيع الثانى ، سنة ٨٤٢ هجرية ، وحدث فى سنة ٨٥٢ هجرية أن منح محتسب مدينة القدس واحدة (مع أنها لم تسم هكذا بصفة خاصة) التبر صفحة ٢٠٩ سطر ٣ ·

(٧) السلوك ، أحداث ٢٠ رجب سنة ٨٣٥ هجرية .

(٨) راجع من الأمثلة العديدة التى يشير اليها النجوم الجزء السادس ، طبعـة بوبر Popper صفحة ٤٦ سطر ١٦ وما بعده (قانى باى العلائى) ابن اياس الجزء الثانى صفحة ٣٧٤ سطر ١١ (قصروه ، نائب السلطان فى سوريا) ·

(٩) السلوك حوادث الخامس من شهر جمادى الأولى سنة ٨٤٢ هجرية .

ـ ملابس عسكرية . فمثلا عند افتتاح « برسباى » لمسجده فى يوم الجمعة الموافق الحادى والعشرين من شهر شوال سنة ٨٢٧ هجرية (الحـــادى عشر من أكتوبر سنة ١٤١٩ ميلادية) خلع على قاضى قضاة الحنفية ، محمد ابن سعد الديرى « كاميلية » من الصوف مبطنة بفرو سمور (١) .

وهذا دليل على ضعف الانسان حتى من أصحاب المناصب الرفيعـة من المشياخ الذين يذهبون الى أبعد الحدود من أجل حبهم للترف والذين كان عليهم أن يتغلبوا ـ فى كثير من الظروف المواتية ـ على أية عقبات تحول بين المسلم وبين ارتداء الذهب والحرير والأقمشـــــة الفاخرة الأخـــــرى التى لاتتفق وأحكام الدين ، كما قرأنا أيضا «أن العادة» قد جرت ان يخلع محمد بن قلاوون على القاضى « كريم الدين » الذى كان يعمل فى منصب «ناظر الخاص » ، ثيابا للتشريف تشمل ثوبين أحدهما (فوقانى) والآخر (تحتانى) من الأطلس الأبيض وكلاهما به بنود مطرزة وطاقية مستديرة مزركشة يطلق عليها اسم « قبع زركش » (٢) ، وحدث أكثر من ذلك ، أن خلع على أحد القضاة ثوبا للتشريف مذهبا فقبله (٣) .

هذا فى الوقت الذى وجـد فيه بعض رجال الدين ممن كان لديهم ـ رغم ولائهم للسلطان ـ الشجاعة الكافية لرفض ثياب التشريف المصنوعة من أقمشة تحرمها الأحكام الدينية (٤) فيحدثنا الســـيوطى (٥) أن « تقى الدين بن دقيق العيد » ـ وكان رجلا كثير التقوى والورع ويشغل وظيفة قاضى مصر فى عهد السلطان لاجين ـ رفض ثوبا للتشريف لأنه كان مصنوعا من الحرير ، وكان يرتديه لاجين نفسه ثم « أمر أن يستبدل به آخر من الصوف ، ولذلك ظل بحتفظ به للآن القرن (١٥ م) ومن جهـــة أخرى ، كانت الملابس التى يوزعها السلطان خليل على مختلف رجال الدين (من جميع المذاهب) عشية رحيله لغزو عكا ، يطلق عليها اســم «ثوب» لا «خلعة» (٦) .

وعلى أى حال ، يجب أن نضع فى الحسبان ، أن ملابس التشريف الأميرية مثل المتمرات والكوامل كانت تمنح أحيانا الى العمال العاديين(٧) .

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٣٣٠ سطر ٢١

(٢) الكتبى ، الجزء الثانى صفحة ٤ سطر ٢١ وما بعده .

(٣) أبو الفداء ، الجزء الثالث صفحة ٢١١ سطر ٣ من أسفل .

(٤) ابن اياس ، الجزء الثانى صفحة ٣٧٤ سطر ١١

(٥) حسن المحاضرة ، طبعة سنة ١٢٩٩ هجرية ، الجزء الثانى صفحة ١٣٤ سطر ٥ من أسفل .

(٦) مفضل ، صفحة ٣٧٦ سطر ٣

(٧) راجع مثلا ، ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ١٥٩ سطر ١٦ ـ ١٨ .

ومن المحتمل أن يكون ذلك متبعا فى حالة منح ثوب غير مميز الطابع الى شخص لا يحق له أن تخلع عليه خلع التشريف (١) ٠ ويجب أن يكون مثل هذا الثوب فى الغالب مصنوعا من قماش فاخر نوعا وأخف وزنا عن المألوف ، حتى يتمكن الشخص من ارتدائه فوق جميع ملابسه وفى مناسبات خاصة للغاية ، وكان هذا الثوب يطوى ويلف حول وسط الشخص كالزنار (٢) ٠ والواقع أنه حدث قرب نهاية عصر المماليك أن انحط قدر « ثوب التشريف » فعلا كأى شىء آخر فكان يصنع من أقمشة أقل جودة وأكثر رخصا . فقد حدث مثلا فى سنة ٩١٢ هجرية (فبراير سنة ١٥٠٧ ميلادية) بمناسبة عيد الفطر ، أن أهدى قانصوه الغورى بعضا من تلك الثياب التى أطلق عليها « ثياب التشريف » ، وكانت مصنوعة من القطن الملون ويساوى الثوب منها ثلاثة دنانير ، وهى تعتبر بديلا للثياب الفاخرة التى جرت العادة باهدائها فى أيام الرخاء الماضية (٣) .

ولم يكن السلطان وحده هو الذى تقتصر عليه عادة اهداء ثياب التشريف اذ كان من المألوف أن يقوم بذلك الخلفاء (٤) أحيانا ، وأمراء البيت المالك (٥) ، والولاة (٦) ، وكبار موظفى الدولة مع أتباعهم فى المناسبات وبصفة خاصة عند تلقيهم بشارة بأخبار سارة منهم (٧) وحدث

---

(١) المعلمون المعماريون والعمال المهرة : ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ٢٠٤ سطر ١٣ ، صفحة ٢٦٤ جميعها ، أطباء وحلاقون ، السلوك ، حوادث الثالث من شهر رجب سنة ٨٣٧ هجرية ، ابن اياس ، الجزء الثالث (كاله ومصطفى) صفحة ٢٢٤ سطر ١٠ ومابعده .

(٢) منديل الأمان لقانصوه خمسمائة وسيباى ، راجع ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ٨١ سطر ١٧ وما بعده ٠ وقد جرت العادة أن يلبس منديل الأمان حول الرقبة، راجع مثلا السلوك ، حوادث ربيع الثانى سنة ٨٤٢ هجرية .

(٣) ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ١٠٤ سطر ٧ وما بعده ، وتوجد شكوى مماثلة مع كثير من التفاصيل نحو سنة ٩١٧ هجرية ، المصدر نفسه صفحة ٢٤٧ سطر ١١ ومابعده وفى عبارات عامة المصدر نفسه ، صفحة ٢٤٨ سطر ٧ ومابعده . وصفحة ٢٨٦ سطر ١٥ ومابعده .

(٤) ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ٣٢٢ سطر ١٧ ٠

(٥) ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ٤٧٨ سطر ٢٣ ٠

(٦) راجع مثلا ، بشأن ثياب التشريف الأطلس والمقتنيات الخاصة ب « تنكز » ، ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ١٧٢ سطر ١٠ .

(٧) زترشتاين Zetterstéen صفحة ١٥٩ سطر ٢٢ ابن اياس الجزء الرابع صفحة ٣٣٢ سطر ١٨ ، صفحة ٤٣٢ ، سطر ٢٣

أيضا أن أرسلت السلطانة ثوبا (ليس بخلعة) الى أطباء السلطان (١)٠ وقد عرفنا ملكات أخريات قمن بتوزيع ثياب للتشريف (٢) ٠

وكانت ثياب التشريف تصنع أصلا فى المصانع السلطانية ، ولكن فى العصر الجركسى كانت تصنع خاصة وتباع فى سوق الشرابشيين فى القاهرة ، وبمضى بعض الوقت حرم بيعها فى السوق الحرة ، ووضعت تحت رقابة « ناظر الخاص » وأصبح لا يمكن لأى شخص ابتياعها عدا السلطان نفسه ، الذى كان يمكنه شراء تلك الثياب من السوق رأسا(٣) ٠

وكان سلاطين المماليك يمنحون السفراء الأجانب ثيابا للتشريف محاكة على طراز الزى المملوكى (٤) ، ويبدو أن هذا التقليد كان اذ ذاك عادة متبعة فى بلاط سلاطين الشرق الأدنى ، ومنذ كان سفراء المماليك لدى سلاطين آل عثمان يعودون بثياب تشريف عثمانية (٥) ٠ وكان مبدأ منح ثياب التشريف معمولا به بالنسبة للأوروبيين المسيحيين ٠ فنجد معمولا به بالنسبة للأوربين المسيحيين ٠ فنجد مثلا أن مثلا أن بطرس الشهيد Petrus Martyr ـ يتلقى ثوبا للتشريف من قماش ذهبى بطراز سجلت عليه كتابات بالحروف العربية مخيطة فيه(٦)٠ وفى تقارير باجانى Pagani الخاصة باستقبال دومنيكو تريفيزان Domenico Trevisan ذكر « أنه لبس ثوبا من المخمل الأحمر القرمزى مبطنا بفراء ومحاكا على الطراز المغربى، (الموسكى) ، ومزودا كذلك بياقة عريضة من فراء القاقم « وكذلك مثل بين يدى السلطان نجل تريفيزان وقنصل الاسكندرية وهما فى ثياب للتشريف مماثلة، كما ذكر أن تريفيزان قد منح ثوبين آخرين أقل قيمة ، من الحرير الأسود والأبيض ، أعطى أحدهما الى كاتب السر (السكرتير) والآخر الى الترجمان.(٧) ٠ وقد

---

(١) ابن اياس الجزء الرابع صفحة ٣٣٢ سطر ١٦ ، راجع أيضا مفضل ، صفحة ١٢٠ سطر ٢ راجع بالاضافة حاشية ٢٤

(٢) مفضل ، صفحة ١٢٠ سطر ٢ (الملكة بركة ملكة قبائل التتر الذهبية) The Queen of the Golden Horde

(٣) الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٩ سطر ١١ ـ ١٥

(٤) ابن اياس الجزء الرابع ، حوادث (Hawâdith) صفحة ٤٧٢ سطر ١٥ ٠

(٥) النجوم ، طبعة بوبر (Popper) الجزء السابع ، صفحة ٤٥٠ سطر ٣ ـ ٦ وخاصة الحاشية (M-N) والحوادث صفحة ٦٢٩ سطر ١٧ وما بعده ، وغالبا فى أماكن أخرى ٠

(٦) انظر : De Babylonica Legatione, Coloniae 1574, p. 446

(٧) طبعة شيفر Schefer صفحة ٢٠٦

يكون من الأهمية بمكان معرفة ما اذا كان سفراء المماليك يتلقون ثيابا للتشريف على النمط الأوربى من بلاط الملوك المسيحيين القلائل الذين كانت للمماليك علاقات دبلوماسية معهم (مثل ملوك برشلونة ، والبندقية ، وقبرص) ، فاذا كان الأمر كذلك ، فهل كان لديهم الجرأة على ارتدائها عند وصولهم الى القاهرة ، حسبما جرت به العادة من ارتداء ثياب التشريف التى تمنح اليهم من الحكام المسلمين ؟ والحق أنهم منحوا ثيابا للتشريف وظهروا بها فى حضرة السلطان وهو أمر معروف وغير قابل للجدل ، الا أن الأمر الوحيد القابل للمناقشة هو طريقة صنع تلك الثياب (١) ومن جهة أخرى فان الحقيقة الثابتة هى أنه كان من بين الهدايا التى حملت الى القاهرة والاسكندرية بواسطة السفراء البنادقة ، منسوجات متنوعة وكذلك ملابس مخيطة (٢).

---

(١) انظر : Georgii Gemnicensis , Ephemeris, p. 482
وتغرى بردى «الترجمان العظيم » عند عودته من البندقية» .

(٢) راجع مثلا ، سفارة تريفيزان ، طبعة شيفر ، صفحة ١٧٦ ، ١٨٦ وما بعدهما ، صفحة ١٩١ وما بعدها .

La relation de l'Ambassade de Domenico Trevisan, ed. Schefer, pp. 176, 186 f. 191 f.

المسيحيون واليهود والسامرة

على أثر لوم وجهه أحد الزوار المغاربة سنة ٧٠٠ هجرية (١٣٠٠ ميلادية) ، عمل بيبرس وسلار على تعزيز ما يعرف بالنظم العمرية أى « الشروط العمرية » (١) التى تتعلق بأهل الذمة (٢) .

(١) مما يدل على أن «تعليمات عمر» لم تظهر الا بعد عصر الخليفة نفسه أن الحجاج قد اعتاد أن يرتدى عمامة حمراء » راجع ابن الأثير الجزء الرابع صفحة ٣٠٣ جميعها » .

(٢) وأما بخصوص الحالة الاجتماعية لأهل الذمة تحت الحكم الاسلامى بصفة عامة ، راجع جوتيل : اهل الذمة والمسلمون فى مصر فى العهد القديم ودراسات سامية كتبت فى ذكرى ى. ر. هاربر (W.R. Harper) الجزء الثانى صفحة ٣٦٦) Gottheil. Dhimmis and Moslems in Egypt (In Old Testament and Semetic Studies)
وانظر : تريتون الخلفاء ورعاياهم غير المسلمين لندن ١٩٣٠ ، Tritton, The Caliphs and מקצר non-Moslim Subjects
ل. أ. براون عن انحسار المسيحية فى آسيا (L.E. Browne, The Eclipse of Christianity in Asia) كمبردج ١٩٣٣ ل٠أ٠) ماير ، حالة اليهود الاجتماعية تحت الحكم المملوكى (L.A. Mayer, The Status of the Jews under the Mamluks (in Magnes Anniversary Volume) فى ١٩٣٨، صفحة ١٦١ ـ ١٦٧ من النص العبرى، مع ملخص باللغة الانجليزية من صفحة ٢٧ وما بعدها، وهذا المرجع الأخير افضل وأكثر شمولا للموضوع والالمام به ، أ. شتراوس ، تاريخ اليهود تحت الحكم المملوكى (E. Strauss, The History of the Jews under the Mamluks) (وهو باللغة العبرية) ، القدس ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ وأما فيما يتعلق بأزيائهم بصفة خاصة راجع تريتون ، الاسلام والاديان المحمية Tritton, Islam and the protected religions (فى مجلة الجمعية الملكية الاسيوية (J.R.A.S.) ١٩٢٧ صفحة ٤٧٩ ـ ٤٨٤ ، والتعليقات البسيطة التى كتبها س. كراوس فى الموسوعة اليهودية (S. Kraus in Encyclopaedia Judaica) المجلد العاشر تحت مادة Kleidung الاعمدة ١٠٥ ، ١١١ وما بعدها) .

وهم (المسيحيون ، واليهود ، والسامرة) ومن بين ما تضمنته هذه الشروط عدة قيود وفروض تتعلق بالملبس . اذ كان لزاما على المسيحيين أن يلبسوا عمائم زرقاء (١) ، كما ترتدى اليهود عمائم صفراء، والسامرة عمائم حمراء (٢) ويرتدى المسيحيون بالاضافة الى ذلك وبصفة خاصة حزاما يشد حول الوسط يطلق عليه اسم « زنار » (٣) وحرم على الجميع حمل السلاح . وكانت أحزمة المسيحيين (٤) أداة هامة لتمييزهم من بين « أهل الكتاب » كما كان يميز المسلمين لون العمامة ، وأما من ناحية طريقة تفصيل وحياكة الملابس فقد كانت واحدة (٥) .

---

(١) لم تحرم التعليمات الاسلامية المبكرة لبس العمامة بتاتا ، راجع تريتون Tritton صفحة ٢١٥ وما بعدها ويظهر التغاضى تماما عن هذه التعليمات خلال العصر فى هذا البحث .

(٢) ولو ان بعض الغموض الذى يكتنف التعبيرات قد جعل المستشرقين الأوربيين يقعون فى خطأ الاعتقاد بأن هذه القوانين الخاصة بتقييد اللون كانت موجهة الى جميع أجزاء الملابس راجع أ . ج . فايل : تاريخ الخلفاء (Weil, Geschichte der Chalifen) الجزء الخامس صفحة ٣٠٢ حاشية ١ ، غير أنه لا يوجد ما يدعو للجدل فى أن المقصود بالمراسيم هو العمائم فقط ، راجع مثلا : أبو الفدا ، الجزء الخامس صفحة ١٧٦ .

(٣) وقد تأكد هذا فى معظم الأحيان فى كل من دولة المماليك والبلاد الاسلامية الأخرى الخارجية عن نطاق حكمها ، بواسطة المؤرخين العرب والحجاج الأوربيين ، وبما أنه لا يوجد ما يستوجب تقديم أية مصادر فيما عدا ما كان منها أكثر وضوحا : والمتتبع للحوليات السريانية التاريخية لليهود المضطهدين ، طبع اسيمانى (Assemani) المكتبة الشرقية (Bibliotheca Orientalis) ، روما ١٧١٩-١٧٢٨ المجلد الثالث جزء ٢ صفحة ١٢٢ حيث تحدث عن غازان : يجب ألا يخرج أى مسيحى بدون حزام يشد حول وسطه كما يجب على كل يهودى أن يرتدى علامة واضحة على رأسه .

(٤) ابن جبير ، صفحة ٣٠٩ سطر ٢ السيوطى ، حسن المحاضرة ، طبع سنة ١٢٩٩ فى قصة تقى الدين عبد الرحمن بن تاج الدين بن بنت الأعز ، وكان قاضيا لمصر خلال حكم الملك الأشرف عندما اتهمه أعداؤه أنه يشد زنارا حول وسطه ، ومما يبعث على الظن بأن القاضى كان مسيحيا مستترا ما قاله بشأن الحزام « طالما يمكنه » (يقصد بذلك المسيحى) خلعه ، اذا رغب فى ذلك ، فلم لا أرتديه ؟ ..

(٥) وهذا يدل عليه كثرة الشواهد التاريخية مثلا ، يعقوب الفيرونى (Jacob of Verona) طبع روهرتشن (Röhricht) (مجلة الشرق اللاتينى سنة ١٨٩٥ صفحة ١٩١ (Revue de l'Orient Latin) : وانجلير (d'Anglure) المصدر نفسه ، صفحة ٤٣ وما بعدها ، وكذلك أيضا تلك الرسومات الأوربية ، راجع مثلا ، أرنولد فون هارف (Arnold von Harff) صفحة ٩٦ واذا كان قد صور اليهودى المرابى فى كتاب الحجاج لبريدنباخ Breydenbach's Peregrinationes =

وفى سنة ٧٠٠ هجرية صدر مرسوم نال قدرا عظيما من الشهرة وقتذاك ، واتخذ مكانا بارزا فى مراجع التاريخ المملوكى (١) فضلا عن كتب التاريخ الأوربية عن الاسـلام (٢) ، غير أن هـذا المرسـوم

= (ورقة ٧٠ ظهر وديفس (Davies) لوحة رقم ٣٤ من أسفل) بأنه قد تزيى بزى اليهودى الأوربى . فربما من المحتمل جدا أن يكون واحدا منهم .

(١) تم تعزيز هذا المرسوم فى الثانى والعشرين من شهر رجب من السنة نفسها وكان فى ذلك الوقت بيبرس الجاشنكير هو الذى تولى الاشراف أى قام على تنفيـذه أبو الفداء ، طبع رايسك (Reiske) الجزء الخامس صفحة ١٧٦ (بدون تفاصيل) ، النويرى ، حوادث ٧٠٠ هجرية ، ترجمة ج. هامر بورجستال (G. Hammer -Purgstall) النظم المصرية (فى المجلة الاسيوية (JA)) سنة ١٨٥٥ الجزء الأول صفحة ٣٩٣ ـ ٣٩٦ ، زترشتاين Zettersteen ، سلاطين المماليك صفحة ٨٤ ـ ٨٩ ، انظر خاصة صفحة ٨٧ ، سطر ٥ ـ ١٦ ، مفضـل (Patrologia Orientalis) ج ٢٠ ، صفحة ٣٨ ـ ٤٠ (٥٤٤ ـ ٥٤٦) ابن حبيب درة الاسلاك صفحة ٣٠١ ، سطر ٥ ـ ٩ ، القلقشندى ، صبح ، الجزء الثالث عشر ، صفحة ٣٧٧ وما بعدها ، المقريزى السلوك حوادث سنة ٧٠٠ هجرية الجزء الاول صفحة ٩٠٩ سطر ١٩ ، صفحة ٩١٣ سطر ١ الخطط الجـزء الثانى صـفحة ٤٩٨ ـ ٤٩٩ وستنفلد (Wüstenfeld, Macrizi's Geschichte der Coptin) صـفحة ٧٦ (= صـفحة ٣١ فى النص العربى) السيوطى حسن المحاضرة ، طبعة ١٢٩٩ الجزء الثانى صـفحة ٢١١ سطر ٩ ومابعده طبعة ١٣٢١ ، الجزء الثانى صفحة ١٧٨ ، ابن اياس الجزء الأول صفحة ١٤٣ سطر ١٣ ـ ١٩ .

(٢) رنودوت (Renaudot) ، تاريخ بطارقة الاسكندرية ١٧١٣ صفحة ٦٠٢ ـ ٦٠٥. فايل (Weil) ، تاريخ الخلفاء ، الجزء الرابع صفحة ٢٧٠ ـ ٢٧٢ ، ولين ، العادات، Lane, Manners ، الجزء الثانى صفحة ٣٠٠ ، (قبيل نهاية فصل الاقباط) جوتيل (Gottheil) ، المصدر السابق صفحة ٣٦٦ وورد حرفيا فى حاشية رقم ٦٧ ، لينبول، مصر (Lane Poole, Egypt) صفحة ٣٠١ ، تريتون (Tritton) مجلة الجمعية الملكية الاسيوية (JRAS) ، سنة ١٩٢٧ صفحة ٤٨٣ وما بعدها ، الخلفاء صفحة ١٢١ وما بعدها ، كنارد (Canard) . خطاب من السلطان الملك الناصر حسن الى حنا السادس (Une lettre du Sultan Malik Nâasir Hassan à Jean VI Cantacuzéne) (٧٥٠ هجـرية ، ١٣٤٩ ميلادية) (فى حوليات معهد الدراسات الشرقية ، فى الجزائر ١٩٣٧ ، الجزء الثالث صفحة ٣٤ وما بعدها صفحة ٣٥ حاشية ١ ، مع كثير من المصادر ، جود فروىـ ديمومبين، سوريا (Gaudefroy-Demombynes, Syrie) الصفحات LXXXVIII ، ٩٥ حبيب زيات ، اليهود فى الخلافة العباسية فى مجلة المشرق ١٩٣٨ مجلد ٣٦ صفحة ١٧١ مقتبسا عن ابن قاضى شهبه والمنهل ، ج. ماسبيرو (Maspero) تاريخ بطارقة الاسكندرية ١٩٢٣ صفحة ٣٧٨ ، تسيران وفلكورت وفييت (Tisserant, Villecourt et Wiet) أبو البركات(فى المجلة الشرقية، القاهرة العدد الثانى والعشرون صفحة ٣٩٢) ، كوان المسيحية الشرقية Le Quien, Oriens Christianus الجزء الثانى باريس ١٧٤٠ مجموعة رقم ٤٩٧ ، فييت (Wiet) مادة «قبط» (فى دائرة المعارف الاسلامية ، النسخة الانجليزية صفحة ٩٩١ ، ٩٩٦) .

لم يكن هو الأول من نوعه كما لم يكن أسوأ المراسيم المماثلة (١) ، التى كانت تصدر من وقت لآخر ، دون أن تلغى بتاتا (٢) ، بل استمر العمل بها الى أن تزول تدريجيا وتصبح فى عالم النسيان ، وقد أثارت هذهالمراسيم اشمئزاز المؤرخين الاتقياء (٣) .

وفى سنة ٧٠٩ هجرية أوعز الوزير ابن الخليل الى السلطـــان ــ لاعتبارات ماليــة ــ أن يسمح للمسيحيين واليهود بالعودة الى ارتداء العمائم البيضاء ، ومع ذلك التزم مجلس الشورى جانب الصمت ازاء هذا الأمر (ومن الواضح أنهم كانوا على استعداد لقبول فكرة الوزير) ولكن ابن تيمية قام بتحريض السلطان على تأكيـــد وجوب لبس اليهـــود والمسيحيين اللون الأصفر واللون الأزرق كل حسب مايخصه (٤) . وفى سنة ٧٢١ هجرية (١٣٢١ ميلادية) تجـددت القيود ضد المســيحيين لاتهامهم بحرائق متعمدة (٥) . ولما كان اتجاه الزى الشائع (الموضة) نحو تضخيم العمـــائم على نحو أكبر فأكبر ، اتخـــذ المســـيحيون واليهود نفس الاتجاه وزادوا من ضخامة عمائمهم على قدر امكانهم واستمر ذلك الى سنة ٧٥٤ هجرية (١٣٥٣ ميلادية) حـين حـرم عليهم لف أكثر من عشرة أذرع من القماش حول عمائمهـــم (٦) ، وفى سنة ٨٢٠

---

(١) وذلك للاشارة فقط الى العصر المملوكى المبكر . فى ســـنة ٦٨٢ هجـرية (١٢٨٣ ميلادية) ألزم سنجر الشجاعى المسيحيين بلبس الحزام ــ الزنار ، ومنعهم أيضا من لبس أى قماش لامع «مصقول» (الخطط الجزء الثانى صفحة ٤٩٧ سطر ١١) وما بعده . وستنفيلد (Wüstenfeld Macrizi's Geschichte der Copten, p. 71) أى صفحة ٢٩ من النص العربى) : تريتون ، الخلفاء (Tritton, The Caliphs) صفحة ١٢١ وكان أكثر الاضطهادات أهمية هى التى كان يترتب عليها تحديد زى معين واحياء قوانين التقشف المتنوعة وسنجدها فى هذا المكان وفى الصفحات التالية ــ ولـــكن يجب أن نأخـــذ فى الحسبان أنه من الممكن على الأقل فيما يتعلق ببعض الاجراءات التى اتخذت ضد المسيحيين واليهود كالفصل من الوظائف جملة كان يتبعه قوانين تحديد الزى وهو ما لم يدونه المؤرخون فى حولياتهم .

(٢) تريتون (Tritton) صفحة ١٢١ .

(٣) راجع مثلا النجوم ، طبعة بوبر Popper الجزء السابع ، صفحة ٧٢١ وما بعدها .

(٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، الجزء الثانى ، صفحة ٢١٢ ، س ٩ من أسفل

(٥) برزالى Birzali ، فايل ، Weil ، الجزء الرابع صفحة ٢٧٣، حاشية التصـــور العادى ، (جوتيل ، Gottheil ، وتريتون Tritton ٧٥) انه فى هذا الوقت كان المسيحيون فقط يتظاهرون بغير الحقيقة وهو ما لم تؤكده النصوص .

(٦) ابن اياس ، الجزء الأول ، صفحة ٢٠١ سطر ٣ ، تريتون Tritton صفحة ١٢٣ وقد أعطى تاريخ سنة ٧٧٥ هجرية ، وأشار فقط الى ملاءات المسيحيات الملونة ، وكذلك بالنسبة للنساء اليهوديات والسامريات .

هجرية (١٤١٧ ميلادية) حرم على المسيحيين ارتداء عمائم يزيد طـول شالها عن خمسة أذرع (١) . وفى سنة ٨٢٢ هجرية جدد المحتسب هذه التعليمات، وأمر المسيحيين واليهود بأن يضيقوا أكمام أقبيتهم ويقللوا من ضخامة عمائمهم بحيث لايزيد شـال العمـامة عن سبعة أذرع أى حوالى ٤ متر ، على أن يلتزم نساؤهم من طبقة الشعب ارتداء ملابس من لون خاص (٢). وفى ٢٢ من شهر صفر سنة ٨٥٤ هجرية (السادس من ابريل سنة ١٤٥٠ ميلادية) تجدد قانون تحديد شال العمامة بسبعـة أذرع (٣) ، وفى المحرم سنة ٨٦٨ هجرية (سـبتمبر وأكتوبر ١٤٦٣ ميلادية) أعيد تعزيز القانون بحيث شمل كل الأشخاص فيما عدا الصيارفة والأطباء (٤) ، وفى الوقت نفسه صرح لهم بأن يكون شال العمامة عشرة أذرع ، وحتى بعد ذلك التقييد كانت عمائمهم بوجه خاص لباسا للرأس مفروضا عليهم ، ومهما قيل بشأن طول شال العمامة وشكلها ، فان اللون بصفة عامة كان العلامة المميزة لهذه الطوائف ، اذ كان يعتبر على الأقل نوعا من أنواع الامتهان المفروض ، كما شهد بذلك المسلمون وغـير المسلمين (٥) . ومن جهة أخرى يجب ألا ننسى أن بعض المخطوطـات

---

(١) المقريزى تعليق كاترمير (Quatremère) مذكرات جغرافية وتاريخية عن مصر — الجزء الثانى صفحة ٢٦٠ .

(٢) النجوم ، طبعة بوبر ، الجزء السادس صفحة ٤٠٠ ، سطر ١٩ وما بعـده ، والمقريزى تعليق كاترمير (Quatremère) فى المصدر المشار اليه سابقا .

(٣) النجوم ، طبع بوبر (Popper) ، الجزء السابع ، صفحة ١٨٦ ، سطر ١٠ وما بعـده ، الحـوادث Hawadith التاريخ المذكور ، فايل (Weil) ، الجزء الخامس صفحة ٢٤٥ ، حاشية ٢ .

(٤) النجوم ، طبع بوبر Popper ، الجزء السابع ، صفحة ٧٢٢ سـطر ١ — ٢٥ وفى ذلك الوقت استمر العمل بقانون تحديد الزى مدة عام تقريبا .

(٥) راجع روهرشت وميسنر تقرير من جنوب الرين عن الشرق فى مجلة الفيلولوجيا الالمانية ١٨٨٧ ، مجلد ١٩ ، صفحة ٢٤
Röhricht und Meisner, Ein niederrheinscher Bericht über den Orient (in Zeitschrift f. deutsche Philologie, 1887, Bd. 19, p. 24) .
لودلف دى سودهيم (طبع نيومان) (Neumann) صفحة ٢٦٤ ، ٣٦٥ أرنولد فون هارف (Arnold von Harff) صفحة ٩٥ ، تنود (Thenaud) طبع شيفر (Schefer) صفحة ٧ . اشار الى أن اليهود الأوربيين عند وصولهم الى الاسـكندرية كانوا « يتخذون الطاقية الصفراء » ، ابن اياس ، الجزء الرابع صفحة ٤٨١ ، سطر ١٥ (هذا بخصـوص يوسف شنشو المعلم فى دار الضرب ، فى الثامن عشر من شوال سنة ٩٢١ هجـرية) . وفى سنة ٨٨٢ هجرية عند توقيع العقوبة على أحد الأمراء وضع «يشبك» على رأسه عمامة يهودية صفراء ، ابن اياس ، الجزء الثالث (كالة ومصطفى) صفحة ١٣٣ ، سطر ٦ .

المزينة بالصور والتى ترجع الى العصر المملوكي يشاهد فيها المسلمون وكأنهم يرتدون عمائم صفراء ، وحمراء وزرقاء (١) .

وقد طبقت على النساء المسيحيات واليهوديات نظم مماثلة. اذ كان لزاما عليهن أن يرتدين أثناء وجودهن فى الشوارع أقمشة زرقاء أو صفراء على رءوسهن (٢) ، أو فوق صدورهن (٣) ، حتى يمكن أن يميزن بها عن زميلاتهن المسلمات ، وكان من الضرورى أن يرتدين أحزمتهن (الزنار) على الرداء الفوقانى الذى يطلق عليه اسم الازار (٤) ، وعلى أية حال فانه يجب أيضا أن يرتدين علامة مميزة أثناء وجودهن فى الحمامات العامة (٥) . ولا بد أن يكون الحزام من الوان متنوعة كعمامة الرجال ووفق اللون المخصص للطائفة ، فمثلا ، كان اللون الأصفر لليهوديات ، واللون الأزرق للمسيحيات والأحمر للسامريات ، وذلك ما يتمشى مع لون الازار تماما (٦) .

وكان المارونيون أو « المسيحيون ذو الزنار » يعملون فى فلسطين كمكاريين ويطلق على الفرد منهم اسم « مكارى » وكان هؤلاء مثلا يصحبون الحجاج المسيحيين ويقودونهم لزيارة بيت المقدس . وقد جرت العادة بأن

---

(١) راجع مثلا ، مخطوطة الحريرى بالمتحف البريطاني رقم ٢٢ Add ، ١١٤، حيث نشاهد أبازيد (ورقة ٧٩ ظهر) والحارث (ورقة ٩٦ وجه) والقاضى (ورقة ١١٤ وجه) يلبسون عمائم زرقاء ، أو مخطوط آخر بالمتحف البريطانى ، رقم ١٢٠٠ حيث نرى فى مشهد داخل الجامع (ورقة ٨٥ ظهر — ٨٦ وجه) أشخاصا يرتدون عمائم حمراء وزرقاء وهم من بين المصلين ، وحيث يشاهد أبو زيد أحيانا بعمامة زرقاء (ورقة ١٠٠ وجه) أو مخطوط آخر بالمتحف البريطانى ، رقم ٩٧١٨ ، ورقة ٧٢ درجة حيث نشاهد فيها ثلاثة من المستمعين لأبى زيد يرتدى أحدهم عمامة حمراء والثانى عمامة زرقاء والثالث عمامة صفراء ، ولو أنه لا يوجد في المتن ما يشير الى أن من بينهم مسيحيين أو يهود أو سامره .

(٢) على حسب ما ذكر ابن تغرى بردى بشان النساء المحجبات (النجوم طبعة بوبر Popper ، الجزء السابع ، صفحة ٧٢٢ سطر ٢ وما بعده) اذ لم يفرق بين المسلمة وغير المسلمة ، ومن المرجح أن يكون الاعتقاد أنه حدث على الاقل فى سنة ٨٦٨ هجرية أن كان من المألوف أن تغطى النساء المسيحيات واليهوديات فى دولة المماليك وجوههن حين يكن خارج منازلهن .

(٣) فايل (Weil) الجزء الرابع ، صفحة ٢٧١ سطر ١ .

(٤) قاموس الملابس ، صفحة ٢٨ أورد عن النويرى مخطوط ليدن حاشية ٢ (ورقة ١١١ ظهر) .

(٥) النجوم ، طبع بوبر الجزء السابع صفحة ٧٢٢ سطر ٣ ومابعده .

(٦) قاموس الملابس ، صفحة ٢٨ أورد عن حسن المحاضرة حوادث سنة ٧٥٥ هجرية =

يرتدوا « الطواقى السوداء » المسطحة القمة ، كلباس لرءوسهم من غير منديل يلف حونهـا (١) وبصفة عامـة كان الزنـار Zunnâr هو الجزء الرئيسى فى الزى المسيحى (٢) ٠

ومن جهة أخرى ، كان من المألوف أن يخلع على أهـل الذمة ثياب للتشريف ٠ ونضرب لذلك مثلا بما حدث « للمعلم يعقوب اليهودى » اذ أنه عندما أسندت اليه ادارة دار الضرب (متحدث دار الضرب) تلقى فى الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٩١٨ هجرية (الخامس من نوفمبر سـنة ١٥١٢ ميلادية) كاملية Kâmiliyya من الصوف الأزرق مزينة بفراء سمور ونزل من القلعة مرتديا اياها (٣) ٠

ولم يطبق أى قانون من هذه القوانين الخاصة بتحديد لون الزى على أهل الكرك والشـوبك ، ذلك على اعتبار أن هذه المنطقة مسيحية ، واستثنيت من مثل هذه القوانين سنة ٧٠٠ هجرية ، وظلت كذلك عـلى الأقل حتى الوقت الذى كتب فيه النويرى حولياته ومن المحتمل أيضـا أنها استمرت حتى عهد المقريزى (٤) ٠

= (طبعة ١٢٩٩ هجرية) الجزء الثانى صفحة ٢١٤ سـطر ١١ وما بعـده) وعلى أى حال لم يرد ذلك فى المصادر الأوربية ٠

(١) زولارت (Zuallart) صفحة ٧٢ ـ ٧٤ ، Peregrinatio صفحة ٥٧ ، وقاموس الملابس صفحة ٢٠٧ حاشية ٣ ٠

(٢) راجع كذلك حاشية ٦ ٠

(٣) ابن اياس الجزء الرابع ، صفحة ٢٨٣ سطر ١٢ ـ ١٥ والمصدر نفسه صـفحة ٧٢٢ فى أعلاها ٠

(٤) النويرى ، فى موضـعه ، هامر برجسـتال (Hammer-Purgstall) فى موضعه صفحة ٣٩٤ وما بعدها السلوك ، الجزء الأول صفحة ٩١٢ سطر ١٣ ـ ١٥

النســاء



جرت العــادة أن يرتدى النســاء المسلمات قمصــانا كانت ـ فى ضوء ماجاء عنهــا فى المراجع الأدبية ـ ترى من تحت ملابســهم «الفوقانية» مما كان سببا فى غضب أولى الأمر ، اذ حدث فى سنة ٧٥١ هجرية أيام ازدهار الترف المملوكى أثناء وزارة الأمير «منجك» أن وجد نوع خاص من الأقمصة انتشرت « موضته » وأطلق عليه اسم « بهطلة » كان له ذيل طويل ينسدل على الأرض وأكمام يبلغ اتساعها ثلاثة أذرع ، فأصدر هذا الوزير أمره بقص الأكمام ، وأودع السجن عددا من النسوة اللاتى لم يمتثلن لهذا الأمر ، ولكن باستخدام مختلف الوسائل نجح فى كبح جماح النساء ومنعهن من ارتدائه (١) ، غير أن هذا الاصلاح لم يستمر الى أمد طويل • وفى باكورة العصرالشركسى ـ عندما أصبحت الأكمام أيضا أكثر اتساعا ـ أصدر الأمير « كمشبغا » مرسوما مذ كان نائبا عن السلطان فى مصر أى « نائب الغيبة » وأذيع المرسوم على الملأ سنة ٧٩٣ هجرية فى القاهرة وضواحيها ، وهو يحرم ارتداء أقمصة لها أكمام متسعة أكثر من ١٢ ذراعا ، وكما حدث من قبل فى أغلب الحالات المماثلة ظلت هــذه المحاولة دون جدوى • اذ بعد مرور أيام قليلة من اعلان المرسوم أخذمماليك وغلمان «كمشبغا» يطوفون بالأسواق ، وشوارع القاهرة ، وضواحيها ، وذلك على سبيل تأييد المرسوم والعمل على تنفيذه بالقوة وأخذوا يقطعون الأكمام المتسعة أكثر مما يلزم بالسكاكين (٢) • وبعد أن عاد السلطان الى

---

(١) المقريزى ، الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٣٢٢ سطر ٢٦ وما بعده : ابن اياس الجزء الاول صفحة ١٩٣ سطر ٢٦ ومابعده •

(٢) ومن أجل مزيد من المعــلومات انظر : ابن الفرات ، تاريخ ، طبــع زريك وعز الدين ، الجزء التاسع صفحة ٢٦٧ سطر ١٦ ، صفحة ٢٦٨ سطر ١٩ ومابعده وراجع أيضا ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، طبــع بوبر Popper ، الجزء الخامس =

مصر عادت النساء الى « الموضة » القديمة .(١) وبالرغم من انقضاء عدد من السنين على ذلك، ظل ابن تغرى بردى يشاهد أقمصة صنعت طبقا لأوامر كمشبغا ــ وأطلق عليها من بعده اسم « القمصان الكمشبغاوية » تميزت بأنها ذات أكمام كالتى ترتديها البدويات (٢) . ونفس القميص الذى ينبغى أن يكون طويلا طبقا للأحكام الدينية كان على الأقل فى خلال القرن الرابع عشر الميلادى قصيرا غالبا ويصل فقط الى مستوى الركبتين (٣) . وكان القميص يلبس مع المئزر .(٤) وهو نوع من السراويل التى تصل الى الركبتين ، ويعتبر ثوبا تحتانيا ، ومن المحتمل أنه يطـــابق فى طريقة تفصيله فى تسميته ما كان يلبسه الرجـــال (٥) . ولبس النســــاء ــ على الأقل لبعض الوقت ــ « سراويل » طويلة أيضا (٦) من الجائز أنها كانت تقوم مقام قميص يبدو مثل الجلباب يطلق عليه اسم « آلثوب » (٧) . ويوجد لدينا دليل قاطع عليها استقيناه مما حدث لأول سلطانة مملوكية وهى شجرة الدر التى تم قتلها بواسطة جوارى الحريم بقصرها ، وألقيت جثتها بعد ذلك فى حفرة بدون شىء يسترها سوى قميص وسراويل . وكان يحتفظ بهذه السراويل على الجسم بواسطة ربطها برباط نفيس يطلق عليه

= صفحة ٥٤١ سطر ١ ــ ٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، طبع سنة ١٢٩٩ هجـــرية الجزء الثانى ، صفحة ٢١٧ سطر ٢٢ وما بعـــده (حيث كتب اسمه كتبغا خطأ بدلا من كمشبغا) وأثير الموسوم بسبب استخدام معيب لاثنين وتسعين ذراعا من القماش لعمـــل قميص واحد ، دوزى ، قاموس الملابس ، صفحة ٣٧٤ عرف هذه القصة من فقرة فى السيوطى وأورد بالاضافة الى ذلك فقرة نقلا عن ابن اياس لاتوجد فى نسختنا المطبوعة .

(١) ابن الفرات ، المصدر السابق ، صفحة ٢٦٨ سطر ٢٥ .

(٢) ابن تغرى بردى فى موضعها ، سطر ٥ .

(٣) ابن الحاج ، كتاب المدخل ، الجزء الاول صفحة ٢٠١ سطر ٣ .

(٤) دوزى (Dozy) المصدر السابق ، صفحة ٣٨ وما بعدها مع أمثلة للرجال (السلطان شيخ) وللنساء . وكان ارتداء المئزر فى حمام شعبى عـــام يعتبر ذو أهمية خاصة . راجع الكتبى ، فوات الوفيات ، طبع سنة ١٢٩٩ الجزء الأول صفحة ٤٤ سطر ١٦ (مع اسناده لابن تيميه) .

(٥) Arnold V. Harff, Pilgerfahrt (ed. von Groote اذا كان لنا أن نحـــكم على ذلك بمقتضى فقرة معينة وردت بتعبيره حيث قال عن المراة القـــــاهرية : « والنساء يلبسن سراويل من الجلد المزين باشغال التخريم » صفحة ١٠٦ .
« die vrauwen dragen leder hoesen mit bruechen An »

(٦) المقـــريزى ، الســـلوك (زيادة) الجـــزء الاول صـــفحة ٤٥٠ سطر ١٠ وانظر : Frescoba, Idi, Viaggio in Egitto e Terra Santa, Roma, 1818, p. 95 فرسكوبالدى : رحلة الى مصر والأرض المقدسة (روما سنة ١٨١٨) ص ٩٥ .

(٧) ابن الحاج ، المصدر السابق ، الجزء الأول صفحة ٢٠١ سطر ٥ .

اسم (تكه) Tikka (١) ، ولكن من المشكوك فيه أن يكون ارتداء أى من هذين النوعين من السراويل قد اتخذ صفة التعميم ، بالرغم مما لدينا من حجج متعددة ـ تعارض أو تؤيد هذا الرأى ـ يمكن الاستعانة بها(٢) . وفى الواقع لم تنوه « القوائم » التى تتضمن جهاز العرائس والمرفقة بعقود الزواج التى ترجع الى العصر المملوكى بهذه السراويل أو حتى ـ وهو أكثر أهمية ـ بأربطة تلك السراويل النفيسة التى من الجائز الاستشهاد بها « كدليل مفحم » argumentum ex silentio ضد الدعوى القائلة بأن السراويل الطويلة كانت شعبية للغاية ، ولكن القيمة الفعلية لهذه الحجة محدودة جدا بسبب ندرة مثل هذه العقود • ومن جهة أخرى نجد أنه فى بعض الفترات المتأخرة خلال العصر الشركسى كانت الكلمة الدارجة التى تطلق على السراويل هى كلمة « لباس » ويقصد بها ملبس kat'exochen ، ويلوح أن هذا يفسر شعبيتها حقيقة فى ذلك الوقت •

وفوق هذه الثياب التحتانية كان يلبس (الثوب) ويعتبر أكثر جزء مألوف من الملابس عند الشابات حسبما يبدو من قوائم الجهاز المشار اليها آنفا • وقد تكرر الاستخفاف بالقوانين فصنع الثوب قصيرا وبأكمام قصيرة ومتسعة ، وأشار ابن الحاج الى ذلك على أنه من البدع المستحدثة ، وهو يقصد باكورة القرن الرابع عشر (٣) • وكانت المرأة تلتف جميعها بملاءة متسعة فضفاضة يطلق عليها اسم الازار

---

(١) المقريزى ، السلوك ، الجزء الأول صفحة ٤٠٤ سطر ٣ ومابعده ، ابن اياس ، الجزء الأول صفحة ٩٢ سطر ١١ وما بعده وقد شرحه على انه كان من الحرير الأحمر المزين باللؤلؤ وحبات المسك ، وبخصوص العصابات الشركسية راجع (Meshullam of Volterra, ed. A. Ya'ri, p. 55

(٢) راجع مثلا ، قصة رجل تخفى فى زى امرأة ولم يلبس (سراويل) أسامة ، كتاب الاعتبار طبع حتى (Hitti) صفحة ٤٣ السطر الأخير ، ويوجد دليل غير مباشر على أن النساء اللاتى لا يلبسن سراويل قصيرة من المحتمل وجودهن فى ابن الحاج ، المصدر السابق الجزء الأول ، صفحة ٢٠١ ، سطر ٣ ـ ٥ . وأما فيما يختص بوضع الرجال فهوأوضح: ومن جهة أخرى حرم الملك المعز فى سنة ٦٥٣ هجرية على الرجال أن يخرجوا من منازلهم دون « سراويل » (انظر المقريزى ، سلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٣٩٧ ، سطر ٣ ـ ٦) ومن جهة أخرى بعد غزو العثمانيين لسوريا ، أذاع دفتردار دمشق مرسوما يحرم على الرجال الظهور بدون سراويل خارج منازلهم ، وكان الجمهور لا يرغب فى ذلك انظر ابن طولون شذرات من تاريخه ، طبع هارتمان (Ibn Tûlûn, Das Tübinger Fargment der Chronik, ed., Hartmann صفحة ٤٨ سطر ١٢ ومابعده • تحت حوادث الأيام الأخيرة من شهر ربيع سنة ٩٢٣ هجرية •

(٣) المصدر السابق ، صفحة ٢٠٣ ، سطر ١ ـ ٥ •

يغطي الملابس كلية ، وكان « الازار » بالنسبة للنساء المسلمات عامة أبيض اللون (١) بينما بالنسبة لنساء أهل الذمة كان لزاما عليهن ارتداء « أزر » ذات ألوان مميزة (٢) ، فكانت النساء المسيحيات يلبسن اللون الأزرق ، واليهوديات اللون الأصفر ، والسامريات اللون الأحمر • ويشد من حوله حزام (زنار) يقال انه من ابتكار «متيم» ، وهو أحد الندماء فى بلاط المأمون والمعتصم (٣) • وكن يستخدمن ــ كلباس للرأس ــ قطعـــة من قمـــاش يطلق عليها اسم «العصابة» تلف كالعمامة حول جزء من «الازار» الذى يغطى الشعر ، ومن المحتمل أنها تشـــبه فى هيئاتها تلك التى تستعملها البدويات فى وقتنا الحالى (٤) ، الا أنه كانت تزينها أحيانا زخارف غنية جميلة مطرزةومحلاة بالأحجار الكريمة (٥) ، أما عمائم النســاء فكانت مثار

---

(١) أ • ف • هارف ، فى المكان الســـابق الاشارة اليه ، وانظر Bernard von Breydenbach, Peregrinationes in Terram Sanctam, Speier, 1490 الجزء الأول والثانى (= (Dovics, Bernard von Breydenbach and his journey to the Holy Land, pl. 34 a) لوحة ٣٤ (أ) •

(٢) النويرى حوادث سنة ٧٠٠ هجــرية ، راجــع ابن تغرى بردى ، المصـــــدر السابق ، الجزء السابع صفحة ٧٢٢ سطر ٢ وما بعده ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، الجزء ١٣ صفحة ٣٧٨ جميعها ، صفحة ٣٧٩ سطر ١ ، ٣ ــ ٤ ، السيوطى المصـــدر السابق الجزء الثانى ، صفحة ٢١٤ سطر ١١ ومابعده ، دوزى المصدر السابق صفحة ٢٨ ، تريتون : الخلفاء ورعاياهم من أهل الذمة صفحة ١٢٣ •
Tritton, The Caliphs and their non-Muslim Subjects, p. 123

(٣) كتاب الأغانى ، بولاق سنة ١٢٨٥ هجرية ، الجزء السابع ، صفحة ٢٥ سطر ١٠ وما بعده • وأما بشأن موضوع الزنار سواء كانت نساء الشعب من أهل الذمة تلبسنه فوق المئزر أو تحته فانه لا يوجد اجماع بخصوصــــه بين حماة القــــانون ، راجع النويرى فيما أورده دوزى (Dozy) ، المصدر السابق صفحة ١٢٨ وانظر أيضا Belins Fetoua relatif à la condition des Zimmis (فى المجلة الآسيوية (JIAI) سنة ١٨٥١ ، المجموعة الرابعة ، المجلد الثامن عشر ، صفحة ٥٠٥) وتوجد حقيقة تجعل الانسان يشعر بأن هذه المشكلة الصغيرة أكاديمية تماما وليس لها أهمية فى تاريخ حياكة الملابس اليومية •

(٤) راجع من بين الصــور العديدة الأخرى ، شـــولتن (Scholten) فلسطين بالصور (Palestine Illustrated) الجزء الأول صفحة ١٤٢ شكل ٣٠٨ موزيل ، العادات وأساليب المعيشة عند بدو الروالا ١٩٢٨ شكل ٣٤ •
Musil, The Manners and Customs of the Rwala Bedouins, 1928, p. 123 fig. 304.

(٥) أورد نفر عديد من مؤرخى العرب بين أحـــداث سنة ٧٨٧ هجـــرية قصـــة ، مضمون الجزء الرئيسى فيها ، أن امرأة كانت قد ادعت أنها رأت النبى فى الحلم وهو يتوعد بالويل والثبور كل شخص يرتدى الشاش ، وهكـذا جاءت القصـــة فى العينى ، تاريخ البـدر ، (مخطوط بالمتـــحف البريطانى ، رقـم ٢٢ Add و٣٦٠ ، ورقة ١٢٣ =

نقد وجدل شديدين ، ورغم أنه لم يعترف غالبا بأنهن كن يلبسنها بصفة مستديمة (١) الا أن الطريقة العنيفة التى هاجم بها رجال الدين النساء اللاتى يلبسن العمائم .... يستدل منها تماما وبوضوح تام على وجود مثل هذا الزى (٢) . وكلمة « عمامة » بما فيها من فخامة تصادف وجودها فى زى النساء ، ففى شهر محرم سنة ٦٦٢ هجرية صدر مرسوم يحرم على النساء ارتداء العمائم (٣) ، كما أشار ابن الحاج (٤) ، باشمئزاز الى عمامة أشبه بسنم الهجين المزدوج ، وفى خلال النصف الثانى من القرن الخامس عشر اختفى هذا الزى القبيح وحل محله«طرطور»طويل يغطيه ازار فوقانى يستخدم كلباس للرأس خاص بالسيدات ، حسبما جاء فى وصف هارف Arnold v. Harff تلبس النساء شيئا طويلا فوق رءوسهن على هيئة القدح أو الكأس الكبير ملفوفا بقماش ثمين فخم مزين بزخارف» (٥) . ومع ذلك فان الصورة الملحقة بالبحث والخاصة بذلك لا نشاهد فيها لباس

= وجه سطر ١٦ (ابن قاضى شهبه ، الذيل ، حوادث رجب سنة ٧٨٧ (مخطوط باريس ١٥٩٩ ، ورقة ١٠ وجه سطر ٢٠ وما بعـــده) وورد عن ابن دقماق ، دوزى (Dozy) المصدر السابق ، صفحة ٢٣٩ ونقل القصة نفسها من مخطوط ابن اياس بليدن ، ولكن فى نسختنا المطبوعة جميع الفقرة محذوفة .

(١) ف . هـــارف (A.V. Harff) صفحة ١٠٦ سطر ٢٤/٢٥ وبالمثل دوزى (Dozy) ، المصدر نفسه صفحة ٣١١ ، وقد استند دوزى Dozy هنا الى اثنين من الرحالة من عصر متأخر جدا جزما بشكل قاطع أن العمامة كان يرتديهـــا الرجال وليس النساء .

(٢) جوركمان (Bjorkman) دائرة المعارف الاسلامية ، تحت مادة « عمامة » Turban ص ٨٨٩ .

(٣) المقريزى السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٥٠٣ سطر ٩ .

(٤) المصدر نفسه صفحة ٢٠١ من أسفل ، استعمل مواطن لابن الحاج واســـمه على بن ميمون المغربى فى وصفه للباس الرأس هذا نفس الاصطلاح « على رءوسهن كأسنمة البخت » وقد الزلق جولد تزيهر (Goldziher) فى خطأ غريب فى مجـلة جمعية المستشرقين الألمان (Zeitschrift d. Deut. Morgenland. Gesellschaft, 1874) العدد الثامن والعشرين صفحة ٣٢٠ حاشية ١ ونقل النص عن على بن ميمون دون ان يتحقق من أنه تفسيـــير لحديث شريف . راجع صحيح مسلم « كتاب اللباس » الباب الأخير الوحيد (تعليق النووى ج ٤ ص ٤٥٨) وهكذا أضيف مثل آخر لكلمة عمـــامة من حيث استعمالها كلباس رأس للمرأة .

(٥) المصدر نفسه صفحة ١٠٦ واللوحة ١٤ رقم ٢
«Want die vrauwen dragen eyn hoych dynck off yeren heufft in aller gesteltnysse wie eyn Kelick, dat gar mit koestlichen duechen ind tzieraeten vmb wonden is. cf. pl. XIV, 2.

الرأس الذى يشير اليه « أرنولد هارف » (١) • وفى شهر رجب سنة ٨٧٦ هجرية ، أذاع السلطان قايتباى أمرا فى القاهرة يوجب على كل امرأة أن تمتنع عن ارتداء « عصابة مقترعة » أو « سراقوش » من الحرير (٢) ، واكثر من ذلك فان «الورقة» الخاصة بالعصابة يجب أن يكون طولها ثلث ذراع وتحمل خاتم السلطان على كلا الجانبين • وصـــدرت أوامر مماثلة وزعت على المتجرين فى « عصائب النساء » (٣) ، وعلى أعوان المحتسب وهو آنذاك « يشبك الجمالى » ، بأن يطوفوا بالأسواق ، واذا ما وجدت امرأة ترتدى أيا من هذين النوعين من أقنعة الرأس ، وجب عليهم ضربها وتعليقها بالعصابة من رقبتها • وقد تملك النساء الفزع والخوف ، فصرن يخرجن حاسرات الرءوس ، أو بدون عصابة ، أو باستخدامهن — مع كثير من المضض لعصابة طويلة حسب أوامر السلطان ، ومع ذلك كن يرتدين لباس الرأس — المحرم داخل منازلهن ، وبمرور بعض الوقت وهدوء الأحوال عادت القاهريات الى ارتداء ما كن يعشقنه من قبل (٤) •

وفى سنة ٨٣٠ هجرية ، عين « ناصر الدين بن شبل » محتسبـا للقاهرة فاصدر امرا بمنع النساء من ارتداء «الطواقى» (٥) • وربمـا مخطئين اذا ما تخيلنا أنه فى باكورة القرن التاسع الهجرى كان ارتفاع

---

(١) المصـــدر نفســـه ، صـــفحة ١٠٧ فهو نفس لبـــاس الرأس تماما الذى يمكن مشاهدته فى صور كارباشيو (Carpaccio) ومانزويتى (Mansueti) وبلليني (Bellini) ولكنه أيضا بدون زخارف •

(٢) كما ذكرنا سابقا ، صفحة ٢٨ كان لباس الرأس هـــذا مستخدما فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ويطابق شكله تماما لباس الرأس التترى الخاص بالرجال حتى أصبح يتفق وما نص عليه مرسوم قايتباى وفى الحقيقة انه لباس رأس مألوف لسيدات المماليك . والفقرة التى وردت فى ابن اياس الجزء الثالث (كالة ومصطفى) ، صفحة ٦٤ سطر ٩ ومابعدها تبرهن على ان عبارة «برهان قاطع» تدل على أن المقصـود هو ان «السراقوش» كان لباس راس للمرأة أو على الاقل كان لبـاس رأس خـاص بالسيدات والرجال على السواء وهذا صحيح بعكس ما قاله كاترمير (Quatremère) فى سلاطين المماليك ، الجزء الأول (أ) صفحة ٢٣٦ حاشية ١١٠) وفى دوزى (Dozy) المصدر السابق صفحة ٣٧٩ حاشية ١ •

(٣) كان الحشو الخاص بالقلنسوة أو الطاقية يحتوى على الورق والآليـاف الناعمة (راجع لوحة رقم ١٢ ، شكل ١) ومن ذلك جاء الاسم •

(٤) ابن اياس ، الجزء الثالث (كالة ومصطفى) صفحة ٦٤ ، سطر ٨ — ٢٢ •

(٥) الاسدى كما أشار اليه ابن طولون (رسائل تاريخية) الجزء الرابع ، اللمعات البرقية ، صفحة ٦٣ ، سطر ٦ وما بعدها وانى مدين فى الاشـــارة لهـــذا المرجع للمرحوم ج. سوفاجيه (J. Sauvaget) •

هذه « الطواقى » نحو ثلثى ذراع ، ولها قمم على شكل القباب ، محشوة بالورق ومزينة بفراء القندس باتساع ثمن ذراع تقريبا (١) .

وكانت أحذيتهن تطابق فى أشكالها وخفتها وفخامتها أحذية الرجال التى يطلق عليها اسم « خف » . وهى تصنع عادة من جلد ملون (٢) . وكان يلبس فوقها حذاء قصير يطلق عليه اسم (سرموزة) وهو نوع من الأحذية القصيرة التى تسمى « نعل » تخلع عنـــد دخول المنزل وكانت جميع الأنواع الثلاثة تباع فى سوق خاصـــة فى القاهرة يطلق عليهـــا « سوق الأخفافيين » أنشئت بعد ســـنة ٧٨٠ هجرية بقليـــل (٣) . وكان يوجد « خف » يلبس أيضا فى الشوارع يطلق عليه اسم « مداس » وأشير اليه بين الفينة والفينة على أنه كان يستخدم كسلاح حينما يريد بعض السوقة من عامة الشعب أن تعبر عن غضبها على ضحية تقع بين أيديهم (٤) .

وعند الحديث عن هذه الناحية يجب الاشارة الى « القبـاقيب » الخشبية ، وكانت تصنع أحيانا غنية بالزخارف ، وقد قام هذا النوع بدور محزن فى تاريخ نساء المماليك ــ وأولى هذه الحوادث حينما ضربت الملكة شجرة الدر بالقباقيب حتى الموت (٥) .

وكان من الممكن التعرف على النساء المومسات من ملبسهن الخاص الذى يعتبر أكثر أجزائه وضوحا تلك السراويل الحمراء والازار الذى يطلق عليه اسم « ملاءة » (٦) .

---

(١) هذا وصف طاقية رجل اشـــار اليه المقريزى فى الخطط ، الجزء الثـــانى صفحة ١٠٤ ، سطر ١١ ولكن مؤلفنا هاجم هـــذه (الموضة) واستهجنهـــا لانها جعلت الرجال يظهرون كالنساء ، راجع صفحة ٣١ (من هذا الكتاب) .

(٢) راجع أيضا ف . هارف (V. Harff) المصدر السابق صفحة ١٠٦ ، ولكن فرسكو بالدى (Frescobaldi) ، صفحة ٩٥ أشار فقط الى واحدة بيضاء (slivaletti bianchi) راجع مثلا لوحة رقم ١٧ شكل ١ .

(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، الجزء الثانى صفحة ١٠٥ سطر ٥ .

(٤) المقريزى ، السلوك . الجزء الأول صفحة ٨٠٤ ســطر ١٣ (راجع أيضـــا سلاطين المماليك ، الجزء الثانى (ب) صفحة ١٣ حاشية ١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبع القاهرة الجزء الثامن صفحة ٤٦ سطر ٨ ، يوجد أيضا ما يماثلها ولو أنهـا ترجع الى تاريخ مبكر ، وتوجد الحادثة فى ابن الراهب ، طبع شيخو ، بيروت ، ١٩٠٣ صفحة ٨٧ ، سطر ١١ حيث وردت صيغة الجمع (أمدســـة) بدلا من الكلمـــة الدارجة جدا « مداسات » .

(٥) ابن اياس الجزء الأول صفحة ٩٢ سطر ٥ .

(٦) المقريزى ، الخطط ، الجزء الثانى صفحة ٩٦ سطر ١٥ ــ ١٦ راجع أيضـــا فييت (Wiet) ، مصر العربية (L'Egypte Arabe) صفحة ٤٩٤ .

وغنى عن البيان أن نساء المدينة كن يطفن محجبات ، وكانت توجد أشكال متنوعة من الحجب وهى (المقنعة ، والقناع ، والنقاب) ، وكانت غالبا من الأنماط الآتية :

(أ) قناع شبكى أسود يغطى الوجه كله (١) .

(ب) قناع مثل القناع الأول ولكن به فتحتان للعينين (٢) .

(ج) قناع للوجه أبيض أو اسود يطلق عليه اسم « برقع » يغطى الوجه الى ما تحت العينين (٣) .

وان ظهور المرأة بدون قناع بين الجمهور دليل على فقرها الشديد (٤).

وكان من المحتمل تماما أن تظهر الراقصات والمغنيات كاشفات الوجوه ولكن يجب أن نضع فى الاعتبار أن صور النساء السافرات الوجوه فى المنمنمات ، وفى التحف المعدنية وما الى ذلك من أعمال فنية أخرى كانت تمثلهن دائما وهى فى داخل دورهن .

---

(١) فرسكو بالدى Frescobaldi فى « المكان المشار اليه عند معالجة الطرازين (أ) و (ج) فوصف الأول على أنه خاص بطبقة النبلاء (e le più nobili portano una stamigna nera dinanzi agli occhi) وراجع أيضا ف . هارف (v. Harff) المصدر السابق صفحة ١٠٦ وما بعدها (لوحة رقم ١٤ ، شكل ٢) ، ف . بريدى نباخ (Breydenbach) فى المكان المشار اليه .

(٢) جوفان غستل (Joos van Ghistele) و (Troyage) رحلة صفحة ٢٣ ، واجع دوزى (Dozy) المصدر السابق صفحة ٤٢٤ على هذا النوع أطلق دوزى تعبير « نقاب » .

(٣) راجع لوحة رقم ٢٩ شكل ٢ (Röhricht und Meisner, Niederrhein Bericht) صفحة ٣٤ وفرسكو بالدى نفس المصدر المشار اليه . (Frescobaldi)

(٤) عندما اقترب غازان من دمشق وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى سنة ٦٩٩ هجرية تركت النساء منازلهن وخرجن سافرات الوجوه زترشتاين ، اضافات وأبحاث فى تاريخ سلاطين المماليك (Zetterstéen, Beiträge zur Geschichte der Mamlükensultane) صفحة ٥٩ سطر ١٢ ، يونينى (Yūnini) مخطوط ، متحف طوبقابوسراى تحت رقم E ٢٩٠٧ ، الجزء الثانى ورقة ١٥٤ وجه فى اسفلها) لما أثيرت الشبهات حول تصرفات الأميرين حاج وحسين من أسرة قلاوون على أنهما ثائران ضد الملك الكامل شعبان الذى استدعى شقيقهما من أجل ذلك ، خفت أمهاتهم الى نجدتهم وظهرن سافرات الوجوه (ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، مخطوط استانبول ، أسعد أفندى رقم ٢٢٤٣ ؛ ورقة ٧٢ وجه) وفى أثناء الزلزال الذى حدث فى سنة ٨٨٦ هجرية (الموافق ١٤٨١ ميلادية) ترك النساء منازلهن وهن سافرات الوجوه (ابن اياس ، الجزء الثالث ، كاله ومصطفى، صفحة ١٧٣ ، سطر ١٤ .

وكان الأطفال من صبيان وبنات يرتدون ملابس تطابق فى تفصيلها ملابس الكبار ، وذلك فيما عدا الفتيات اللاتى كن يلبسن بدلا من الحجاب « الطواقى والكوافى » ، التى كان لها سوق خاصة فى القاهرة يطلق عليه اسم (سوق البخانيقيين) (١) Sûq Al-Bakhâniqiyyîn .

ولم يكن « الازار » وهو الغطاء الشامل للجسد ، يعتبر عائقا بالنسبة لتقدم (الموضة) اذ بالرغم من ذلك أخذت التصميمات فى التطور ،ولكن لم نجد مؤرخا من معاصريها يخصها بالحديث ، ولا شاعرا عربيا مثل « محمود قارى » الفارسى ، يتغنى بمديحها ، بل انها أغضبت رجال القضاء ورجال الشرطة ، الذين نقف من كتبهم على شىء عن الاتجاهات التى كانت سائدة فى تلك الأيام . وكان «محمد بن محمد العبدرى» المشهور بابن الحاج الذى عاش فى مصر فى أوائل القرن الرابع عشر ، قد احتج على ملابس النساء القصيرة جدا والضيقة المحبوكة على الجسد، ويقصد الناحية الأخيرة بصفة خاصة للطريقة الواضحة التى تظهر بها تفاصيل الجسم (٢) . واشتكى من أن (السراويل) الطويلة كانت تلبس ويسترخى رباطها الى ماتحت الخصر بكثير بدلا من أن تبدأ من فوقه ، حسب مانص عليه القانون (٣) . وقد سمعنا بطريق المصادفة أن تلك السراويل كانت تلبس أساسا خارج المنازل ، وتخلع بداخل الدور (٤) .

ومن الخطأ الظن بأن تلك الملابس كانت بسيطة أو زهيدة التكاليف، واذا صدقنا عبارات المقريزى الذى كان يشغل وظيفة (محتسب) ويتحمل مسئولية مراعاة آداب السلوك الخاصة بالنساء القاهريات ، ومن ثم كانت له خبرة واسعة فى مثل هذه الأمور ، فان الميول كانت عظيمة الاتجاه نحو مظاهر الترف والبذخ . وكان من المألوف فى خلال عصر المماليك الشراكسة أن يرتدى حتى الجنود والكتاب ، وعامة الشعب ، وكل امرأة من الطبقات الدنيا الفراء المستورد (٥) . وقد حدث بالمثل عندما حل بالبلاد قحط عام فى المعادن الثمينة ، وهجرت الملابس المنسوجة بخيوط الذهب والفضة

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى صفحة ١٠٤ سطر ٣ .

(٢) المصدر نفسه ، الجزء الأول ، صفحة ٢٠٠ سطر قبل الأخير ، صفحة ٢٠١ سطر ٢ .

(٣) المصدر نفسه الجزء الأول ، صفحة ٢٠١ ، سطر٦ ، ومابعده .

(٤) المصدر نفسه الجزء الأول ، صفحة ٢٠١ ، سطر ١٧ ، ومابعده .

(٥) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ١٠٣ ، سطر ٣١ ، وما بعده .

كانت النساء وقتئذ يرتدين «الطواقى» المزينة بزخارف فخمة من الذهب والفضة (١) • وكانت قوانين التقشف تصدر المرة تلو الأخرى ، مثل تلك التى أصدرها «منجك» وسبقت الاشارة اليها ، وقد حرم «منجك» أيضا على صانعى الأحذية صنع «الأخفاف» الثمينة وأذيع فى الأسواق أن كل من يبيع «أزارا» من الحرير سيصادر السلطان ممتلكاته الخاصة ــ ولكن نتائج هذا الاجراء كانت وقتية وحسب (٢) •

ونحن ندين للمقريزى بالتفصيلات القليلة التى أوردها بشأن الأثمان الباهظة للملابس ، فمثلا نحو منتصف القرن الثامن الهجرى بيع قميص من النوع المسمى « بهطلة » بمبلغ ألف درهم وأزيد من ذلك وبلغ ثمن «الازار» أكثر من ألف درهم، وبلغ ثمن زوج الأحذية «الخف والسرموزه» من مائة الى خمسمائة درهم (٣) ، وبلغ ثمن زوج من «السراويل» الجميلة التى صنعت خصيصا لزوجة الأمير « آقبغا عبد الواحـد » مائتى ألف درهم ، أى ما يساوى نحو عشرة آلاف دينار (٤) ، بل كانت أكثر الأمثلة التى تبعث على الدهشة البالغة فى التبذير على ملابس النساء هى قصة زوجة السلطان «برسباى» التى صرفت مبلغ ثلاثين ألف دينار على ثوب واحد، صنع خصيصا من أجل حفل ختان ابنها وولى عهد « برسباى » الملك « العزيز يوسف » •

وأى أسف أبلغ من أن يكون السبب فى تسجيل فخامة النعل هو الغضب الذى انفجر من أحد الفقهاء ليعلن به سخطه ! (٥) •

---

(١) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ١٠٤ ، سطر ١٥ وما بعده •
(٢) نفس المصدر ، الجزء الثانى ، صفحة ٣٢٢ ، سطر ٢٨ وما بعده •
(٣) نفس المصدر ، الجزء الثانى ، صفحة ٣٢٢ ، سطر ٢٥ وما بعده .
(٤) نفس المصدر ، الجزء الثانى ، صفحة ٣٨٤ سطرة ٣٤ •
(٥) النجوم طبع بوبر Popper الجزء السادس صفحة ٧٣٩ سطر ٢ ــ ٥• فيت (Wiet) المؤرخ أبو المحاسن (فى مجلة المعهد المصرى (B.I.E.) مجلد ١٢• سنة ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ ، صفحة ١٠٠) •

ملحق رقم (١)

القمــاش

تتمثل احدى الصعوبات الكبرى ، عند دراسة الأزياء الاسلامية ، فى تحديد التعبيرات لتجنيبها اللبس أو الغموض ، فقد تعطينا الكلمات فى هذا المجال المعنى المباشر على وجه التقريب وان استخدمت بقصد أداء مدلول خاص أو أكثر من مدلول ، ولا تسعفنا فى كلا الحالين قواميسـنا (اذ هى فى جملتها ليست بذات فائدة كبيرة فى حالة المصطلحات الفنيـة المملوكية كما أن سياق الحديث قد لايسعفنا كذلك . وفى معظم الحالات كانت تصاغ المصطلحات فى اختصار واضح ، مثل الاصطلاح الانجليزى « رباط رقبة أبيض أو أسود » وهذه صيغة لا تحدد لنا بالضبط الصنف موضع البحث ، بقدر ما تعبر عن نوع هذا الصنف من الملبس ككل ، فضلا عن قماشه ، وطريقة تفصيله ، ولونه • وقد يبدو مصطلح ما اذا ماورد منفردا أحيانا ـ ودون سبب كاف ـ كأنه أكثر الأشياء كلها تمييزا•

ومثال هذه التعبيرات كلمة « قماش » التى غدت اصطلاحا دارجا حيث لم نجد لها تعريفا محددا فى مراجعنا • ومنذ أن احتفظت طبقة أمراء المماليك أصحاب المراتب الرفيعة بثروات فاحشة على قدر كبير ـ ثروات لم تكن فى شكل نقود سائلة وأحجار كريمة فحسب ـ بل كانت تشـكل نفائس أخرى أيضا ، من بينها أقمشـة متنوعة الأصناف كانت الملابس تشكل جزءا منها (١) ، ومن الصعب كثيرا القول بأن كلمة « قمـاش »

---

(١) راجع ممتلكات الأمراء والموظفين المشهورين ، مثل نائب السـلطنة تنكز (الكتبى ، الجزء الأول صفحة ٩٤ سطر ٢ ومابعده) أو الامير سلار (ابن اياس الجـزء الأول صفحة ١٥٦) أو الوزير علاء الدين بن زنبور (ابن اياس الجزء الأول صفحة ١٩٧ سطر ١٩ وما بعده) راجع أيضا السلوك ، الجزء الأول صفحة ٥٨٤ سطر ٥ ، هبات الأموال والقماش ، ابن اياس الجزء الثالث (كاله ومصطفى) صفحة ١٦٨ سطر ٤ « وما نهب من خيول ومال وسلاح وقماش وبرك » ونفس المصدر صفحة ١٧٤ سطر ٢ (Hawâdith) أحداث سنة ٨٧٣ هجرية صفحة ٧٠٠ سطر ٧ : «خيول وقماش وسلاح» •

التى ترد فى فقرة ما كان يقصد بها «القماش» المعروف أو الملابس (١)، فانه كان يقصد بها الملابس ، فأى نوع من الملابس هى ؟ فالسخاوى مثلا (٢) يشير دائما الى استبدال السلطان لملابسه الشتوية الصوفية وارتدائه الملابس الصيفية عندحلول موسم الصيف بقوله، «ولبس القماش الأبيض الصيفى » وتركت الجملة مفتوحة سواء دلت الكلمة هنا على معنى خاص أو أنها استخدمت لأداء معنى عام ، وهى تقارن فى ذلك بما جاء فى فقرات أخرى للسخاوى نفسه ، حيث قال «لبس الصوف قبل العادة» (٣) و « لبس الصوف الملون » (٤) أو كما أوردها ابن اياس « ألبس الأمراء الصوف » (٥) · وهذا يطابق تماما القول بالانجليزية بطريقة مختصرة ، K.C. he took silk أى « اتخذ (س) من الناس الحرير » ومع ذلك ما يحتفظ به الشخص حقيقة فى ذاكرته ليس أكثر من خامة معينة أو ثوب معين · ولكن بين مرة وأخرى تعثر على اشارات عابرة تعبر عن معانيها · فمثلا كتب بيبرس الى مماليكه فى القاهرة عندما كان يقوم بجولة تفتيشية فى سوريا سنة ٦٧٠ هجرية (١٢٧١ — ١٢٧٢ ميلادية) قائلا « وأدعو الله أن يساعدنى حيث أنى لم أمض ليلة دون أن يكون جوادى مسرجا (مشدودا) ومرتديا قماشى حتى المهماز » (٦) ، أو كما سمعنا أنه فى سنة ٧٣٩ هجرية (١٣٣٨ — ١٣٣٩ ميلادية) أن كاتبا كان يعمل فى الديوان بمدينة صفد قد اعتاد أن يرتدى « قماشا» قصيرا (٧) ، ولما هاجم السلطان «برقوق » مع ثلاثين رجلا السلطان «حاجى» بعد معركة «شقحب» فى سنة ٧٩٢ هجرية (١٣٩٠ ميلادية) جردوا ثلاثة من القضاة قماشهم عندما تصدوا لمقاومتهم (٨) ، وان ما وقع من أحداث عندما زحف يلبغا الناصرى ومنطاش على القاهرة فى شهر جمادى الثانى سنة ٧٩١ هجرية (١٣٨٩ ميلادية) تشير الى ثورة عامة

---

(١) أى واحد من اللفظين لا يحتاج بالطبع الى دليل · فقد استقر تماما سنة ١٨٨١ بحيث يمكن بقليل من الجهد أن نفهم لماذا وجد دوزى (Dozy) من الضرورى أن يضمنهما ملحق القواميس ، ولكن الكلمة قد ظلت معضلة بعد ذلك ·

(٢) التبر صفحة ٢٠٠ سطر ٤ ، صفحة ٣٠٦ سطر ١٠ من أسفل ، صفحة ٣٤٧ ، سطر ٥ وفى اماكن أخرى غالبا ·

(٣) التبر ، صفحة ١٢ ، سطر ٩ ·

(٤) التبر ، صفحة ٢٦٧ ، سطر ١٣ ·

(٥) ابن اياس (تحقيق كالة ومصطفى) الجزء الثالث ، صفحة ١٣١ ·

(٦) السلوك ، الجزء الأول ، صفحة ٦٠٠ ، سطر ٤ ومابعده ·

(٧) الكتبى ، الجزء الأول ، صفحة ٦٣ ، سطر ٢٠ ·

(٨) ابن الفرات ، الجزء التاسع ، صفحة ١٨٧ ، سطر ٤ ·

الشعب فى جرأة بحيث شرعت تهاجم الناس وتخطف عمائمهم وتجردهم من قماشهم (١) ، وقد قص علينا ابن الفرات أنه حدث فى شهر صفر ٧٧٩ هجرية (نوفمبر سنة ١٣٩٦ ميلادية) أن أرسل «برقوق» الى«تنم الحسينى» (٢) خمسة طرود من القماش جميعها مفصلة ومخيطة وجميعها مبطنة بفراء السمور ، أو كما وصف ابن اياس الهجوم على مملوك مسن كان قد طلع مع عبده الى القلعة بالقاهرة يوم الجامكية ، ويستدل بوضوح تام من سياق هذا القول « وكان ماشيا معه (عبده) حاملا قماشه التى يلبسها عند طلوعه الى القلعة » (٣) أن « القماش » كان عبارة عن ثوب فوقانى أما أنه « قباء » أو «عباءة» ، يوضع فوق ملابس أخرى اكثر خفة ويستنتج ضمنا أن « القماش » كان أو ربما كان ذا طابع احتفالى مميز ، وأنه — أو على الأقل من هذا القبيل — كان أكثر ثقلا فى الوزن عن الملابس العادية . وبخصوص هذه الناحية يجب أن نسوق مثلا آخر لنوع من «القماش» لم يكن يلبسه صاحبه بل كان يحمله له أحد أتباعه(٤)، وقد حدث فى سنة ٦٩٩ هجرية (١٢٩٩—١٣٠٠ ميلادية) بعد الهزيمة التى وقعت فى حمص ، ان تخلص الجنود الفارون من خوذاتهم وقذفوا بها بعيدا وبالمثل دروعهم (جواشينهم) وقماشهم وذلك قصد تخفيف الحمل عن جيادهم(٥) وفى هذه الحالة الخاصة يمكن بالطبع المناقشة فى استخدام كلمة «قماش» كمرادف «لكنبوش» أى كساء الفرس(٦)، اذ أن الكلمة الأخيرة

---

(١) ابن الفرات ، الجزء التاسع ، صفحة ٨٢ ، سطر ١ ، وبالمثل زترشتاين صفحة ٥٩ سطر ٦ .

Zetterstéen, Beiträge zur Geschichte der Mamlükensultane, p. 59, L. 13

(٢) ابن الفرات ، الجزء التاسع ، صفحة ٤٥٤ ، سطر ١٣ .

(٣) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ١٠٧ ، سطر ١١ وما بعده ، راجع أيضا ابن اياس ، الجزء الثانى ، صفحة ٣٢٩ ، سطر ١٣

(٤) السلوك الجزء الأول ، صفحة ٥٧٥ ، سطر ٨ ينبغى على أن اشير هنا الى تغيير بسيط يحدث فى الحروف المميزة للنطق فى كلمة واحدة من هذه الكلمات ذات النص الثابت من أجل « قماش نوم » ومن المحتمل قراءتها « قماش يوم » ولكن هذا لا يؤثر على الدليل الموجود .

(٥) يونينى Yünini مخطوط بمتحف طوبقا بوسراى رقم E ٢٩٠٧ ، الجزء الثانى ، ورقة ١٥٤ وجه ، سطر ٨ وما بعده .

(٦) بوبر Popper فى خلال شرحه لبعض الاصطلاحات فى النجوم لابن تغرى بردى ، الجزء السادس ، ترجمها « قماش سرج » فمن الجائز أن يكون من المفيد أن نشير الى أن صيغة الجمع لكلمة « قماش » فى المعنى الأخيرا ليس « اقمشة » ولكن « قماشات » (ابن الفرات ، الجزء التاسع صفحة ٢٤٧ سطر ٩ وما بعده) .

« كنبوش » تدخل ضمن نطاق المقصود فى هذه الفقرة أيضا وان كان ذلك من الصعب ترجيحه .

وقد جرت العادة أن يتلقى المملوك الشاب عند عتقه ، ودخوله فى الخدمة «جوادا وقماشا» ومن الجلى أنه يعنى بذلك رداءه الخاص بالخدمة (١) . وكذلك يتضح من سياق الحديث حقيقة مدلول لفظ «القماش» الذى أشير اليه فى قصة المملوك المتمرد، ويسمى «جانم الفرنجى» ، الذى قبض عليه فى سنة ٩٢٢ هجرية (١٥١٦ ميلادية) وشنق بمدينة « بلبيس » وهو بقماشه وسيفه وتركاشه (جعبة السهام) »(٢) .

وبالمثل ، نجد ، أن كلمتى « قماش الخدمة » كانتا تستخدمان بوضوح للتعبير عن أن الشخص «فى زيه الرسمى» (٣) وكلمة «خدمة» service تعنى التحاق الأمراء بخدم السلطان وهم الذين تتألف منهم حاشيته (٤)، و «قماش الخدمة» هو «القباء» الذى يرتديه كل من السلطان وامرؤه فى هذه المناسبة ، ولو أن القاعدة قد جرت على أن يعبر ب « قماش الخدمة» عن زى السلطان وليس عن زى الأمراء (٥). ولما عاد السلطان «برسباى» الأمير المريض «جانى بك الأشرفى» ، ذهب اليه بغير «قماش الخدمة» (٦) على أن هذه الكلمات تعنى فى الحقيقة أن السلطان كان فى زى غير رسمى، ويدلنا على ذلك فقرة أخرى أفضل لها نفس المدلول وهى أن السلطان «فرج» عاد الأمير المريض « قراجا » « متخففا بثياب جلوسه » (٧)

---

(١) ابن اياس الجزء الثالث (كالة ومصطفى) صفحة ٢ ، سطر ١٢ والجزء الرابع ، صفحة ٩٥ ، سطر ٦ وغالبا فى أماكن اخرى .

(٢) ابن اياس ، الجزء الخامس ، صفحة ٣٦ ، سطر ٦ .

(٣) «أنباء» حوادث هجرية الخامس عشر من ربيع الثانى سنة ٨٧٣ هجرية اول شعبان سنة ٨٧٣ هجرية ، راجع أيضا النجوم طبعة بوبر Popper الجزء السادس ، صفحة ٢٧٧ ، سطر ١ ومابعده .

(٤) بيبرس ، زبدة ، ورقة ٢٥ ظهر ، سطر ٧ والسلوك ، الجزء الاول ، صفحة ٥٤٠ ، سطر ٣ .

(٥) كما أشرنا فى صفحة ٣٣ مع استثناء لباس الراس الذى كان يمنع فى مناسبات الاحتفالات والملابس التى كانت تلبس خلال حفلات التنصيب وطريقة تفصيل ملابس السلطان كانت تطابق تماما تلك التى كان يرتديها الأمراء .

(٦) النجوم طبعة بوبر Popper ، الجزء السادس ، صفحة ٦٢٦ سطر ٧ وما بعد .

(٧) النجوم طبعة بوبر Popper ، الجزء السادس ، صفحة ١٩٣ سطر ١٦ وما بعد .

أى مرتديا ملابسه المنزلية غير الرسمية ، حيث يدل بوضـوح كل من التعبيرين «متحفف» و «ثياب جلوسه» على الطابع المألوف لثيابه المنزلية. وقد أكد ابن تغرى بردى هذا الغرض مع مواصلة الاقتباس عن المقريزى اذ عبر الأخير عن استهجانه وسخطه العجيب من الافتقار الى النظـام وعدم مراعاة التقاليد ، اذ قال : « ولو تر ملكا مصريا ركب من القلعة وهو بقماش جلوسه » ، ثم أضاف « ومن المحتمل أن يكون المقريزى قد أراد أن يعبر بعبارة «قماش جلوسه» على أن السلطان لم يكن يرتدى «الكلفتاة» و «قماش الخدمة» أى طاقية الأمراء الطويلة والثوب الرسمى، وفى الحقيقة كان ذلك مقصده (١) فقد وجدنا أن مؤلفنا هذا قد ربط بين قماش الجلوس والكلفتاه Kalaftâh فى فقرة أخرى ، حيث نوه أنه فى الثالث من شهر رجب سنة ٨٥٩ هجرية (التاسع عشر من شهر يونيـو سـنة ١٤٥٥ ميلادية) قد أصـدر السلطان أمرا الى أمرائه بأن يخلعوا عن رءوسهم الكلفتاه وأن يرتدوا قماش الجلوس(٢). وبالمثل عندما بوغت الأمير «شيخ» بأنباء وصول السلطان «فرج» الى دمشق على غير انتظار، ترك مرافقيه وولى الأدبار انقاذا لحياته وهو « بقماش جلوسه » أى بالثوب الذى كان يرتديه فى منزله (٣) . ولما ذهب تغرى بردى والد المؤرخ الشـهير ، الى مقابلة شيخ و «نوروز» بصفة غير رسمية وهو « فى خواصه لاغير وبقماش جلوسه » أى بردائه المنزلى غير الرسمى (٤) ، وفى اليوم السابع من شهر رجب سنة ٨٥٩ هجرية (الثالث والعشرين من يونيو سنة ١٤٥٥ ميلادية) نفى الخليفة المخلوع القائم بالله الى مدينة الاسكندرية ، وترك القلعة مقبوضا عليه كأمير بدون حاشية ، وكان يرافقه الدوادار رئيس التشريفات ووالى القاهرة ، وكان « بقماش جلوسه » أى بردائه المنزلى (٥) .

ولو أن كلمة « خدمة » طبقا للتعريف السابق ، وكلمة « موكب » وهو الاحتفال السلطانى الذى يقام فى مناسبات رسمية عبر شـوارع

---

(١) النجـوم طبعـو بوبر Popper ، الجزء السادس ، صـفحة ١٩٤ ، سطر ١ وما بعده . وهذا بصفة خاصة مهم للغاية منذ صارت كلمة « جلوس » تعنى احيانا « عقد مجلس بناء على طلب السلطان » ومن ثم فان « ثياب الجلوس » يمـكن أن تؤخذ بمعنى « زى يلبس خلال انعقاد المجالس أى زى رسمى » .

(٢) ابن تغـرى بردى ، Hawâdith ، صفحة ٢٣٧ ، سطر ١٨ .

(٣) النجوم ، طبعـة بوبر Popper ، الجزء السادس ، صـفحة ٢٣٠ ، سطر ١٣ .

(٤) النجوم طبعـة بوبر Popper الجزء السادس صفحة ٢٤٣ ، سطر ١٦ وما بعده .

(٥) Hawâdith ، طبعة بوبر Popper صفحة ٢٣٨ سطر ٩ – ١٢ .

القاهرة كانتا تعبران عن نوعين من الاحتفالات يختلفان كثيرا ، ولذلك كان من المحتمل أن يتطلب الأمر ملابس لكل منهما . اذ أن أحدهما كان يعنى الجلوس فى بهو الاستقبال أو فى الحوش الداخلى ، والآخر كان خاصا بالركوب خارج القلعة (١) ولكن يظهر فى الواقع أن « قماش الخدمة » و « قماش الموكب » كانا مطابقين لبعضهما . وهذا التطابق قد عبر عن نفسه فى مناسبات كثيرة حينما يشار الى « قماش الموكب » (٢) أو حينما يستخدم تعبير « قماش الخدمة » للاشارة الى الملابس التى يرتديها السلطان أثناء الموكب (٣) . ونرى أحيانا التشابه نفسه بالنسبة الى « الكلفتاه » و « قماش الموكب » كما رأيناه بالنسبة ل « قماش الخدمة » وهذا دليل آخر على أن كلا نوعى « القماش » متطابقان (٤) . ويمكن أن نثبت هذه المطابقة من واقع الاشارة اليهما مصادفة فى وقت واحد (٥) ، أو بواسطة فقرات متشابهة يطلق فيها على الثوب نفسه مرة « قماش الخدمة » ومرة أخرى « قماش الموكب » (٦) وبالرغم من ذلك فان ثياب التشريف التى كانت لها فخامة « قماش الموكب » نفسها كانت تتكون فقط من ثياب معروفة جيدا كملابس الأمراء العادية ولكنها خاصة بالمناسبات الرسمية . وقد استنكر ابن تغرى بردى أهمال « برسباى » فى الحفاظ على تقاليد الملبس ، وكان التذمر فى الواقع من أن هذا المثل السيىء قد بدأه السلطان « فرج » عند ركوبه بدون « قماش الخدمة » ، ثم سار على منواله

---

(١) انى أحذر تماما من بعض فقرات فى حوليات التاريخ المملوكى ، حيث ينبغى التعبير عن كلمة « موكب » الواردة فيها ب « بحفل استقبال السلطان » ولكنها من القلة بحيث يمكن أخذها على أنها من الاستثناءات التى تؤكد القاعدة .

(٢) النجوم طبعة بوبر Popper ، الجزء السادس ، صفحة ١٧٣ ، سطر ١٢ ، صفحة ٥٧٩ ، سطر ٥ « كان برسباى يظهر فى مناسبات خاصة بدونها » الجزء السابع صفحة ١١٦ ، سطر ٧ ، ١٣ (كان جمقمق يظهر بدونها) انباء ، تاريخ ٣ صفر سنة ٨٧٣ هجرية ، والسادس من ربيع الأول ، والعاشر من ذى القعدة ، وغالبا فى أماكن اخرى

(٣) النجوم ، طبعة بوبر Popper ، الجزء السادس ، صفحة ٦٢٧ ، سطر ٤

(٤) النجوم ، طبعة بوبر ، الجزء السابع صفحة ١١٦ سطر ١٤ « بغير كلفتاة ولا قماش » ، حوادث Hawâdith. صفحة ٤٧٨ ، سطر ١٤ « كلفتاة وقماش الموكب » ابن طولون صفحة ٥٢ ، سطر ١ وما بعده « كلفتاة وقماش على العادة فى المواكب » .

(٥) أنباء سنة ٨٧٣ هجرية ، والتاسع عشر من ذى الحجة « قماش الخدمة والموكب » .

(٦) النجوم ، طبعة بوبر Popper ، الجزء السادس ، صفحة ٦٢٧ ، سطر ٤ وما بعده . « قماش الخدمة » وفى الجزء السابع ، صفحة ١١٦ سطر ١٢ « قماش الموكب » .

«شيخ» وتبعه بعدذلك «برسباى» بحيثأصبح هذا التقليدعادة مألوفة(١) وقد ترك لنا ابن تغرى بردى وصفا لقماش موكب «برسباى» الذى كان يرتديه فى مناسبة جديرة بالذكر ، اذ فى الحادى عشر من شهر صفر سنة ٨٣٢ هجرية (عشرين من نوفمبر سنة ١٤٢٨ ميلادية) أثناء « موكب ملكى فخم» كان «برسباى» — وقد انتزع ذلك رضاء مؤلفنا الذى كان شاهد عيان للموكب — يرتدى ملابس بالغ كثيرا فى تأنقها مثل السلطان «برقوق» وغيره من السلاطين الآخرين : فقد ارتدى «برسباى» «كلفتاة» وقباء فوقانيا من الصوف له وجهان أحمر وأخضر (٢) . وقد كان كل من « الكلفتاة » والرداء الفوقانى يطابقان تماما نموذج الملابس الأميرية ، ويبدو من هذا أن ابن تغرى بردى أراد أن يدلل أخيرا على أنه لايوجد شيء خاص يتعلق بتصميم « قماش الموكب » .

وانا لنجد سلطانا مثل « جقمق » (٣) الذى نال التقدير والثناء من جديته فى التمسك بتقاليد الملبس ، يظهر فى أثناء أحد المواكب المشهورة بدون « قماش الموكب » حتى ليمكن أن نفهم مايعنى ذلك بسهولة وبدون حاجة للرجوع الى السوابق الثابتة التى أرسى قواعدها سلاطين الجراكسة المشهورون الذين أشرنا اليهم توا . ولكن رغم أن الموكب قد وصف بأنه كان « فى أبهة عظيمة » فان ذلك يدل على أن العامل الرئيسى هنا لم يكن المظهر العادى للسلطان نفسه بل هو مظهر الأبهة والعظمة اللتين أحيط بهما السلطان من أفراد حاشيته وأتباعه (٤) .

وفى خلال عصر الجراكسة نصادف مرارا تعبير « الشاش والقماش »

---

(١) النجوم ، طبعة بوبر (Popper) ، الجزء السادس ، صفحة ٦٢٧ ، سطر ٤ ومابعده الجزء السابع ، صفحة ١١٦ سطر ١٣ — ١٥ .

(٢) النجوم ، طبعة بوبر Popper ، الجزء السادس ، صفحة ٦٦٦ ، سطر أخير ، صفحة ٦٦٧ سطر ٢ ، وفى السلوك ، أحداث الحادى عشر من شهر صفر سنة ٨٣٤ هجرية (الموافق التاسع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٤٣٠ ميلادية) ومن المحتمل أن يكون ابن تغرى بردى قد استقى عنه ملوماته وأطلق على الرداء الفوقانى اسم « قماش الركوب » ، ووصفه على أنه « قباء أخضر بمقلب أحمر » .

(٣) النجوم ، طبعة بوبر Popper الجزء السابع ، صفحة ٢٤٥ ، سطر ١٠ وما بعده .

(٤) النجوم طبعة بوبر Popper الجزء السابع ، صفحة ١١٦ ، سطر ٦ وما بعده .

الذى كان يحمل بوضوح وفى معظم الحالات معنى «زى المواكب الحافلة»(١) وإذا كان افتراضنا صحيحا وهو أن كلمة « قماش » معناها الرداء الفوقانى الذى كان يلبس ك « ثياب رسمية » فان التعبير يكون واضحا وجليا طالما أن الشاش (أ) يعبر أولا عن الموسلين الطويل الذى يلف حول العمامة كلباس للرأس مألوف عند الأمير المملوكى أثناء الاحتفالات السلطانية ، أما الشربوش أو الكلفتاة فيلبسان دون شاش ، (ب) كما يعبر ثانيا عن الشال الذى يلف حول الرقبة كجزء من « الخلعة » .

وهكذا كان الارتباط بين «الشاش» و «القماش» يدل على أن المناسبة كانت احتفالا بصفة خاصة . وربما كان ارتداء الملابس الثقيلة فى مصر غير مرغوب فيه فيما عدا موسم الشتاء القصير ، ومن الممكن أن تعتبر أبطال «قايتباى» لبس الشاش والقماش أثناء الخدمة فى القلعة خدمة (القصر) امتيازا منحه للمماليك (٢) . وفى سنة ٩١٤ هجرية (١٥٠٨ ــ ١٥٠٩ ميلادية) اتبع «قانصوه الغورى» نفس المبدأ الذى سار عليه سلفه فأبطل بدوره لبس الشاش والقماش فى جميع الاحتفالات الرسمية فيما عدا أيام الجمع والأعياد الرئيسية ، وعند رحيل الحجاج الى مكة المكرمة أو عند وصول أحد السفراء (٣). ويتضح من ذلك عمليا أن «قانصوه» الغورى كان أكثر تحررا من أسلافه اذ أن ابن اياس قد أكد أن هذا السلطان قد اشترك فى موكب واحد فقط وهو يرتدى « الشاش والقماش » (٤) . وأن «قانصوه» كان يبيح ذلك التهاون فى حالة استقبال السفراء الأجانب وهو أمر دافع عنه ابن اياس باسهاب فى كثير من كتاباته وصور لنا القليل من هذه الحالات فى شرح كاف فمثلا فى العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٩١٧ هجرية (السابع عشر من شهر يونيو ١٥١١ ميلادية) استقبل مبعوث الشاه اسماعيل فى القلعة بعد عمل موكب له أقيم بدون شاش

---

(١) النجوم ، طبعة القاهرة ، الجزء الثامن ، صفحة ٢٠٤ ، سطر ٦ وما بعده ، التبر ، صفحة ٢٠٩ أعلاها ، ابن طولون صفحة ٧ ، سطر ٩ ، ابن اياس الجزء الاول، صفحة ، ٣٦٩ سطر ١٤ ، الجزء الثالث (كالة ومصطفى) صفحة ٣٢٢ سطر ١٢ وغالبا فى أماكن أخرى . الجزء الثالث صفحة ٣٣٠ س ١١ (من طبعة القاهرة ١٩٦٣ المراجع).

(٢) ابن اياس ، الجزء الثالث (كالة ومصطفى) صفحة ٣٢٢ ، سطر ١٢ ، صفحة ٣٣٠ سطر ١٢ ، من طبعة محمد مصطفى الجزء الثالث القاهرة ١٩٦٣ الطبعة الثانية (المراجع) .

(٣) ابن اياس الجزء الرابع صفحة ١٤٩ سطر ٢ .

(٤) ابن اياس الجزء الرابع صفحة ٤٢١ سطر ٨ .

أو قماش ورغم أنه وصف الموكب بأنه من المواكب الحافلة المشهودة (١) • وكما حدث مثلا فى أول شهر جمادى الثانى سنة ٩٢٠ هجرية (الرابع والعشرين من يونيو سنة ١٥١٤ ميلادية) عندما وصل مبعوث السلطان العثمانى محملا بالهدايا الثمينة استقبل استقبالا حافلا مع كثير من الحفاوة والاجلال الزائد مما جعل اليوم يوصف بيوم « مشهود » رغم أن الموكب نفسه كان بدون «شاش أو قماش» (٢) ، أو كما حدث مثلا فى سنة ٩٢٢ هجرية (١٥١٦ ميلادية) لما وصل المبعوث الحبشى وكان أول مبعوث يأتى الى بلاط السلطان المملوكى بعد قطيعة استمرت ستة وثلاثين عاما واستقبل المبعوث بدون ارتداء « شاش ولا قماش » (٣) •

وقبل أن نصل الى نهاية الحديث فى الموضوع ، يجب أن يسوى موضوع الاعتراض الوحيد المحتمل والواضح أيضا ، اذ أخبرنا ابن اياس (٤) أن محمد بن قلاوون كان أول من أدخل «الشاش والقماش» فى الزى العسكرى • ولو أن هذا المؤرخ لا يعتبر بأى حال مرجعا موثوقا به ومعولا عليه فيما يختص بالفترة التى تقع فى باكورة عصر المماليك البحرية التى عالجها بسرعة فى بعض عشرينات من صفحات كتابه ، وبالرغم من أنه لم يهتم ولو نصف اهتمام بتوجيه العناية الى شئون الحضارة المادية كما فعل المقريزى أو ابن تغرى بردى مثلا ، رغما عن ذلك كله فان بياناته يجب أن تكون موضع اعتبار وتقدير • اذ يجب أن نتساءل عما اذا كان معقولا أنه لم يكن لدى ضباط الجيش قبل عصر هذا السلطان بعض أنواع من ملابس المواكب الرسمية ؟ والجواب على ذلك واضح للغاية : وهو أنه لم يكن لديهم مثل هذا النوع • وعند الحديث عن أزياء المماليك فى خلال حكم السلاطين البحرية الأوائل • يقص علينا المقريزى (٥) كيف كانت ملابسهم غليظة ومصنوعة من خامات خشنة الى أن جاء السلطان قلاوون أولا، ثم

---

(١) ابن اياس الجزء الرابع صفحة ٢١٩ سطر ١١ صفحة ٢٢٠ سطر ١ •

(٢) ابن اياس ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٨٣ سطر ٢١ وصفحة ٣٩٤ سطر ٧ •

(٣) ابن اياس الجزء الخامس ، صفحة ٩ سطر ١٩ وينبغى الاشارة بوضوح على أى حال الى ان المبعوث الحبشى الذى وصل فى شهر محرم سنة ٨٨٦ هجرية (شهر مارس ١٤٨١ ميلادية) قد استقبل أيضا فى « موكب حافل من غير شاش ولا قماش » ابن اياس ، الجزء الثالث (كالة ومصطفى) صفحة ١٧٤ ، سطر ١٧ وما بعده •

(٤) الجزء الأول ، صفحة ١٧٣ ، سطر ١٥ ومابعده •

(٥) الخطط ، الجزء الثانى ، صفحة ٩٨ السطر الأخير ، صفحة ٩٩ سطر ٥ •

ولده خليل من بعده ، فتغيرت ملابس الجيش تغيرا شاملا وأصبحت أكثر رقة • وقد أورد ابن اياس (١) ثانية النواحى الأساسية فى هذا الفصل من تاريخه ومع ذلك فقد أشار الى دخول «الشاش والقماش» فى موضع آخر (٢) ، ومن الجلى تماما أنه عند كتابته لهذا الفصل كانت كلمات المقريزى فى ذاكرته •

---

(١) ابن اياس ، الجزء الأول ، صفحة ١٢٠ ، سطر ١٠ ـ ١٨ .
(٢) أنظر الحاشية الأخيرة بل الأخيرتين .

ملحق رقم (٢)

(خاص بمراجع عن « استقبال سفير من البندقية* »)

ماركو بوتشسينى : خريطة الرحلة البحرية ذات المشاهد الخيالية الجميلة ، طبع البندقية سنة ١٦٦٠ ، صفحة ٣١ وما بعدها ـ جورج جوبيه دى سان ـ جورج : تاريخ حكم محمد الثانى ، سلطان تركيا ، باريس ، د ٠ تيبرى ، سنة ١٦٨١ ، الجزء الأول صفحة ٥٠٩ ـ جوزيف ـ مارى جوانين ، وجول فان جافر : تركيا باريس طبع ، فرمان ـ ديدو اخوان ، سنة ١٨٥٠ ، صفحة ٣٨ ومابعدها ـ اتو موندلر : رسالة لتحليل نقدى عن التعليق على الصور الايطالية الموجودة بمتحف اللوفر القومى ، باريس طبع فرمان ـ ديدو اخوان ، سنة ١٨٥٠ صفحة ٣٨ وما بعدها ـ فردريك فيللو : تعليق على الصور المعروضة فى صالات متحف اللوفر الامبراطورى القسم الأول المدرستان الايطالية والاسبانية الطبعة الرابعة ، باريس سنة ١٨٥٢ ، صفحة ٣٩ ، رقم ٦٨ ـ شارل بلان : تاريخ المصورين لجميع المدارس ٠ مدرسة البندقية ، باريس فف جول رنوار ، سنة ١٨٦٨ صفحة ٤ و ٧ ومابعدها مصور ـ ج٠أ٠ كروا ، ج٠ب ٠ كافالكازل : تاريخ التصوير فى شمال ايطاليا من القرن الرابع عشر الى السادس عشر ، لندن ، طبع ٠ مورى سنة ١٨٧١ ، صفحة ١٢٧ الطبعة الثانية ، سنة ١٩١٢ ، صفحة ١٢٨ ٠ ـ بوث دى توزيا : تعليق على اللوحات المعروضة فى صالات متحف اللوفر القومى : القسم الأول : المدرستان الايطالية والاسبانية (باريس طبع ٠ شارل دى مورج ٠أخوان، سنة ١٨٧٨) ، صفحة ٥٦ ، ـ جرشامبلان وجون دينيسون، وشارل س بركنس : موسوعة المصورين والتصوير ، (طبع ٠ نيويورك ولندن ، سنة ١٨٨٨) الجزء الرابع ، صفحة ٣٣٦ ٠ ـ لويس توازن : المصور جانتى بللينى والسلطان محمد الثانى ٠ تعليقات على اقامة مصور بندقى فى القسطنطينية باريس طبع ٠ لرو ، سنة ١٨٨٨ صفحة ٥٩ ـ ٦٣ ٠ جورج لافينستر وأوجين رشتنبرجر : متحف اللوفر القومى ٠

* تحقيقا للفائدة المرجوة من هذه المراجع فقد ارفقت بهذه الترجمة قائمة بالمراجع الافرنجية الواردة فى الأصل الانجليزى ٠

(باريس سنة ١٨٩٣) صفحة ٨٨ رقم ١١٥٧ ـ برنارد برنسون : مصورو البندقية في عصر النهضة (طبع • نيويورك ولندن ج • ب • بوتنـــام وأولاده سنة ١٨٩٤) صفحة ٩٧ (سلسلة من مجموعة) • شارل شيفر : ملاحظات على لوحة متحف اللوفر . نسبت منذ زمن وجيز الى جانتى بلليني (فى صحيفة الفنـــون الجميلة ، سنة ١٨٩٥ السـنـة السابعة والثلاثون ، الجزء الرابع عشر ، صفحة ٢٠١ ـ ٢٠٤ شكل رقم ١ لوحة رقم ١) فرريك كينر : صور من مجموعة فرديناند صاحب التيرول (فى الكتاب السنوى لتاريخ الفن عن مجموعة قصر القيصر) سنة ١٨٩٨ المجلد التاســع عشر صفحة ١٣٨ ـ نيقولاس بايللى : قوائم جرد لوحـــات الملك سنة ١٧٠٩ الى سنة ١٧١٠ نشر بواسطة فرناند انجيراند ، (باريس طبع • أ • ليرو سنة ١٨٩٩) الجزء الأول ، صفحة ١٠٤ وما بعـــدها ـ جان جفرى : الصورة النصفية الفينيسية المزدوجة بمتحف اللوفر (فى مجلة الفن القديم والحديث سنة ١٩٠١) الجزء العاشر ، صفحة ٢٩٢ • يعقوب أرتين باشا : مساهمة في دراسة الرنوك فى الشرق (لندن طبع • ب • كارتش سنة ١٩٠٢) صفحة ١٢٠ ، واللوحتين المرفقتين ـ اميـــل جاكوبسن :صور ايطالية فى اللوفر (فى موسوعة تاريخ الفن ، ســـنة ١٩٠٢ المجلد ٢٥ صفحة ١٨٢

شارل ديهل : التصوير الشرقى فى ايطاليا (فى مجلة الفن القديم والحديث سنة ١٩٠٦ ، الجزء ١٩ ، صفحة ١٥ وما بعدها (مصور) ـ يعقوب أرتين باشا : الأسلحة فى مصر فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر (فى مجلة المجمع المصرى سنة ١٩٠٦ ، ونشرت سنة ١٩٠٧ ، المجموعة الرابعة رقم ٧ ، صفحة ٨٧ وما بعدها ، لوحة رقم ١ـ٢) ـ هادلن • دتلف•ف• أعمال فيسترو ١٤٤ كاتبناس (المجلة الشهرية للفنون سنة ١٩٠٨ المجلد الأول ، والثانى صفحة ١٠٨٩

يعقوب أرتين باشا : لوحة ثالثة ايطالية من القرن ١٦ م عليها رنوك بأسلحة مصرية (فى مجلة المجمع المصرى سنة ١٩٠٨ ، المجموعة الخامسة، الجزء الثانى ، صفحة ٣٧ وما بعدها) ف•ر• مارتن : صور أصلية جديدة وصور شرقية منقولة من عمل جانتى بلليني وجدت فى الشرق ، (فى مجلة برلنجتون ، سنة ١٩١٠ الجزء السابع عشر ، صفحة ٥ وما بعدها

لوحة رقم ١) ــ سلمون ريناخ : فهرست مصوري القرون الوسطى وعصر النهضة (من سنة ١٢٥٠ ــ ١٥٨٠) الجزء الثالث ، باريس طبع • ليرو ، سنة ١٩١٠، صفحة ٧٠٧ ــ سيمور دى رتشي : «الوصف القياسي لفن التصوير بمتحف اللوفر ، ــ مع مقدمة من جوزيف ريناخ ، الجزء الأول ، المدارس الأجنبية ، ايطاليا وأسبانيا » باريس مطبعة الفن سنة ١٩١٣ صفحة ١٧ وما بعدها ــ أودلفوفانتوري : تاريخ الفن الايطالي الجزء السابع التصوير فى القرن الرابع عشر القسم الخامس والخمسون ميلانو طبع • ى • هوبلي ، سنة ١٩١٥ ، صفحة ٢٤٨ ، رقم ٦٢٣ ــ فرانسوا جيبى دى لاتورت : الشرق والمصورون البنادقة ، باريس طبع• شامبيون، سـنة ١٩٢٣ ، لوحة رقم ٦ • ــ لويس هوتكور : متحف اللوفر القومى كتالوج لوحات التصوير المعروضة فى الصالات • الجزء الثانى ، المدرسة الايطالية والمدرسة الأسبانية ، (باريس ١٩٢٦) ، صفحة ٣٢ ــ برنهارد برنسون : صور عصر النهضة الايطالية اكسفورد ، مطبعة كلارندون ، سنة ١٩٣٢ ، صفحة ١٣٩ ــ ريمو فان مارل : التطور الذى حققته مدارس التصوير الايطالية ، الهاج ، مارتينوس نجهوف ، سنة ١٩٢٣ ــ ١٩٣٨ الجزء السابع عشر ، سنة ١٩٣٥ ، صفحة ١٧٩ ــ ١٨١ ، شكل ١٠٣ ، الجزء الثامن عشر ، سنة ١٩٣٦ صفحة ٤٠١ حاشية ، جاستون فيت : مصر العربية (فى تاريخ الشعب المصرى طبع • جابرييل هـانوتو ، الجزء الرابع ، باريس ، مكتبة بلون ، سنة ١٩٣٧ ، لوحة رقم ١١) ــ هرمان جوتز : خصم البرتغال فى المحيط الهنـدى ، وهى لوحة من التصـوير المعاصر ، تمثل السلطان المملوكى قانصوه الغورى • (فى مجلة التاريخ الهندى ، سنة ١٩٣٧ ، الجزء السادس ، عشر صفحة ١٦٩ ــ ١٧٤ ، لوحة رقم ١) ــ أ • ج•ب• ويس وموريبل كلايتون : سجادة حائط منسوجة فى قلعة بوييس (فى مجلة برلنجتون ، أغسطس سنة ١٩٣٨ ، صفحة ٦٥ ــ ٦٩ (واللوحات المقابلة لصفحات ٦١ ، ٦٥) زكى محمد حسن : السلطان الغورى (فى مجلة الثقافة سنة ١٩٣٩ ، الجزء الأول ، صفحة ٢٦ لوحـة رقم ١) ــ عبد الوهاب عزام : مجالس السـلطان الغورى ، القاهرة ، ســنة ١٩٤١ ، اللوحة المقابلة للصفحة السادسة ــ ارمينانج ساكسيان : الهلال كشعار وطنى ودينى فى تركيا (فى مجلة سوريا سنة ١٩٤١ صفحة ٦٦ ــ ٨٠ ، خمسة أشكال) ــ جان سوفاجيه : عرض قديم للحرير الدمشقى فى متحف اللوفر (فى حوليات الدراسات الشرقية)، المعهد الفرنسى فى دمشق سنة ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ ، الجزء الحادى عشر ، صفحة ٥ ــ ١٢ ، ٣ لوحات ــ ايركاتييتز كوثرات : «عودة» جيوفانى بلليني

وغزال كورنارو .(صحيفة الفنون الجميلة مارس سنة ١٩٤٦ ، صفحة ١٨٧ ـ ١٩٠ ، سبتمبر سنة١٩٤٦ ، صفحة ١٨٥مصورة) لويس هوتكير: التصوير في متحف اللوفر . المدارس الايطالية في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، (باريس غير مؤرخ) ، صفحة ٨٩ ومابعدها لوحة رقم ٨٧ .

APPENDIX II

Bibliography of the « Reception of a Venetian Embassy »

Bochini, Marco : *La carta del navegar pitoresco,* Venice, 1660, p. 31 f. — Guillet de Saint-George, Georges : *Histoire du règne de Mahomet II, Empereur des Turcs.* Paris, D. Thierry, *règne de Mahofmet II, Empereur des Turcs.* Paris, D. Thierry, 1681, t. I, p. 509. — Jouannin, Joseph-Marie, et Jules van Gaver : *Turquie.* Paris, Firmin-Didot Frères, 1850, p. 38 f. — Mundler, Otto : *Essai d'une analyse critique de la Notice des tableaux italiens du Musée National du Louvre.* Paris, Firmin-Didot Frères, 1850, p. 38 f. — Villot, Frédéric : *Notice des tableaux exposés dans les galeries du Musée Impérial du Louvre. Première partie : Ecoles d'Italie et d'Espagne.* 4e édition. Paris, 185, p. 39, no. 68. — Blanc, Charles : *Histoire des peintres de toutes les écoles. Ecole Vênitienne.* Paris, Vve Jules Renouard, 1868, pp. 4, 7 f., ill. — Crowe, J. A. and J. B. Cavalcaselle : *A History of Painting in North Italy... from the fourteenth to the sixteenth century.* London, Murray, 1871, p. 127 ; 2nd ed., 1912, p. 128. — Both de Tauzia : *Notice des tableaux exposés dans les galeries du Musée National du Louvre. Première partie : Ecoles d'Italie et d'Espagne.* Paris, Charles de Mourgues Frères, 1878, p. 56. — Champlin Jr., John Denison, and Charles C. Perkins : *Cyclopedia of painters and paintings.* New York-London, 1888,ç vol. IV, p. 336. — Thuasne, Louis : *Gentile Bellini et Sultan Mohamed II. Notes sur le séjour du peintre vénitien à Constantinople.* Paris, E. Leroux, 1888, pp. 59-63. — Lafenestre, Georges, et Eugène Richtenberger : *Le Musée National du Louvre.* Paris, 1893, p. 88, no. 1157. — Berenson, Bernhard : *The Venetian painters of the Renaissance.* New York-London, G. P. Putnam's Sons, 1894, p. 97 (Catena). — Schefer, Charles : Notes sur un tableau du Louvre, naguère

attribué à Gentile Bellini (in *Gazette des Beaux-Arts,* 1895, 37e an., t. 14, pp. 201-204, 1 fig., 1 pl.). — Kenner, Friedrich : Die Porträtsammlung des Erzherzogs Ferdinand von Tirol (in *Jahrbuch der Kunsthistorischen Sammlungen des Allerhöchsten Kaiserhauses,* 1898, Bd. 19, p. 137). — Bailly, Nicolas : *Inventaire des tableaux du Roy rédigé en 1709 et 1710...* publié... par Fernand Engerand. Paris, E. Leroux, 1899, t. I, p. 104 f. — Guiffrey, Jean : Le double portrait vénitien du musée du Louvre (in *Revue de l'art ancien et moderne,* 1901, t. 10, p. 292). — Artin Pacha, Yacoub : *Contribution à l'étude du blason en Orient,* London, B. Quaritch, 1902, p. 120 and 2 pls. following it. — Jacobsen, Emil : Italienische Gemälde im Louvre (in *Repertorium für Kunstwissenschaft,* 1902, Bd. XXV, p. 182). — Diehl. Charles : La peinture orientaliste en Italie (in *Revue de l'art ancien et moderne,* 1906), t. 19, p. 15 f., ill.). — Artin Pacha, Yacoub : Les armes de l'Egypte aux XVe et XVIe siècles (in *Bulletin de l'Institut Egyptien,* 1906, publ. 1907, IVe sér., no. 7, p. 87f. ,pls. I-II). — Hadeln, Detlef x. : Die Werke Vincenzo Catenas (in *Monatshefte f. Kunstwissenschaft,* 1908, I. Jgg., II. Halbbd., p. 1089 f.). — Artin Pacha, Yacoub. Un troisième tableau italien du XVIe siècle blasonné aux armes d'Egypte (in *Bulletin de l'Institut Egyptien,* 1908, Ve sér., t. 2, p. 37 f.). — Martin, F. R. : New originals and oriental copies of Gentile Bellini found in the East (in *Burlington Magazine,* 1910, t. 17, p. 5 f., 1 pl.). — Reinach, Salomon : *Répertoire de peintures du moyen âge et de la Renaissance (1250-1580).* T. 3. Paris, E. Leroux, 1910, p. 707. — Rici, Seymour de : *Description raisonnée des peintures du Louvre... avec une préface de* Joseph Reinach. *I. Ecoles étrangères. Italie et Espagne.* Paris, Imprimerie de l'Art, 1913, p. 17 f. — Venturi, Adolfo : *Storia dell'arte italiana. VII. La pittura del Quattrocento.* Parte LV. Milano, U. Hoepli, 1915, pp 248, n. 624. — Gilles de la Tourette, François : *L'Orient et les peintres de Venise,* Paris, Ed. Champion, 1923, pl. VI. — Hautecœur, Louis : *Musée National du Louvre, Catalogue des peintures exposées dans les galeries. Vol. II. Ecole italienne et école espagnole.* Paris, 1926, p. 32. — Berenson, Bernhard : *Italian pictures of the Renaissance.* Oxford, Clarendon Press, 1932, p. 139. — — Marle, Raimond van : *The Development of the Italian Schools of Painting.* The Ha-

gue, Martinus Nijhoff, 1923-1938; vol. XVII, 1935, pp. 179-181, fig. 103, vol. XVIII, 1936, p. 401, n. — Wiet, Gaston : L'Egypte arabe (in *Histoire de la nation égyptienne,* ed. Gabriel Hanotaux, t. IV, Paris, Plon, 1937, pl. XI). — Goetz, Hermann : An antagonist of the Portuguese in the Indian Ocean, a contemporary painting representing the Mameluke Sultan, Kansuwah al-Ghury (in *Journal of Indian History,* 1937, vol. XVI, pp. 169-174, 1 pl.). — Wace, A.j.B., and Muriiel Clayton: A tapestry at Powis Castle (in *Burlington Magazine,* August 1938, pp. 65-69, pls. facing, pp. 61, 65). — Hasan, Zeki M. : as-Sultan al-Ghouri (in *ath. Thaqâfa,* 1939, t. I, p. 26, 1 pl.). — 'Azzâm, 'Abd al-Wahhâb : *Majâlis as-Sultân al-Ghauri.* Cairo 1941, pl. facing p. 6. — Sakisian, Arménag : Le croissant comme emblème national et religieux en Turquie (in *Syria,* 1941, pp. 66-80, 5 fig.). — Sauvaget, Jean : Une ancienne représentation de Damas au Musée du Louvre (in *Bulletin d'études orientales, Institut français de Damas,* 1945-1946, t. XI, pp. 5-12, 3 pls.). — Tietze-Conrat, Erica : Again : Giovanni Bellini and Cornaro's gazelle (in *Gazette des Beaux-Arts,* March 1946, pp. 187-190, Sept. 1946, p. 185, ill.). — Hautecœur, Louis : *La peinture au Musée du Louvre. Ecoles italiennes, XIIIe, XIVe, XVe siècles.* Paris, n.d., p. 89 f., pl. 87.

المراجع

أولا ـ المراجع العربية* :

أبو الفدا :

المختصر فى تاريخ البشر ، استانبول ، ٩٦٩/١٨٧٠
Annales Muslemici, I. - V, ed. Reiske, Copenhagen, 1789-1794.
22, 360

أبو شامة :

كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٧ ـ ١٨٩٢

أحمد تيمور (باشا) :

التصوير عند العرب (تحقيق د. زكى محمد حسن) القاهرة ١٩٤٢

العينى :

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (مخطوط القاهرة تاريخ ١٥٨٤)
ـ تاريخ البدر (مخطوط المتحف البريطانى ، رقم Add. 22, 360.

الدمشقى :

كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر
Mehren, St. Petersburg, 1866.

الذهبى :

دول الاسلام (حيدر أباد ١٣٣٧ هـ)

على ابراهيم حسن :

الجيش والبحرية فى عصر المماليك (القاهرة ، بدون تاريخ) ـ رسائل الثقافة البحرية رقم ٥٣ .
ـ دراسات فى تاريخ المماليك البحرية (القاهرة ١٩٤٤) .

زكى محمد حسن :

كنوز الفاطميين . (القاهرة ١٩٤٤) .

(*) ترجمت المراجع حسب ترتيب الأصل .

ابن عبد الظاهر :

تشريف الأيام (مخطوط المكتبة الأهلية بباريس عربى رقم ١٧٠٤)

ابن بطوطة :

تحفة النظار فى غرائب الأمصار . (طبع دفريمرى Defrémery وسانجوينتى (Sanguinetti باريس ١٨٧٤ – ١٨٧٩)

ابن دقماق :

كتاب الانتصار (طبع . س . فولرز (C-Vollers القاهرة المكتبة الخديوية ١٨٩٣ .

ابن فضل الله العمرى :

مسالك الابصار طبع . نشر أحمد زكى باشا ، القاهرة ١٩٢٤ .

– التعريف بالمصطلح الشريف . القاهرة ١٣١٢ .

ابن الفرات :

تاريخ الدول والملوك ، الجزء السابع – الجزء التاسع (طبع ك. زريك وعز الدين) . بيروت ١٩٣٦ – ١٩٤٢ .

ابن حبيب :

درة الأســـلاك فى دولة الأتراك ، طبع H.E. Weijers (فى مجلة Orientalia ، ١٨٤٦ ، الجزء الثانى صفحة ١٩٥ – ٤٩١ ، ٥٠٣ – ٥٩٥)

ابن حجر العسقلانى :

الدرر الكامنة (حيدر أباد ، ١٣٤٨ – ١٣٥٠)

ابن الحاج :

كتاب المدخل (القاهرة ١٩٢٩)

ابن أياس :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الجزء الأول – الثالث (طبع بولاق ١٣١١ – ١٣١٤) ، الجزء الثالث – الخامس (طبع P. Kahle و م . مصطفى استانبول ١٩٣١ – ١٩٣٦ ، ترجمة
G. Wiet, Histoire des Mamlouks Circassiens, t. II, pp. 872-906, (1945).

ابن الجيعان :

القول المستظرف فى سفر مولانا الملك الأشرف ، طبعة ف . لانزون V. Lanzone صفحة ٨٧٢ – ٩٠٦) ١٩٤٥ ، تورينو ١٨٧٨
(Viaggio in Palestina e Siria di Kaid Bai, Torino, 1878)
وترجمتها هـ. ديفونشير (قصة رحلة السلطان قايتباى

الى فلسطين وسوريا فى مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٢١ ، المجلد العشرين •)
(Relation d'un voyage du Sultan Qaitbay en Palestine et en Syrie, B.I.F.A.O., 1921, t. XX).

ابن كثير :
البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٤٨ وما بعدها •

ابن خلدون :
كتاب العبر (بولاق ١٢٨٤) •

ابن خلكان :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (بولاق ١٢٩٩)

ابن قاضى شهبه :
الاعلام بتاريخ الاسلام (مخطوط المكتبة الأهلية بباريس عـربى ١٥٩٨ ـ ١٦٠٠) •

ابن شحنه :
الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب • (طبع يوسف سركيس) بيروت ١٩٠٩) •

ابن تغرى بردى :
النجـوم الزاهـرة ، طبـع بـوبر Popper الجزء الخامس ـ السابع ، (بركلى Berkeley ١٩٠٩ ـ ١٩٣٣) ، (طبع • القاهرة ، الجزء السابع ـ التاسع ١٩٣٧ ـ ١٩٤٧) •
ـ حوادث الدهـور طبع بوبر Popper بركلى Berkeley ١٩٣٠ ـ ١٩٤٢ •
ـ المنهل الصافى، مخطوط باريس والقاهرة مختصره لجاستون فييت G. Wiet (فى المجلد التذكارى للمجمع المصرى ، المجلد التاسع عشر ، القاهرة ١٩٣٢) •
(Mémoires de l'Institut d'Egypte, t. XIX, Le Caire, 1932).

ابن الاخوة :
(معالم القربة فى أحكام الحسبة ، طبع ر • ليفى R. Levy لندن ، لوزاك وشركاه ١٩٣٨) •ذكرى أ•ح•ف• جب السلسلة الجديدة رقم ١٢
Ed. R. Levy, London, Luzac and Co., 1938, E.J.W., Gibb Memorial, N.S. XII.

ابن الوردى :

تتمه المختصر (القاهرة ١٢٨٥)

ابن زنبل :

فتح مصر (القاهرة ١٢٧٨) (طبعة حجر)

ابراهيم بن عبد الجبار :

الفريد فى تقييد الشريد (مخطوط المكتبة الأهلية ، باريس ، عربى رقم ٣٢٣٦)

خليل الظاهرى :

زبدة كشف الممالك طبعة ب · رافيس P. Ravaisse (باريس ١٨٩٤) ·

المقريزى :

المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (بولاق ١٢٧٠ ، · فيت Wiet نشر القاهرة ١٩١١ – ١٩٢٧

– السلوك لمعرفة دول الملوك (طبع زيادة) القسم الأول والثانى جزء ١ وجزء ٢ القاهرة (١٩٤٣ – ١٩٤٢) ·

وترجم بعضه Blochet فى Revue de l'Orient Latin المجلد السادس والثامن والتاسع باريس ١٩٠٨ كما ترجم بعضه Quatremère بعنوان Sultans Mamlouks باريس ١٨٣٧ – ١٨٤٥

مفضل بن أبى الفضائل :

كتاب النهج السديد طبع بلوشيه Blochet (باريس ١٩١١ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢٩ · فى مجموعة

Patrologia Orientalis, t. XII, XIV, XX.

الجزء الثانى عشر ، الرابع عشر ، العشرون

محمد بن منكلى (بغا) :

التدريبات السلطانية (مخطوط المتحف البريطانى رقم ٣٧٣٤ B.M. op.

مجير الدين :

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (القاهرة ١٢٨٣)

النويرى :

نهاية الأرب ، مخطوط ، ليدن رقم 2 n.

القلقشندى :

صبح الأعشى فى صناعة الانشاء (القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩١٩)
ـ ضوء الصبح (القاهرة ١٩٠٦)

الصفدى :

الوافى بالوفيات ، الجزء الأول ، طبع • ريتر Ritter (استانبول ١٩٣١) •
ـ تحفة ذوى الألباب فى من حكم بدمشق (مخطوط المكتبة الأهلية بباريس عربى رقم ٥٨٢٧)
ـ أعيان العصر (مخطوط برلين) Ahlwardt 9864.

السخاوى :

التبر المسبوك ، نشر أحمد زكى باشا (بولاق ١٨٩٦)
ـ الضوء اللامع ، القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ •

السيوطى :

حسن المحاضرة (القاهرة ١٢٩٩)
ـ تاريخ الملك الأشرف قايتباى (نشر A. Wahrmund (in Jahresbericht d.k.k. Oeffentl. Lehranstalt für Orient Sprachen, 1883, Wien, 1884, pp. 11-43, 16 p. of Arabic text).

صالح بن يحيى :

تاريخ بيروت نشر شيخو (بيروت ١٩٢٧) •

ج•ج• ثابت :

السيوف الشرقية القديمة وتحليتها بالجوهر
Le damasquinage des armes
(فى مجلة المشرق ١٩٠٠ الجزء الثالث صفحة ٥٧٧ ـ ٥٨٥ ، مع لوحة واحدة وشكلين) •
ـ فى سر صناعة الجوهر
Le secret des armes damasquinées
(فى مجلة المشرق ١٩٠٠ ، الجزء الثالث صفحة ٧٠٠ ـ ٧٠٦)

اليافعى :

مرآة الجنان (حيدر آباد ١٣٣٧ ـ ١٣٣٩) •

عبد الرحمن زكى :

بعض قطع الأسلحة الاسلامية فى استانبول (فى مجلة المقتطف عدد شهر ابريل ١٩٤٠ صفحة ٣٩٣ ـ ٣٩٧ مع ثلاث لوحات)

ثانيا : المراجع غير العربية
(يجب ملاحظة المختصرات التالية)

BIE = Bulletin de l'Institut Egyptien.

BIFAO = Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale.

BM = British Museum.

B. Mag. = Burlington Magazine.

BMMNY = Bulletin of the Metropolitan Museum, New York.

BN = Bibliothèque Nationale, Paris.

GBA = Gazette des Beaux-Arts.

JRAS = Journal of the Royal Asiatic Society.

ZDMG = Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft.

ZHWK = Zeitschrift für historische Waffen- und Kostümkunde.

b = from the bottom of the page.

Aga-Oglu, Mehmet : Catalogue of a loan Exhibition of Mohammedan Decorative Arts. Detroit, Institute of Arts, October, 1930.

—— On a Manuscript by al-Jazari (in Parnassus, Nov. 1931, vol. 3, p. 27 f., ill.).

Alarcón y Santón, Maximiliano, A., Ramón Garcia de Linares : Los Documentos árabes diplomaticos del Archivo de la corona de Aragón, editados y traducidos. Madrid-Granada 1940. Publicaciones de las de Escuelas arabes de Madrid y Granada, Serie C. Núm. I.

(Alexander) : Beschreibung der Meerfahrt zum H. Land Herzog Alexanders Pfaltzgraffen bey Rhein etc. vnd Graff Johann Ludwigs zu Nassaw... im Jahr 1945 vnd 1496 (in Feyrabend, Reyssbuch dess heyligen Lands, ist ed., Frankfurt a.M. 1584, fol. 30 a-47 a ; 2nd ed., 1609, pp. 55-86).

Ali b. 'Abd ar-Rahman b. Hudhail al-Andalusî : La Parure des cavaliers et l'insigne des preux, édité... par... Louis Mercier. Paris, Paul Geuthner, 1922, 1924.

Anet, Claude : Exhibition of Persian Miniatures at the Musée des Arts Décoratifs, Paris I (in B. Mag., 1912, vol. XXII, p. 16 pl. II F.).

Angelucci, Angelo : Catalogo della Armeria Reale, illustrato con incosioni in legno. Torino, 1890, XVI 614 p. III.

Anglure, Ogier d' : Le saint voyage de Jherusalem, éd. F. Bonnardot et A. Longnon. Paris, Société des anciens textes français, 1878.

Anonymous : Guida ufficiale della Reale Armeria di Torino. 4 ed., Torino 1915, ill.

Anonymous : Beiträge zur geschichte der Mamlukensultane, ed. Zetterstéen. Leiden 1919.

Arendt, W. : Uber die «wurmbunten» Klingen (in ZHKW, Sept. 1931, pp. 296-298).

Beiträge zur Entstehung des Sepangenharnisches : ein alttürkischer Waffenfund aus Kertsch (in ZHWK, 1932, N.F.IV, pp. 49-55, ill.).

—— Türkische Säbel aus den VII-IX Pahrhunderten (in Arcaeologia Hungarica, 1935, vol. 16, p. 48 ff).

Arnold, Sir Thomas Walker and Adolf Grohmann: The Islamic book: a contribution to its art and history from the VII-XVIII century. The Pegasus Press, 1929.

Artin Pacha, Yacoub : Un sabre de l'émir Ezbek el Yussufi el Zahery (900 H. = 1494).
(in BIE, année 1898, 3e serie, No. 9, pp. 249-259).

—— Contribution à l'étude du Blason en Orient, London, B. Quaritch, 1902, p. 120, 2 pls.

—— Les armes de l'Egypte aux XVe et XVIe siècles (in BIE 1906, publ. 1907, pp. 87-90, 4 pls.).

Atiya, Aziz Suryal : The Crusade in the Later Middle Ages. London, Methuen & Co., 1938.

— Egypt and Aragon, Embassies and diplomatic correspondence between 1300 and 1330 A.D., Leipzig, F.A. Brockhaus 1938. Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, XXIII, 7.

Backer, Louis de : L'Extrême-Orient au Moyen-Age. Paris, Ernest Leroux, 1877, pp. 165-253.

Bahgat, Ali Bey : Les manufactures d'étoffes en Egypte au Moyen-Age (in BIE, année 1903, publ. 1904, 4e série, no. 4, pp. 331-361, 1 pl.).

Bahgat, Ali Bey et Albert Gabriel : Fouilles d'Al Foustat. Musée de l'Art Arabe du Caire. Paris, E. de Boccard, 1921.

Balducci Pegolotti, Francesco : La pratica della mercantura, ed. by Allan Evans. Cambridge, Mass., The Mediaeval Academy of America, 1936.

Bar Herbraeus : Ta'rîkh mukhtasar ad-duwal, ed. Ant. Salhânî, Beyrouth 1890.

—— The Chronography of Gregory Abul-Faraj, trsl. from the Syriac by E.A. Wallis Budge, London 1932.

Barker, John : Method of renewing the Giohare or flowery grain of Persian swords commonly called Damascus blades (in Fundgruben des Orients, vol. V, 1816, pp. 40-44).

Bartholomeo di Pasi : Tariffa de pesi e mesure. Venice, 1503.

Bauer, L. : Kleidung und Schmuck der Araber Palästinas (in Zeitschrift des Deutschen Palästina — Vereins, 1901, Bd. XXLV, pp. 32-38).

Baumgarten : Martini a Baumgarten in Braitenback... Peregrinatio in Aegyptum, Arabiam, Palaestinam et Syriam... edita studio et opera Christophori Donaveri... Noribergae, Gerlach, 1594, 173 p.

—— Die Reise Ritter Martin Baumgartner's von Breitenbach ins Heilige Land 1507 und sein Lebensbild von Dr. Matthias Mayer (in Tiroler Heimatschriften, Bd. 4) Kufstein, Verlag Ed. Lippott, 1931, 24 p.

Beck, Ludwig : Die Geschichte des Eisens in technischer und kulturgeschichtlicher Beziehung. Braunschweig, F. Vieweg und Sohn. 1884.

Belaiew, Nicholas T. : Ueber Damast (in Metallurgie, 1911, Jgg. VII, pp. 449-456, St. Petersbourg, 1906.

—— Damast, seine Struktur und Eigenschaften (in Metallurgie, 1911, Jgg. VII, pp. 699-704, 2 pls.).

—— Damascene Steel (part I in Journal of the Iron and Steel Institute, 1918, pp. 417-437; Part II, ibid., Proceedings, 1921, pp. 181-184, pls. XVII f.).

—— The Structure of steel (in Aeronautics, 1920, vol. XIX, pp. 347-349.

—— Damascene Steel and modern Steel (in Nature, 1921, p. 248 f.) Abstract of his article in Proceedings, Iron and Steel Institute, 1921.

—— The Russian contribution in the nineteenth century to the metallurgy of Steel (in Journal of the Royal Society of Arts, 1921, vol. 69, pp. 833-836).

—— Crystallisation of metals, London, 1923. pp. 137-141 : Damascene process.

Belaiew, Nicholas T. : O bulatye i kharlugye (in Recueil d'études dédiées à la mémoire de N.P. Kondakov, Prague, 1926, pp. 155-186, ill.).

—— On Damascene steel «Taban» and «Khorassan» (in World Engineering Congress, Tokyo, 1929, Paper No. 87, 3 p., I pl.).

Belon du Mans, Pierre : Portraits d'oiseaux, animaux, serpents, herbes, arbres, hommes et femmes d'Arabie et d'Egypte, Paris, Guillaume Cavellat, 1557.

Berchem, Max van (und) Josef Strygowski : Amida, Heidelberg, C. Winter, 1910.

Binyon, Laurence, J.V.S. Wilkinson and Basil Gray: Persian Miniature Painting. London, 1933.

Björkman, Walter : Sirwâl (in Enc. Islam. s.v., Engl., ed. p 452), *Tâdj* (ib. p. 596), *Turban* (ib. p. 885).

Blauensteiner, Kurt : Zur Entwicklung der Bildform in der islamischen Miniaturenmalerei (in Die Graphischen Künste, 1936, NS. Bd. I, pp. 41-56, 13 figs.).

Blell, Theodor : Der Tartarenhelm von Georgenburgkehlen (in Sitzungsberichte d. Altertumsgesellschaft Prussia zu Königsberg, XXXVIII. Vereinsjahr, 1883, pp. 51-53).

Blochet, Edgar : Peintures de manuscrits arabes à types byzantins (in Revue Archéol., 1907, IVe ser., t. IX, pp. 193-223, 10 figs.).

—— Notices sur les manuscrits persans et arabes de la collection Marteau (in Notices et Extraits, 1923, t. 41, pp. 299-307).

—— Les Enluminures des manuscrits orientaux turcs, arabes persans de la Bibliothèque Nationale. Paris, 1926.

—— Musulman Painting, trsl. by Cicely M. Binyon, with an intruduction by Sir E. Denison Ross. London, Methuen & Co., 1929.

Boeheim, Wendelin : Handbuch der Waffenkunde. Das Waffenwesen in seiner historischen Entwicklung vom Beginn des Mittelalters bis zum Ende des 18. Jahrhunderts. Waffenwesen Leipzig, E.A. Seeman, 1890, 80, VIII + 695 p., ill.

—— Album hervorragenderé Gegenstände aus des Waffensammlung des Allerhöchsten Kaiserhauses. Wien, J. Löwy, 1894, 2 + 29 p., 50 pls.

Bonaparte, Lucien : Antiquités, armures anciennes, armes orientales et modernes, tapisseries, etc., Paris, 1833.

Born, Wolfgang : Early European Automatons. I (in The Connoisseur, vol. C, No. 433, September, 1937, pp. 123-129, 10 figs.) ; II (ibid., vol. C, No. 435, November, pp. 246-252, 12 figs.).

Bouvat, L. : Essai sur la civilisation timouride (in JA, 1926, t. 208, pp. 193-299, esp. pp. 267, 290 f., 298 f.).

Breydenbach, Bernard von : Peregrinationes in Terram sanctam. Moguntiae, Erhard Reuwich, 1486.

Broquière, Betrandon de la : Le Voyage d'Outremer... publié et annoté par Ch. Schéfer. Paris, E. Leroux, 1892, LXXVIII + 323 p., I pl.

Bruhn, Wolfgang (and) Max Tilke : Das Kostümwerk. Berlin, Ernst Wasmuth, 1941.

Buchthal, Hugo : Three illustrated Hariri manuscripts in the British Museum (in B. Mag., 1940, vol. 77, pp. 144-152, 2 pls.).

—— Otto Kurz and Richard Ettinghausen : Supplementary notes to K. Holter's Check List of Islamic Illuminated Manuscripts before A.D. 1350 (in Ars Islamica, 1940, vol. VII, pp. 147-164).

Burton, Richard F. : The Book of the sword. London, Chatto and Windus, 1884, pp. 1 + XXXIX + I + 299, 293 figs. ; 2nd ed., London, 1890.

Buttin, Charlas : La Collection du général Moser A. Charlottenfels (in Les Arts, 1912, No. 121, pp. 12-19, ill.).

Cahen, Claude : Un traité d'armurerie composé pour Saladin (in Bull. d'études orientales, 1947-48, t. 12, pp. 103-163, ill.).

Canard, M. : Une lettre du Sultan Malik Nasir Hasan (in Annales de l'Institut d'Etudes Orient., Alger, 1937, t. 3, p. 35, N. 1).

Casola, Pietro : Pilgrimage to Jerusalem in 1494 by M.M. Newett, Manchester, 1907.

Caumont, Nompar de : Le Voyage d'Outremer en Jérusalem... l'an 1418, publié par le marquis de la Grange. Paris, A. Aubry, 1858.

Chau Ju-Kua : His work on the Chinese and Arab trade in the twelfth and thirteenth centuries, entitled Chu-fan-chi, translated from the chinese and annotated by Friedrich Hirth and W.W. Rockhill. St. Petersburg, Imp. Acad. of Sciences, 1911, X + 288 p., I map.

Chehab, Maurice : Le Costume au Liban (in Bulletin du Musée de Beyrouth, 1942-1943, vol. VI, pp. 47-79, pls. III-XXVI).

Chesnel, Marquis Adolphe de : Dictionnaire des armées de terre et de mer, encyclopédie militaire et maritime. Paris, A. Le Chevalier, 1862-1864.

Clermont-Ganneau, Charles : Sur quelques noms de vêtements chez les Arabes de Palestine (in Recueil d'Archéologie Orientale, 1901, t. IV, para. 54, p. 264).

Combe, Etienne and A.F.C. de Cosson : European swords with Arabic inscriptions from the armoury of Alexandria (in Bulletin de la Société Royale d'Archéologie d'Alexandrie, 1937, No. 31, pp. 225-246, ill.).

Combe, Etienne : Nouveaux sabres européens à inscriptions arabes de l'arsenal d'Alexandrie (ibid., 1938, No. 32, pp. 158-161, 1 Fig.).

Coomaraswamy, Ananda K. : The treatise of al-Jazari on automata. Boston, 1924.

—— Les miniatures orientales de la collection Goloubew au Museum of Fine Arts de Boston... avec un avant-propos de Victor Goloubew. Paris et Bruxelles, G. van Oest, 1929, Ars Asiatica, vol. XIII.

Creswell, K.A.C. : Dr. F.R. Martin's MS «Treaties on Automata» (in the Yearbook of Oriental Art and Culture, 1924-

1925, vol. I, pp. 33-40, pls. 23-26).

Dallegio d'Alessio, E. : Les armes des Croisés au Musée Militaire de Stamboul (in Echos d'Orient, Oct., Dec. 1926, pp. 453-7, 3 figs.).

Daumas, Eugène : Principes généraux du cavalier arabe. Paris, L. Hachette, 1854, 61 p.

Davies, Hugh Wm. : Bernhard von Breydenbach and his journey to the Holy Land 1483-4. London 1911.

Dean, Bashford : Handbook of Arms and Armor, European and Oriental. 4th ed. revised by Stephen V. Grancsay. New York, 1930.

Demmin, August : Die Kriegswaffen in ihren geschichtlichen Entwickelungsstufen von den ältesten Zeiten bis auf die Gegenwart. 3. Auflage, Gera, F.E. Köhler, 1891, IV + 1110 p., ill.
The English translation by Black (1870-1877) was made from the first edition.

—— Ergänzungsband für die vier Auflagen de Kriegswaffen in ihren geschichtlichen Entwickelungsstufen. Wiesbaden, 1893, 235 p.

Desmottes : Catalogue des objets d'art et de haute curiosité... vente... Hotel Drouot... Mars 1900. 76 p., 10 pls. en phototypie.

Diehl, Charles : La peinture orientaliste en Italie au temps de la Renaissance (in Revue de l'art ancien et moderne, vol. 19, 1906, pp. 5-16, 143-56, ill.).

Dillon, Viscount : Illustrated guide to the Armouries, Tower of London. London, H.M. Stationery Office, 1910.

Dimand, M.S. : Handbook of Muhammedan Decorative Arts. New York, 3rd. ed.

Dozy, Reinhart P.A. : Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amsterdam, J. Müller, 1845 VIII + 446 p. [Quoted as Vet. or Vêtements].

Dreger, Moriz : Künstlerische Entwicklung der Weberei und Stickerei innerhalb des europäischen Kulturkreises von der spätantiken, Zeit bis zum Beginne des XIX. Jahrhunderts, mit Ausschluss der Volkskunst. Wien, Oest. Museum f. Zunst und Industrie, 1904, 3 vols.

Ehrenthal, M. v. : Führer. Königliches Historisches Museum. Dresden, 1899.

Errera, Isabelle : Collection d'anciennes étoffes réunies et décrites... Bruxelles, Falk fils, 1901, 199 p.

—— Collection de broderies anciennes. Bruxelles, H. Lamertin, 1905.

—— Collection d'anciennes étoffes Egyptiennes. Bruxelles, H. Lamertin, 1916, IV + 211 p., 454 figs.

—— Catalogue d'étoffes anciennes et modernes, 3rd ed., Bruxelles, Vromant & Co., 1927.

Faber, Felix : Evagatorium in Terrae Sanctae, Arabiae et Egypti peregrinationem, ed. C.D. Hassler. Stuttgart, Lit. Verein, 1843-1849.

Falke, Otto v. : Kunstgeschichte de Seidenweberei. Berlin, Ernst Wasmuth, 1913.

—— Ein Bischofstab islamischer Arbeit und seine Verwarndten (in Pantheon, 1935, Bd. XVI, pp. 266-270, 9 figs.).

—— Decorative Silks. London, A. Zwemmer, 1936 (3rd ed.).

Favé, Ildefonse : Etudes sur le passé et l'avenir de l'artillerie. Tome 3. Histoire des progrès de l'artillerie. Paris. J. Dumaine, 1862.

Farès, Bishr : Une miniature nouvelle de l'école de Bagdad datée 614 Hég./1217-8 figurant le Prophète Muhammad (in BIE, 1947 for session 1945-1946, t. XXVIII, pp. 259-262, 3 pls.).

—— Une miniature religieuse de l'Ecole Arabe de Bagdad, son climat, sa structure et ses motifs, sa relation avec l'iconographie chrétienne d'Orient. Le Caire, 1948, XIX, 106, 39 p. in Arabic, 32 pls., 30 figs. Mémoires présentés à l'Institut d'Egypte, t. 51.

Ffoulkes, Charles : The Armourer and his craft. London, Methuen & Co., 1912.

Fiamma, Galvaneo : Chronicon Extravagans, ed. Ant. Ceruti. Turin, 1869.

Fleischer, H.L. : Arabische Inschriften. I. (in ZDMG, 1859, XIII, pp. 267-270, 727, 1 fig. = Kleine Schriften, III, pp. 450-453, Taf. VI).

Flemming, Ernst : An Encyclopaedia of textiles from the

earliest times to the beginning of the 19th century. London.

Frauberger, Heinrich : Antike und frühmittelalterliche Fussbekleidungen aus Achmim-Panapolis. Düsseldorf (1896).

Frescobaldi, Lionardo di Niccoló : Viaggio... in Egitto e in Terra Santa, ed. Manzi. Roma, C. Mordacchini, 1818, XIV + 198 p.

Garcin de Tassy : Notice sur des vêtements avec des inscriptions arabes, persanes et hindoustanis (in JA, 1838, 3 sér., t. V. pp. 331-350, avec 2 pls.).

Gaudefroy-Demombynes, Maurice : La Syrie à l'époque des Mamelouks d'après les auteurs arabes. Paris, 1923.

Gayet, Albert : L'art arabe. Paris, Librairies-Imprimeries réunies, 1893, 316 p., ill.

—— Le costume en Egypte du IIIe au XIIIe siècle d'après les fouilles. (Exposition Universelle de 1900. Palais du Costume). Paris, E. Leroux, 1900, 252 p., ill.

Georgius Gemnicensis : Ephemeris sive diarium peregrinationis transmarinae, videlicet Aegypti, Montis Sinai, Terrae Sanctae ac ultimo Syriae Anno Domini 1507 et sequenti (in Pezius, Thesaurus anecdotorum novissimus, t. II, 3e partie, col. 455-640, Augustae Vindelicorum et Graecii, Veith Brothers, 1721).

Ghali, Wassif Boutros : La tradition chevaleresque des Arabes. Paris, Plon-Nourrit.

Ghistele, Joos van :Voyage. Ghendt, 1572, pp. 28-31.

Gille, Florent A. de : Musée de Tzarskoé-Sólo ou Collection d'armes de Sa Majesté l'Empereur de toutes les Russies. Ouvrage composé de 180 planches lithographiées par Asselineau d'après les dessins originaux de A. Rockstuhl... Avec une introduction historique par Flort, Gille. St. Pétersbourg-Carlsruhe. 1835-1853, 2 vols. of plates, 1 vol. of text.

—— Notice sur une armure tartare existant au Musée de S.M. l'Empereur à Tzarskoé-Séle (in Mémoires de la Société d'Archéologie et la Numismatique de St. Pétersbourg, 1841, vol. I, pp. 113-120, pl. VII).
Identical with :

—— Otatarskom vooruzhenii Khranyaschchemsyav Muzeumye.. v. Tsarskem Selye (in Zapiski Sankt-Peterburgskavo Arkheologichesko-Numizmatichesskavo Obshchestza, 1849, t. I, pp. 43-51, pl. IV).

—— Notice sur le Musée. deTsarskoé Sélo renfermant la collection d'armes de Sa Majesté l'Empereur. St. Petersbourg, 1860.

Gilles de la Tourette, François : L'Orient et les peintres de Venise. Paris, Ed. Champion, 1923.

Glidden, Harold W. : A Note on the Automata of al-Djazari in Ars Islamica, 1936, vol. 3, p. 115 f.).

Glück, Heinrich und Ernst Diez : Die Kunst des Islam. Berlin, 1925.

Götz, Hermann : (in ZHWK, 1923-25, N.F.I., p. 104 f., ill.). In answer to Gaerte, Ein altpreussischer Helm (ibid., p. 41 f., pl. III). (About a Mongol Helmet discovered near königsberg i/P.).

Grancsay, Stephen V. : A loan Collection of Oriental armour (in BMMNY, 1928, XXIII, p. 129).

Gray, Basil : Islamic charm from Fostat (in British Museum Quarterly, 1934-35, vol. IX, p. 130 f., pl. XXXVII).

Grosz, A., und Thomas, B. : Katalog der Waffensammlung in der Neuen Burg. Schausammlung. Wien. 1936, 24 pls. and plans.

Grünemberg : Ritter Grünembergs Pilgerfahrt ins Heilige Land 1486, hggb. und übersetzt von Johann Goldfriedrich und Walter Fränzel. Leipzig, 1912, 139 p., 24 figs. Voigtländers Quellenbücher, Bd. 18.

Gucci, Giorgio : Vaggio al Luoghi santi, 1384-85 (in Gargiolli, Viaggi in Terra Santa, Firenze, Barbera, 1862, pp. 271-438).

Guest, A. Rhuvon : Notice of some Arabic inscriptions on textiles at the South Kensington Museum (in JRAS, 1906, p. 395 f., pl. III).

—— Further Arabic Inscriptions on Textiles (II) (in JRAS, 1923, pp. 405-407, pl. V).

Gugligens, Walther von : Itinerarium in Terram Sanctam et ad Sanctam Catharinam, ed. Sollweck. Stuttgart, Litt. Verein, 1892.

Gürtler, W. : Vom Problem des alten Damaszenerstahls (in International Journal of Metallography, 1914, vol. 5, p. 129).

Haenel, Erich : Alte Waffen. Berlin, 1913.

Hakky Bey : Catalogue des objets d'art et de haute curiosité... composant la collection Hakky Bey... Vente... Hôtel Drouot... 5-10 mars 1906, (pp. 64-77) : Bronzes orientaux).

Hammer-Purgstall, Joseph : Inschrift eines Helmes und eines Rauchgefässes aus dem K.K. Armbraser Kabinete (in Fundgruben des Orients, 1818, Bd. VI., pp. 319-320, 1 pl.).

—— Von der Inschriftverbrämung der Kleider als Souveränitätsrecht der Frauen im Morgenlande (in Sitzungsberichte d. Akademie d. Wissensch., Wien, 1849, Feft V, pp. 14-24).

—— Sur les lames des Orientaux (in JA, 1854, 5e sér., t. 3, pp. 66-80).

—— Les ordonnances égyptiennes sur les costumes des chrétiens et des juifs au commencement du XIVe siècle, tirées de l'Histoire de Nouweiri (ibid., 1855, 5e sér., t. V, pp. 393-396).

Harari, R.A. : Metalwork (in Survey of Persian Art, ed. by A.U. Pope. Oxford, 1939, vol. III, pp. 2466-2529).

Harff, Arnold von : Die Pilgerfahrt von Coeln Durch Italien, Syrien, Aegypten, Arabien, Aethiopien, Nubien, Palaestina, die Tuerkei, Frankreich und Spanien, wie er sie in den Jahren 1496-1499 vollendet. Nach den aeltesten Handschiften u.m. deren 47 Bildern in Holzschnitt hergg. von E. von Groote. Cöln, 1860, LI + 280 p.

Harnecker, K. : Damaszenerstahl (in ZHWK, 1926, N.F. 2, pp. 58-60, 3 figs.).

Hartrick, W.B. : The romance of King Edward's swords (in The Strand Magazine, 1905, vol. XXX, pp. 253-259, 14 figs.).

Hautecoeur, Louis, et Gaston Wiet : Les Mosquées du Caire. Paris, 1932.

Heiden, Max : Handwörterbuch der Textilkunde aller Zeiten und Völker. Stuttgart, 1904.

Hendley, Thomas Holbein : Damascening on steel and iron, as practised in India. London, W. Griggs, 1892, 18 p., 32 pls.

Henne am Rhyn, Otto : Kulturgeschichte der Kreuzzüge. Leipzig F. Friesenhahn, 1895, 302 p., ill. Illustrierte Bibliothek der Kunst- und Kulturgeschichte, Bd. 5.

Herz Bey, Max : Catalogue raisonné des monuments exposés dans le Musée National de l'Art arabe. Deuxième édition. Le Caire, 1906.

—— Armes et armures arabes (in BIFAO, 1910, t. VII, pp. 1-14, pls. I-VIII).

Herz, Miksa (=Max) : Az iszlám müvészete (in Zsolt v. Beöthy : A müvészetek története, Budapest 1906/7, t. II, pp. 103-262, 20 pls., ill.).

Heyd, Wilhelm : Geschichte des Levantehandels im Mittelalter. Stuttgart, J.G. Cotta, 1879.

—— Histoire du commerce du Levant au Moyen-Age. Edition Française refondue et... augmentée. Publ... par Furcy Raynaud. Leipzig, Otto Harrassowitz, 1885-1886.

Holter, Kurt : Die islamischen Miniaturhandschriften Vor 1350 (in Zentralblatt für Bibliothekswesen, 1937, vol. LIV, pp. 1-34).

—— Die Frühmamlukische Miniaturmalerei (in Die Graphischen Künste, 1937, NF., vol. II, No. I, pp. 1-14, 14 figs.).

—— Die Galenhandschrift und die Makamen des Hariri der Wiener Nationalbibliothek (in Jahrbuch der Kunsthist. Sammlungen in Wien, 1937, N.F. XI, pp. 1-48, 45 figs., 6 pls.).

—— Les principaux manuscrits à peintures de la Bibliothèque Nationale de Vienne. Deuxième partie. Section des manuscrits orientaux (in Bulletin de la Société Française de reproduction de manuscrits à peintures, Paris, 1937, vol. XX, pp. 85-150, pl. XVII-XXXI).

—— cf. also Buchthal, Kurz und Ettinghausen.

(Homberg) : Catalogue des objets d'art et de haute curiosité... composant la collection de.. O. Homberg... vente... Galerie... Georges Petit... 11 au... 16 mai 1908.

Hughes, Thomas Patrick : A dictionary of Islam. London, W.H. Allen & Co., 1885.

Jacquemart, Albert : Exposition de l'Union Central (des Arts Décoratifs, Paris, 1947). Histoire du costume. Salles Orientales (in GBA, 1875, t. I, pp. 45-69, ill.

Jacques de Vérone : Le Pèlerinage, ed. R. Röhricht (in Revue de l'Orient Latin, 1895, t. III, pp. 155-302).

Jähns, Max : Handbuch einer Geschichte des Kriegswesens von der Urzeit bis zur Renaissance. Technischer Teil : Bewaffnung, Kampfweise, Befestigung, Belagerung, Seewesen. Nebst einem Atlas von 100 Tafeln. Leipzig, 1880, XLIV + 1288 p.

—— Entwicklungsgeschichte der alten Trutzwaffen. Mit einem Anhange über die feuerwaffen. Berlin, Mittler & Sohn, 1899, XIII + 401 p., 40 pls.

Joinville, Jean, Sire de : Histoire de Saint Louis, ed. Natalis de Wailly, Paris, Firmin Didot, 1874. Engl. trsl. by Joan Evans, Oxford, 1938.

Jouin, Jeanne : Le costume féminin dans l'Islam Syro-Palestinien (in Revue des Etudes islamiques, 1934, Cahier IV, pp. 481-505, 8 plates). Reprinted in 1935.

Kaemmerer, Georges de : Arsenal de Tsarskoé-Sélo, ou collection d'armes de Sa Majesté l'Empereur de toutes les Russies, St. Pétersbourg, A.A. Ilim et N.K. Flige, 1869, 86 p., pls.

Karabacek, Joseph v. : Einige Notizen über arabische Stoffe, welche zu liturgischen Gewändern im Mittelalter Verwendung fanden (in Anzeiger für Kunde der Deutschen Vorzeit, 1870, N.F., Bd. VII, Sp. 49-51).

—— Die Liturgischen Gewänder mit arabischen Inschriften in Danzig (in Mitteil. d.k.k. Oest. Museums für Kunst und Industrie, 1875).

—— Ueber das angebliche Bilderverbot des Islam (in Kunst und Gewerbe, Nürnberg, 1876, pp. 281-283, 289-291, 297-299, 307 f., 315-317, 332 f.).

—— Ueber einige Benennungen mittelalterlicher Gewebe (in Mitteilungen des k.k... Oster. Mus. für kunst und Industrie, 1879, Bd. VII, Jgg. XIV, pp. 273-283, 301-309, 343-349; 1880, Bd. VIII, Jgg. XV, pp. 77-86, 97-103, 1 pl., 1 fig.).

—— Die persische Nadelmalerei Susandschird, ein Beitrag zur Entwicklungsgeschichte der Tapisserie de Haute lisse. Leiépzig, E.A. Seemann, 1881, VIII + 208 p., ill.

— (In Jahrbuch des heraldisch-genealogischen Vereines Adler in Wien, 1881, VI, und VII. Jgg., p. 166 f.).

— Katalog des historischen Ausstellung der stadt Wien. Wien 1883.

— Ein arabisches Reiterbild des X. Jahrhunderts (in Mittheilungen aus der Sammlung des Papyrus Erzherzog Rainer, 1889, Bd. V, p. 123 f., I fig.).

— Papyrus Erzzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung. Wien 1894.

— Zur orientalischen Altertumskunde. II. Die arabischen Papyrusprotokolle. Wien, 1908, pp. 22-28 Sitzungsberichte d. kais. Akad. d. Wiss., Wien, philoshist. Klasse, Bd. 161, Abh. I.

— Abendländische Künstler zu Konstantinopel im XV. u. XVI. Jahrhundert. I : Italienische Künstler am Hofe Muhammeds II. des Eroberers, 1451-1481. Wien, 1918, VI + 89 p., 9 pls., 55 figs. in text. Denkschriften d. Kais. Akad. d. Wissensch., Wien, Philos.-Histor. Klasse, Bd 62, Abh. I.

Karwath., J. : Zwei pharmazeutische Kostbarkeiten der Wiener N.B. : Der griechische Dioskurides... und der arabische Galen (in Pharmazeutische Monatshefte, 1924, No. 4, pp. 4 und 5).

Kelly, F.M. : Chain Mail (in Apollo, November 1931, vol. 14, pp. 264-270, ill.).

Kendrick, A.F. : Catalogue of Muhammadan Textiles of the Medieval Period. London, Victoria and Albert Museum, 1924.

Kenner, Fridrich : Die Porträtsammlung des Erzherzogs Ferdinand von Tirol (in Jahrbuch der Kunsthistorischen Sammlungen des Allerhöchsten Kaiserhauses, 1898, Bd. 19, pp. 135-137).

Kienbusch, Carl Otto v. (and) Stephan V. Grancsay : The Bashford Dean collection of arms and armor in the Metropolitan Museum af Art. Portland, Maine, Southworth Press, 1933.

Klemm, Gustav Friedrich : Das Morgenland. Leipzig, 1849.

(Krafft, Hugues :) Objets d'art d'Orient... et d'Extrême-

Orient.... vent... Hôtel Drouot... 26 et 27 Février 1925, III + 33 p., 10 pls. With preface : La collection de M. Hugues Krafft by Raymond Koechlin.

Kremer, Alfred von : Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen. Wien, 1875-77.

Kühnel, Ernst : Die Miniaturmalerei im islamischen Orient. Berlin. Bruno Cassirer, 1922.

— Islamische Stoffe aus ägyptischen Gräbern in der Islamischen Kunstabteilung und in der stoffsammlung des Schlossmuseums. Berlin, Ernst Wasmuth, 1927.

— Die islamische Kunst (in Anton Springer, Handbuck der Kunstgeschichte, vol. VI, Leipzig, 1929, p. 471 f.).

— Zwei Mosulbronzen und ihr Meister (in Jahrbuch der preuss. Kunstsammlungen, 1939, Bd. 60, pp. 1-20, 15 figs., 2 pls.).

Laking, Sir Guy Francis : A Catalogue of the Armour and Arms in the Armoury of the Knights of St. John of Jerusalem now in the Palace, Valetta, Malta. London, Bradbury, Agnew and Co., 1903.

— A record of European Armour Through Seven Centuries. London, 1920-1925.

Lamm, Carl Johan : Mittelalterliche Gläser und Steinschnittarbeiten des Nahen ostens. Berlin, 1930.

— Arabiska inskrifter pa nagra textilfragment fran Egypten (in Rohsska Konstslojdrmuseets Arstryck, 1935, pp. 45-55, ill.).

— Cotton in Mediaeval textiles of the Near East. Paris, 1937.

— Some Mamluk embroideries (in Ars Islamica, 1937, vol. IV, pp. 65-76).

— Mamluksiden (in Malmo Musei Vänner, Arsbok, 1938, I, pp. 4-11, 8 figs.).

— Dated or detable tirâz in Sweden (in Le Monde Oriental, 1938, publ. 1939, t. XXXII, p. 103 ff.).

Lane, Edward William : An account of the manners and customs of the modern Egyptians, written in Egypt during the years 1825, 26, 27 and 28. Vol. 1-2, 5th edition, with

additions, ed. by Edward Stanley Poole. London, 1871, XXLII + 386 p., VIII + 379 p.

Langlois, Victor, Lettre... sur le sabre de Léon VI de Lusignan, dernier roi arménien de la Cilisie (in JA, 1860, 5 sér., t. XVI, pp. 259-264).

Lannoy, Ghillebert de : Oeuvres... recueillies et publiées par Ch. Potvin. Louvain, 1878. Voyages et ambassades 1421-1423.

Laurent, J.C.M. : Peregrinatores Medii aevi quatuor. Lipsiae, J.C. Hinrichs, 1864.

Lavoix, H. : Les Arts Musulmans, de l'emploi des figures (in GBA, 1875, 2e pér., t. XII, pp. 97-133, 312-321, 423-437).

Le Coq, A. von : Bilderatlas zur Kunst- und Kulturgeschichte Mittel-Asiens. Berlin, 1925.

Lefebvre des Noëttes : L'Attelage. Le Cheval de Selle à travers les âges. Paris, 1912.

Lengherand, Georges : Voyage à Venise, Rome, Jérusalem, Mont Sinay et le Kayre (1485-86) publié par le Marquis de Godefroy-Ménilglaise. Mons, 1861.

Lenz, Eduard v. : Eine Betrachtung über den Handschutz an orientalischen Blankwaffen (in ZHWK, 1897-99, vol. I, pp. 286-288).

— Perlen in Klingen eingeschmiedet (in ZHWK, 1900-1902, vol. 11, p. 48 f., 1 fig.).

— Mitteilungen aus der Renaissance-Abteilung der Kaiserlichen Ermitage zu St. Petersburg. V. Stufen-Damast (in ZHWK, 1900-1902, vol. II, pp. 231-232, 5 figs.).

— In Russland gefundene frühmittelalterliche Helme. Berlin, 1924. I. Beiheft der Zeitschrift f. historische Waffen- und Kostümkunde.

Leo Africanus : Description de l'Afrique, tierce partie du monde escrite par Jean Léon Africain... mise en français. Nouvelle édition annotée par Ch. Schefer. Paris, E. Leroux, 1896-1898.

Lessing, Julius : Die Gewebe-Sammlung des Kgl. Kunstgewerbe-Museums. Berlin, Ernst Wasmuth, 1913.

Levy Reuben : Notes on costumes from Arabic sources (in JRAS, 1935, pp. 319-338).

Lichtenstadter, Ilse : The Distinctive Dress of Non-Muslims in Islamic Countries (in Historia Iudaica, 1943, vol. V., pp. 35-52).

Löfgren, Oscar : Ambrosian fragments of an illuminated manuscript, containing the zoology of al-Gâhiz... with a contribution : The Miniatures : their origin and style by Carl Johan Lamm. Uppsala, Universitets Arsskrift, 1946, vol. 5, 39 p., 24 pls.

Lorey, Eustache de : Peinture musulmane ou peinture iranienne (in Revue des Arts Asiatiques, 1938, t. 12, pp. 20-31, pls. XV-XXII).

Ludolphus de Sudheim : De itinere Terre Sancte, ed. G.A. Neumann (in Archives de l'Orient Latin, 1884, t. II, Documents, pp. 305-377).

Ludwig, G., e P. Molmenti : Vittore Carpaccio. La vita e le opere. Milano, 1906.

Luynes, Honoré duc de : Mémoire sur la fabrication de l'acier fondu et damassé. Paris, Firmin-Didot, 1844, 23 p., pl.

Macalister, R.A.S. : Gleanings from the minute-books of the Jerusalem Literary Society (in Quarterly Statements, Palestine Exploration Fund, 1908, vol. 40, pp. 52-60).

Machaut, Guillaume de : La prise d'Alexandrie, ed. de Mas Latrie. Genève, 1877.

Macoir, Georges : Casque au nom du Sultan Mohammed en-Nâssir (in Bulletin des musées royaux, Bruxelles, Sept. 1909, No. 9, pp. 70-72, 1 fig.).

— Le Musée Royal d'Armes et d'Armures de la Porte de Hal à Bruxelles (in Annales de la Société Royale d'Archéologie de Bruxelles, 1927, publ. 1928, t. XXXIII, pp. 67-111).

(Macomber :) The Frank Gair Macomber, collection of arms, armor, tapestries, paintings, objects of art. Public sale December 10, 11 and 12... Amer. Art. Ass., Anderson Galleries... 1936.

Maindron, G.R. Maurice : Les Armes. Paris, 1890. Bibliothèque de l'Enseignement des Beaux-Arts.

Manchester, City Art Gallery : The Egerton Collection of Oriental Armour, 64 p.

Mandeville, Sir John : Travels, London, Macmillan and Co., 1900.

Mannowsky, Walter : Der Danziger Paramentenschatz. Kirchliche Gewänder und Stickereiem aus der Marienkirche. Berlin, Brandus, 1931-1938.

Marçais, Georges : Le Costume Musulman d'Alger (in 1830-1930. Collection du centenaire de l'Algérie, Archéologie et Histoire). Paris, Librairie Plon, 1930, 134 p., XXXVIII pls. (Partly col.), ill.

Markow, A.K. : Tatarskiy shlem naydenniy na Kulikovom polye (in Vyestnik Arkheologii i Istorii, izd. Arkh. Institutom, St. Petersburg, 1885, fasc. 3, pp. 63-66).

Marle, Raimond van : The Development of the Italian Schools of Painting. The Hague, Martinus Nijhoff, 1923-1938.

Marquet de Vasselot, J.-J. : Un portrait de sultan, par un émailleur limousin du XVIe siècle (in Mélanges offerts à M. Henry Lemonnier, 1913, pp. 93-104, 2 pls., 1 fig.).

Marteau, Georges et Henri Vever : Miniatures persanes... exposées au Musée des Arts Décoratifs. Paris, Bibliothèque d'Art et d'Archéologie, 1913.

Martin, F.R. : Aeltere Kupferarbeiten aus dem Orient... Stockholm, 1902.

— A History of Oriental Carpets before 1800. Vienna, 1908.

— The Miniature Painting and Painters of Persia, India and Turkey from the 8th to the 18th century. London, 1912.

Martin, H. Desmond : The Mongol Army (in JRAS, 1934, pp. 52 f., 83).

Martoni, Nicolas de : Relation du pèlerinage à Jérusalem, ed. Léon Le Grand (in Revue de l'Orient Latin, 1895, t. III, pp. 566-669).

Mayer, L.A. : Al-azyâ'fi-l-ayyám al-wustà (in al-Kulliyya, Beyrouth, 1932, pp. 438-449).

— Zum Titelblatt der Automaten Miniaturen (in Orientalistische Literatur-Zeitung, 1932, Jgg. XXXV, col. 165 f.).

— Huit objets inédits à blasons mamluks (in Mélanges Maspero, 1935, t. III, pp. 97-104, 1 pl.).

— A new heraldic emblem of the mamluks (in Ars Islamica, 1937, vol. IV, pp. 349-351, 1 pl.).
— The Status of the Jews under the Mamluks (in Magnes Anniversary Book, 1938, pp. XXVII-XXVIII, abridged trsl. from the Hebrew, ibid., pp. 161-167).
— A Hitherto Unknown Damascene Artist (in Ars Islamica, 1942, vol. IX, p. 168, 1 fig.).
— Tilbosheth Hay-Yehûdîm bi-teqûfat ham-Mamlûkîm (in Studies in Memory of Gulak and Klein, Jerusalem, 1942, pp. 115-118, pl. 2).
— Saracenic Arms and Armour (in Ars Islamica, 1943, vol. X, pp. 1-12, 17 figs.).
— Some Remarks on the Dress of the Abbasid Caliphs in Egypt (in Islamic Culture, 1943, vol. XVII, pp. 36-38).
— Costumes of Mamluk Women (ibid., 1943, vol. XVII, pp. 298-303).

Mehren, A.F.M. : Arabische Klingeninschrift (in ZDMG, 1863, Bd. XVII, p. 362).

Mercier, Louis : La chasse et les sports chez les Arabes. Paris, M. Rivière, 1927.

Meyrick, Samuel Rush : A critical inquiry into ancient armour as it existed in Europe, but particularly in England, from the Norman conquest to Charles II with a Glossary of Military Terms of the Middle Ages. London, R. Jennings, 1824, 3 vols.

Michel, Francisque : Recherches sur le commerce, la fabrication et l'usage des étoffes de soie, d'or et d'argent et autres tissus précieux en Occident, principalement en France, pendant le Moyen-Age. Paris, 1852, vol. I, IV + 386 p., 1854, vol. II, 580 p.

Migeon, Gaston : Musée du Louvre. L'Orient Musulman. Armes, etc. Paris, 1922.
— Manuel d'art musulman. 2nd ed. Paris, 1927.

Miroir de l'Art Musulman, ed. by Hakky Bey.

Montfaucon, Bernard de : Les monuments de la monarchie française. Paris, 1729, t. I.

Moser-Charlottenfels, H. : Sammlung H. Moser-Charlottenfels.

Orientalische Waffen u. Rüstungen. Leipzig, Hiersemann, 1912, 44 pls.

Mostafa, Mohamed : Beiträge zur Geschichte Aegyptus zur Zeit der türkischen Eroberung (in ZDMG, 1935, N.F., vol. 14, pp. 194-224, 1 pl.).

Moberg, Axel : Ur'Abd Allah b. 'Ab ez-Zâhir's biografi över Sultanen el-Melik el-Asraf Halîl. Lund, 1902.

Moukhtar, O. Sermed : Musée Militaire Ottomane.. Guide No. 1, Constantinople, 1920.

Mousa, Ahmed : Zur Geschichte der Islamischen Buchmalerei in Aegypten, Cairo, 1931.

Munich : Katalog der Ausstellung von Handschriften aus dem islamischen Kulturkreis im Fürstensaall der kgl. Hof- und Staatsbibliothek in München, 1910.

Munster, Lord : Kitab fihrist al-kutub allatî narghabu. (Probaly England, Lithogr., 1840).

Neumann, W. : Ueber orientalische Seide im Mittelalter (in Oesterr. Monatsschrift für den Orient, 1881, pp. 92-96, 112-118).

Noe, Fra : Viaggio da Venetia al Santo Sepolcro et al Monte Sinai. Venetia, D. Zanetti, 1600.

Oberhoffer, P. : Ueber das Gefüge des Damaszenerstahls (in Stahl und Eisen, 1915, vol. 25, p. 140).

Odiot : Catalogue des objets d'art et de haute curiosité... composant la... collection de M. Ernest Odiot... vente... Hótel Drouot, 26 et 27 avril 1889.

Olenine, Alexis : Notice sur un manuscrit du Musée Asiatique de l'Académie Impériale des Sciences de St. Petersbourg, intitulé... Kitab ul-makhzoun we djâmi ul-funoun (in Bernhard Dorn, Das asiatische Museum der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften zu St. Petersburg, 1846, pp. 452-460).

pp. 450-452 : a letter from Chr. M. Fraehn about the same manuscript.

Ossbahr, C.A. : L'armurerie royale et les collections y incorporées. Stockholm, 1897 and 1901.

Oez, Tahsin : Guide to the Museum of Topkapu Saray. Istanbul, 1936.

— Hunernamé. Tome I. (in Journal of the Palestine Oriental Society. 1938, vol. XVIII, pp. 167-171, pl. XXIV).

Pagani, Zaccaria : Voyage du magnifique et très illustre chevalier et procurateur de Saint Marc Domenico Trevisan appended to Le Voyage d'outremer... de Jean Thenaud... publ... par Ch. Schefer, Paris, 1884, pp. 148-264.

Paris, Bibliothèque Nationale : Catalogue de l'Exposition orientale. Paris, 1925, 97 p., 20 pls., phototypie.

Penguilly L'Haridon, O. de : Catalogue des collections composant le Musée d'Artillerie. Paris, 1862, pp. 223-227 : Armures orientales.

Petrus Martyr : De Babylonica Legatione. Coloniae, 1574, pp. 401-402, 409 b.

(Peuker, Baron :) Catalogue illustré d'armes anciennes européennes et orientales du temps des Croisades, d'objets de haute antiquité, etc., qui seront vendus publiquement sous la direction de M. Henri Le Roi, Bruxelles, 1854.

Poggibonsi, Niccolo da : Libro d'Oltramare, pubbl. da A. Bacchi della lega. Bologne, 1881.

Post, P. : Orientalische Einflüsse auf die europäische Panzerung des Mittelalters (in ZHWK, 1928, N.F., 2, p. 239 f.). Review of Karl Hagen, Ueber asiatische Panzer, q.v.

Potier, Othmar Baron : Der Spiess des arabischen Reiters (in ZHWK, 1926, N.F. 2, pp. 10-12).

Prelle de la Nieppe, Edgar de : Catalogue des armes et armures du Musée de la Porte de Hal., Bruxelles, 1902, LI + 566, pp. 513-549 : Armes orientales.

— Une cotte de mailles orientale (in Bulletin des Musées royaux, Juin 1903, pp. 65-67, 2 figs.).

Prisse d'Avennes, Emile : L'art arabe d'après les monuments du Caire depuis le VIIe siècle jusqu'à la fin du XVIIIe, Paris, Ve. A. Morel & Cie., 1877.

Quandt, J.G. v. : Das Historische Museum in Dresden. Dresden Walther, 1834, pp. 166-180 : Oriental arms.

Quaregna, Luigi A Vogardo di : Armeria Antica e Moderna... in Torino, 1898.

Quatremère, Etienne : Mémoires géographiques et histori-

ques sur l'Egypte et sur quelques contrées voisines. Paris F. Schoell, 1811.

— Observations sur le feu grégeois (in JA, 1850, t. XV, pp. 214-274).

Racinet, A. : Le costume historique : types principaux du vêtement et de la parure rapprochés de ceux de l'habitation dans tous les temps et chez tous les peuples, avec de nombreux détails sur le mobilier, les armes, objets usuels, etc. Paris, 1876-1888.

Rehatsek, E. : Notes on some old arms and instruments of war, chiefly among the Arabs (in Journal of the Bombay Branch of the R. Asiatic Society, 1879, vol. XIV, pp. 219-263, ill.).

Reimer, Paul : Vom Damaszenerstahl (in ZHWK, 1928, N.F., Bd. 2, pp. 228-231).

Reinaud, Joseph-Toussaint : De l'art militaire chez les Arabes au Moyen-Age (in JA, 1848, 4e sér., t. 12, pp. 193-237).

— et Favé : Du feu Grégeois, des feux de guerre et des origines de la poudre à canon chez les Arabes, les Persans et les Chinois (in JA, 1849, 4e sér., t. 14, pp. 257-327).

Riefstahl, Rudolf M. : The date and provenance of the Automata Miniatures (in Art Bulletin, 1929, vol. II, pp. 206-214, 11 figs.).

Ritter, Hellmut : La Parure des Cavaliers und die Literatur über die ritterlichen Künste (in Der Islam, 1929, vol. XVIII, pp. 116-154).

Rödiger, E. : Ueber einen Helm mit arabischen Inschriften (in ZDMG, 1858, Bd. XII, pp. 300-304).

Rogier, Camille : Catalogue des objets d'art et de curiosité orientaux et européens, matières précieuses, armes, bijoux, orfèvrerie... vente... Hótel Drouot... Paris, Mai 1896, 73 p., 4 pls.

Röhricht, Reinhold : Deutsche Pilgerreisen nach dem heiligen Lande. Gotha, Perthes, 1889. Second Edition, Innsbruck, Wagner, 1900.

— u. Heinrich Meisner : Ein niederrheinscher Bericht

über den Orient (in Zeitschrift für Deutsche Philologie, 1887, XIX, pp. 1-86).

— u. — Das Reisebuch der Familie Rieter. Tübingen, 1884.

— cf. also Jacques de Verone.

Rose, Walter : Die Verzierung auf orientalischen Panzerhemden (in ZHWK, 1897-99, vol. I, pp. 142-144, 166-167, with 2 figs.).

— Die Verzierung altorientalischer Panzerringe (in ZHWK, 1903, vol. III, pp. 8-15, with 7 figs.).

(Rubruck :) The texts and versions of John de Plano Carpini and William de Rubruquis, ed. by C. Raymond Beazley. London, Hakluyt Society, 1903.

Sacken, Eduard von : Die vorzüglichsten Rüstungen und Waffen der k.k. Ambraser Sammlung. Wien, W. Braumüller, 1859-62.

Sakisian, Arménag Bey : La miniature persane du XIIe au XVIIe siècle. Paris et Bruxelles, 1929.

Salles, Georges et M. Ballot : Les Collections de l'Orient Musulman. Paris, 1928.

(Sambon) : Catalogue des objets d'art et de haute curiosité... bronze de Mossoul... formant la collection de M. Arthur Sambon... Paris, Galerie Georges Petit,,, Mai 1914.

Sarre, Friedrich und Ernst Herzfeld : Archäologische Reise im Euphrat- und Tigris Gebiet. II. Berlin, 1920.

— und Martin, F.R. : Die Ausstellung von Meisterwerken Muhammedanischer Kunst in München, 1910. München, 1912.

Sauvaget, Jean : Notes sur un sabre oriental du Musée du Louvre (in JA, 1932, pp. 142-153, 1 fig.).

— Une ancienne représentation de Damas au Musée du Louvre (in Bulletin d'études orientales, Institut Français de Damas, 1945-1946, t. XI, pp. 5-12, 3 pls. .

Schaube, Adolf : Handelsgeschichte der romanischen Völker des Mittelmeergebiets bis zum Ende der kreuzzüge. München und Berlin, 1906.

Schefer, Charles : Notes sur un tableau du Louvre, naguère

attribué à Gentile Bellini (in GBA, 1895, 37e an., t. 14, pp. 201-204, 1 fig., 1 pl.).

— cf. Broquière, Leo Africanus, Pagani, Thenaud, Varthema.

Schiltberger, Hans : Reisebuch, hgg. von Valentin Langmantel. Tübingen, litt. Verein in Stuttgart, 1885.

Schlieben, Adolph : Geschichte der Steigbügel (In Annalen des Vereines für nassauische Altertumskunde und Geschichts-forschung, Wiesbaden, 1892, Bd. XXIV, pp. 165-231, 6 Pls.).

Schlosser, Julius V. : Quellenbuch zur Kunstgeschichte des abendländischen Mittelalters. Wien, C. Graeser, 1896.

Schmidt, J.H. : Damaste der Mamlukenzeit (in Ars Islamica, 1933, vol. I, pp. 99-109).

Schmoranz, Gustav : Old Oriental gilt and enamelled glass vessels extant in public museums and private collections. Vienna, Handels-Museum, 1899.

Schulz, Philipp Walter : Die persisch-islamische Miniaturmalerei, ein Beitrag zur Kunstgeschichte Irans. Leipzig, K. W. Hiersemann, 1914.

Schwarzlose, Fr. W. : Die Waffen der alten Araber aus Dichtern dargestellt. Leipzig, 1886.

Segall, Berta : Katalog der Goldschmiede-Arbeiten. Athens, Museum Benaki, 1938.

Sigoli, Simone : Viaggio al Monte Sinai, Milano, 1841.

Simeon : Itineraria Symonis Simeonis et Willelmi de Worcestre, ed. Jacobus Nasmith. Cambridge, 1778.

Stchoukine, Ivan : Les miniatures persanes. Paris, Musée National du Louvre, 1932.

— La peinture iranienne sous les Abbasides et les Il-Khans. Bruges, 1936.

Stocklein, Hans : Die Waffenschätze im Topkapu Sarayi Müzesi (in Ars Islamica, 1934, vol. I, pp. 200-218, 16 figs.).

— Arms and armour (in Survey of Persian Art, ed. A.U. Pope, 1939, vol. III, pp. 2555-2585, pls. 1405-1433).

Stone, George Cameron : A glossary of the construction, decoration and use of arms and armor in all countries and in all times. Portland, Me., The Southworth Press, 1934.

Strzygowski, Josef : Asiatische Miniaturenmalerei. Klagenfurt, Kollitsch, 1933.

Suriano, Francesco : Il Trattato di Terra Santa e dell'Oriente, ed. Girolamo Golubovich, Milan, 1900.

Sylwan, Vivi, och Agnes Geijer : Siden och brokader. Stockholm, 1931.

Szendrei, Johann : Unggarische Kriegsgeschichtliche Denkmäler in der Milleniums-Landes-Ausstellung. Budapest, 1896.

Tafel, G.L.F. und G.M. Thomas : Urkunden zur älteren Handels- und staatsgeschichte der Republik Venedig. Wien, 1856.

Tafur, Pero : Travels and Adventures, trsl. Malcolm Letts., London, G. Routledge & Sons, 1926.

Täschner, Franz : Die islamischen Futuwwabünde (in ZDMG, 1934, vol. 87, pp. 6-49).

Thenaud, Jean : Le voyage d'outremer (Egypte, Mont Sinay, Palestine)... suivi de la Relation de l'Ambassade de Domenico Trevisan auprès du Soudan d'Egypte — 1512 — publié et annoté par Ch. Schefer. Paris, Leroux, 1884.

Thomas, G.M. (editor) : Ein Tractat über das heilige Land und dritten Kreuzzug (in Sitzungsberichte der Kgl. Bayer. Akad. d. Wissenschaften, 1865, Bd. II, pp. 141-171).

Thordeman, Bengt : The Asiatic splint armour in Europe (in Acta Archaeologica, 1933, vol. IV, pp. 117-150, illi).

— Armour from the battle of Wisby 1361. Stockholm, K. Vitterhets, Historie och Antikvitets Akademien, 1939-1940.

Thuasne, Louis : Gentile Bellini et Sultan Mohammed II. Paris, Ernest Leroux, 1888.

Tietze-Conrat, E. : Again, Giovanni Bellini and Cornaro's Gazelle (in GBA, Amer. ed., March 1946, pp. 187-190, Sept. 1946, p. 185, ill.).

Tizengauzen, W.G. Materiali dlya bibliografii musulmanskoy arkheologii iz bumag Barona W.G.T. izdali K.A. Inostrantsew i Ya. I. Smirnow (in Zapiski Vostochnavo Otdyeleniya Imperatorskavo Russkavo Arkheologicheskavo Obshchestva, St. Petersburg, 1906, vol. XVI, pp. 79-145, 213-416).

Tritton, A.S. : Islam and the protected rleigions (in JRAS, 1927, pp. 479-484).

—— The Caliphs and their non-Muslim subjects. London, 1930.

Tschernoff, D.K. : Damask Steel (in Metallographist, 1899, vol. II, p. 255 f., Frontisp.).

Tucher : Johann Tuchers von Nürnberg Reyss Zum H. Grab und andern umbligenden Orten... im Jar 1479... (in Feyrabend, Reyssbuch dess heyligen Lands 1st ed., Frankfurt a.M. 1584, fol. 349 b-374 b ; 2nd ed., 1609, pp. 652-698).

Tumanskiy : Voyennoye iskusstvo u drevnikh Arabov (in Sankt-Peterburgskiya Vyedomosti, 1898, No. 277).

Two Thousand Years of Silk Weaving, with a Foreword by Roland Mc Kinney and W.M. Milliken and an Introduction by A.C. Weibel. New York, E. Weyhe, 1944.

Valencia de don Juan, El conde V-do de : Catálogo Histórico-descriptivo de la Real Armeria de Madrid. Madrid, 1898, pp. XV + 477 + 3, 26 pls., ill.

Varthema, Ludovico di : Les Voyages... ou Le Viateur en la plus grande partie d'Orient... publiés et annotés par Ch. Schefer, Paris, Ernest Leroux, 1888.

Vecellio, Cesare : De gli habiti antichi et moderni di diverse parti del mondo libri due. Venetia, 1590. Fo. 477v ff. Mamluks.

Vienna : Katalog der Miniaturen-Ausstellung. Wien, k.k. Hofbibliothek, 1901.

—— Katalog der Buchkunst-Ausstellung. Wien, k.k. Hofbibliothek, 1916, p. 82, Nr. 261.

Volbach, W.F. and Ernst Kühnel : Late Antique-Coptic and Islamic Textiles of Egypt. New York, E. Weyhe, 1926.

Wace, A.J.B., and Muriel Clayton : A tapestry at Powis Castle (in B. Mag., August 1938, pp. 65-69, 2 pls. facing pp. 61, 65).

Wey, William : Itineraries. London, 1857.

Wiedemann, Eilhard : Beiträge zur Geschichte der Naturwissenschaften. XXV. Ueber Stahl und Eisen bei den Muslimischen Völkern (in Sitzungsberichte der phys. Mediz. Soziedtät in Erlangen, 1911, Bd. 43, pp. 114-131).

—— Ueber Trinkgefässe und Tafelaufsätze nach al-Gazarî und

den Benû Mûsà (in Der Islam,. 1918, Bd. VIII, pp. 55-93 266-299).

—— und Fritz Hauser : Ueber die Uhren im bereich der islamischen Kultur (in Nova Acta d. Kais. Leop-Carol. Deutschen Akademie d. Naturforscher, 1915, Bd. 100, No. 5).

Wiet, Gaston : Exposition des tapisseries et tissus du Musée Arab du Caire. Paris, 1935.

—— Tissus et tapisseries du Musée Arabe du Caire (in Syria, 1935, t. 16, pp. 278-290, pls. XLVI-XLIX).

Wittek, Paul : Datum und herkunft der Automaten Miniaturen (in Der Islam, 1931, Bd. 19, p. 177 f.).

Wustenfeld, Ferdinand : Das Heerwesen der Muhammedaner und die arabische Uebersetzung der Taktik des Aelianus. Göttingen, 1880.

Zahn, Robert : Antike, byzantinische, islamische Arbeiten der Kleinkunst und des Kunstgewerbes. Galerie Bachstitz, s-Gravenhage, Bd. II. (Berlin, 1921). (Collection Friedrich L. Von Gans.).

Zaki, M. Hassan : Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages. (Cairo, 1937).

Zeki Pacha, Ahmed : Notice sur les couleurs nationales de l'Egypte musulmane (in BIE, 1920, t. II, pp. 61-95). Reprinted 1921.

Zeller, Rudolf : Die orientalische Sammlung von Henri Moser auf Charlottenfels. Bern, 1915, 52 p., 20 pls., 9 figs.

—— Führer durch die Orientalische Sammlung von H. Moser-Charlottenfels und die Völkerkundliche Abteilung des Bernischen Historischen Museums (in Jahresbericht der Geograph. Gesellschaft von Bern, 1919-1922 (publ. 1923). Bd. XXV, pp. 15-87, 27 pls., ill.).

—— Ueber den Damaststahl orientalischer Klingen der Sammlung Henri Moser-Charlottenfels. Nach den Untersuchungen von Prof. Zschokke, Bern, 1924.

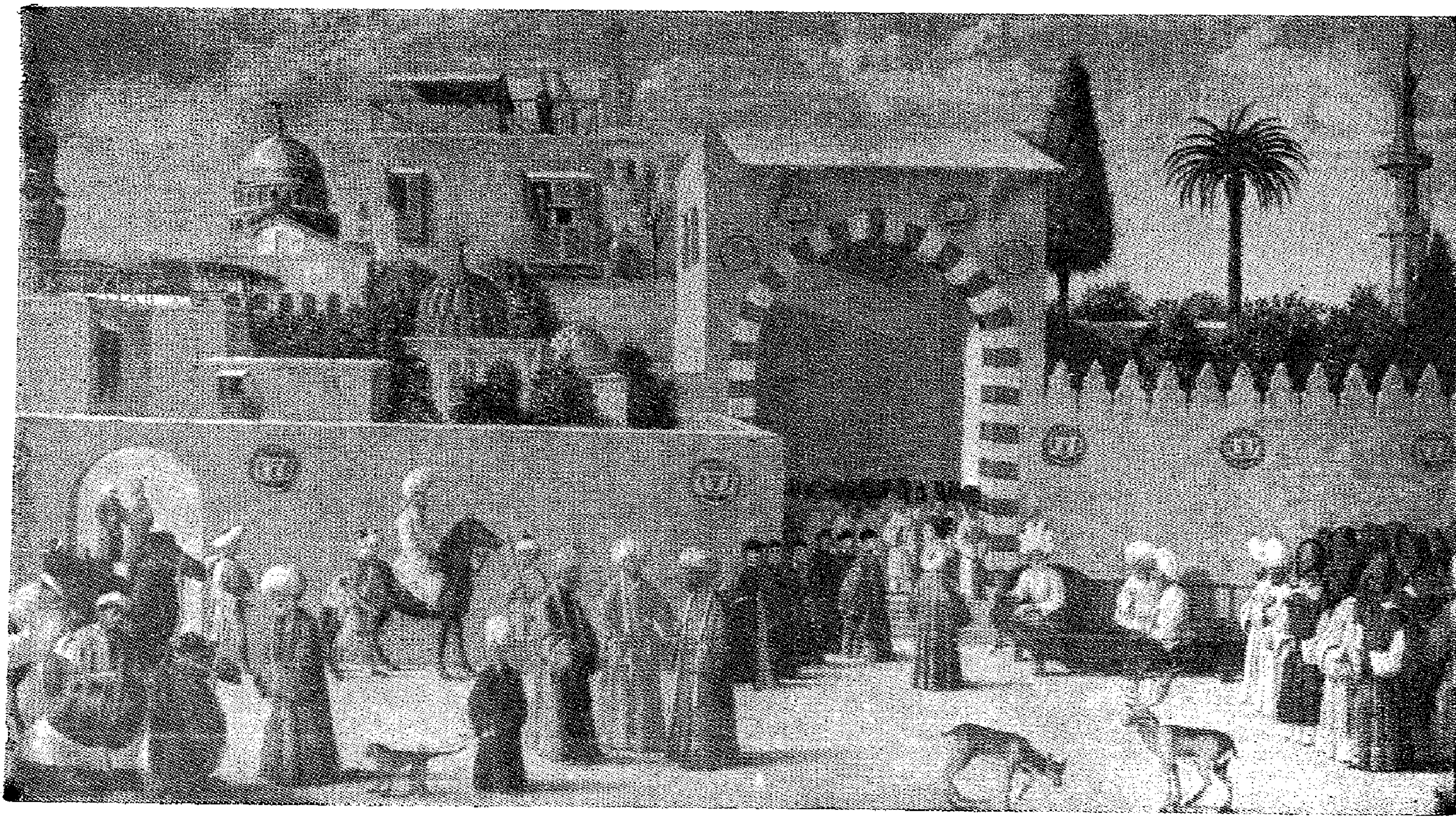
—— Orientalische Sammlung Henri Moser-Charlottenfels. Beschreibender Katalog. Bern, 1928, ill.

Zschill, Richard und Robert Forrer : Der Sporn in seiner Formen-Entwicklung. Berlin, 1891. Zweiter Theil, Berlin, 1899 (partly summary of the 1st part).

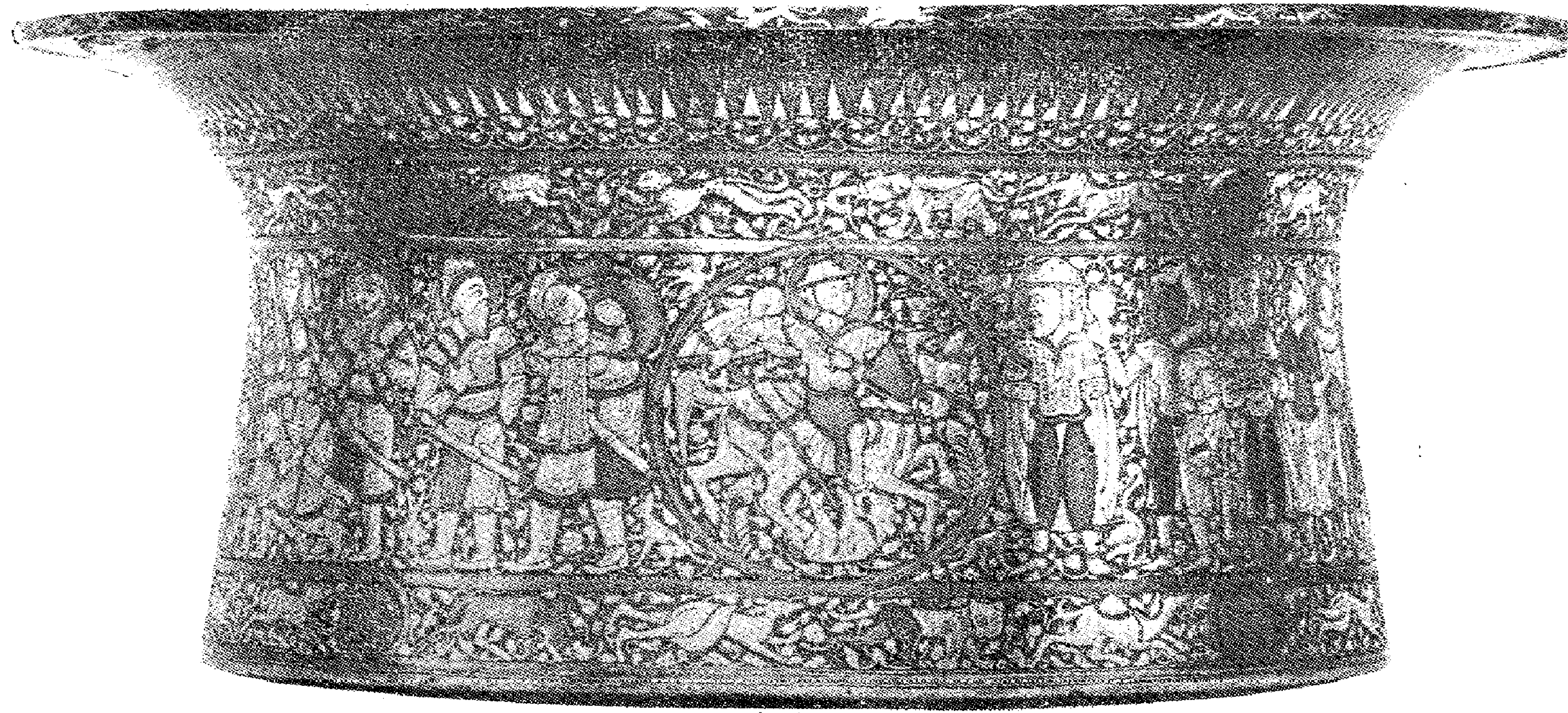
—— Die Steigbügel in ihrer Formen-Entwicklung. Berlin, 1896.

Zschokke, B. : Du damassé et des lames de Damas (in Revue de Métallurgie, 1924, 21e an., pp. 635-669, 14 pls., 7 figs., ill., trad. franç. de Louis Descroix, préface de Charles Buttin).

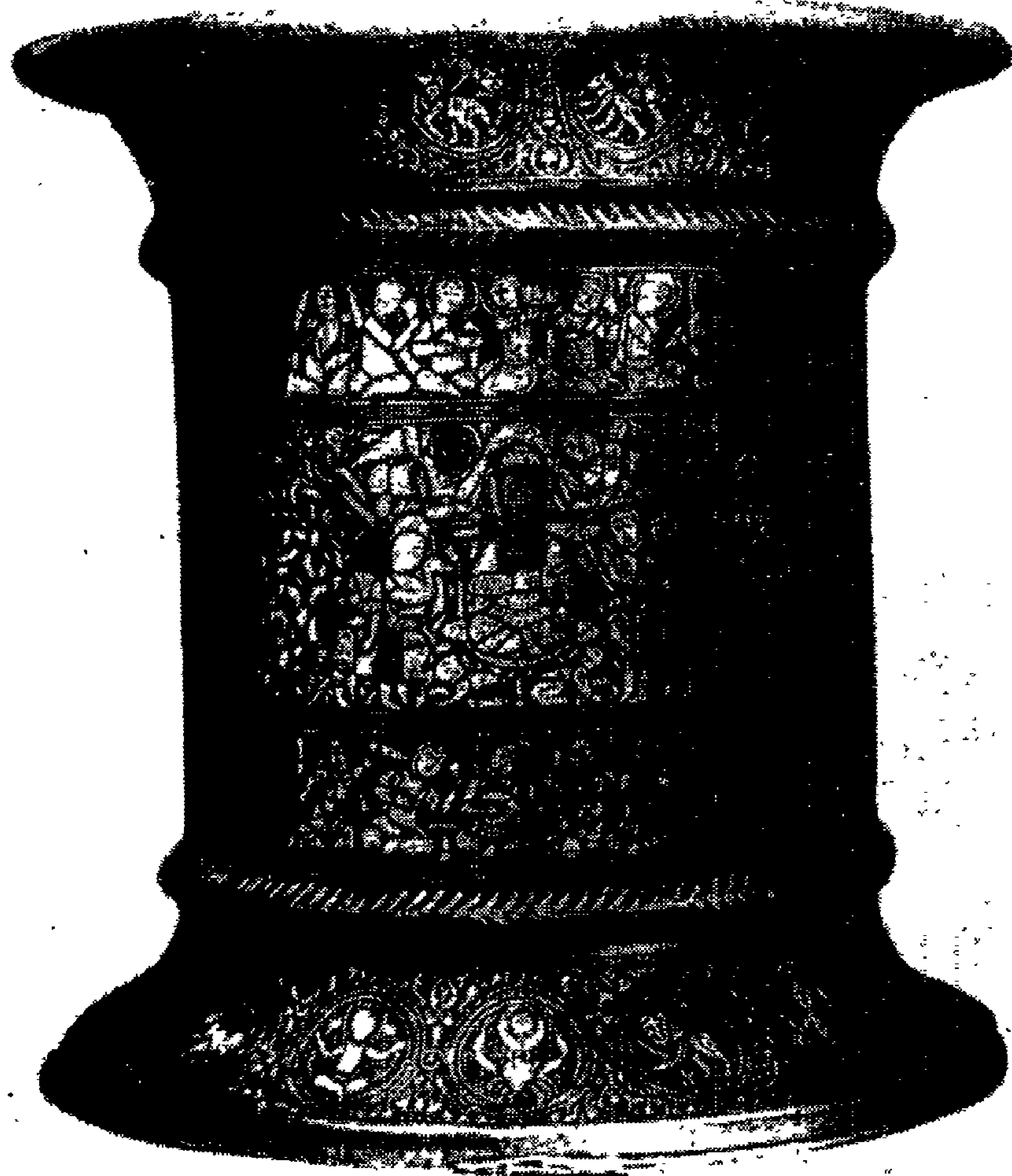
الصـــــور



(١) استقبال سفير من البندقية- تفضلا من متحف اللوفر وأرشيف الصور الفوتوغرافية •

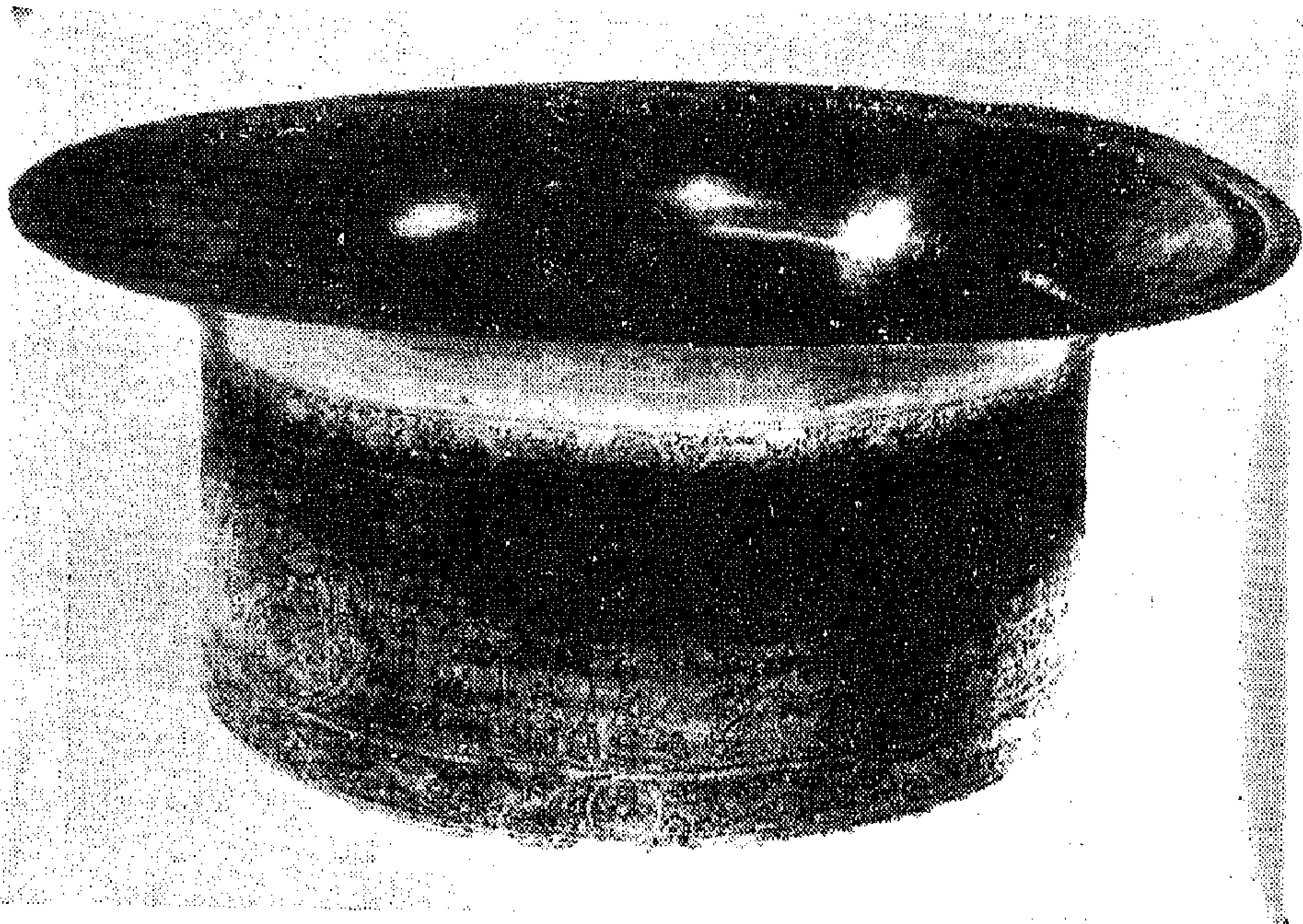


(٢) معمدانة القديس لويس ـ تفضلا من متحف اللوفر ، والدكتور د. س. ريس Rice

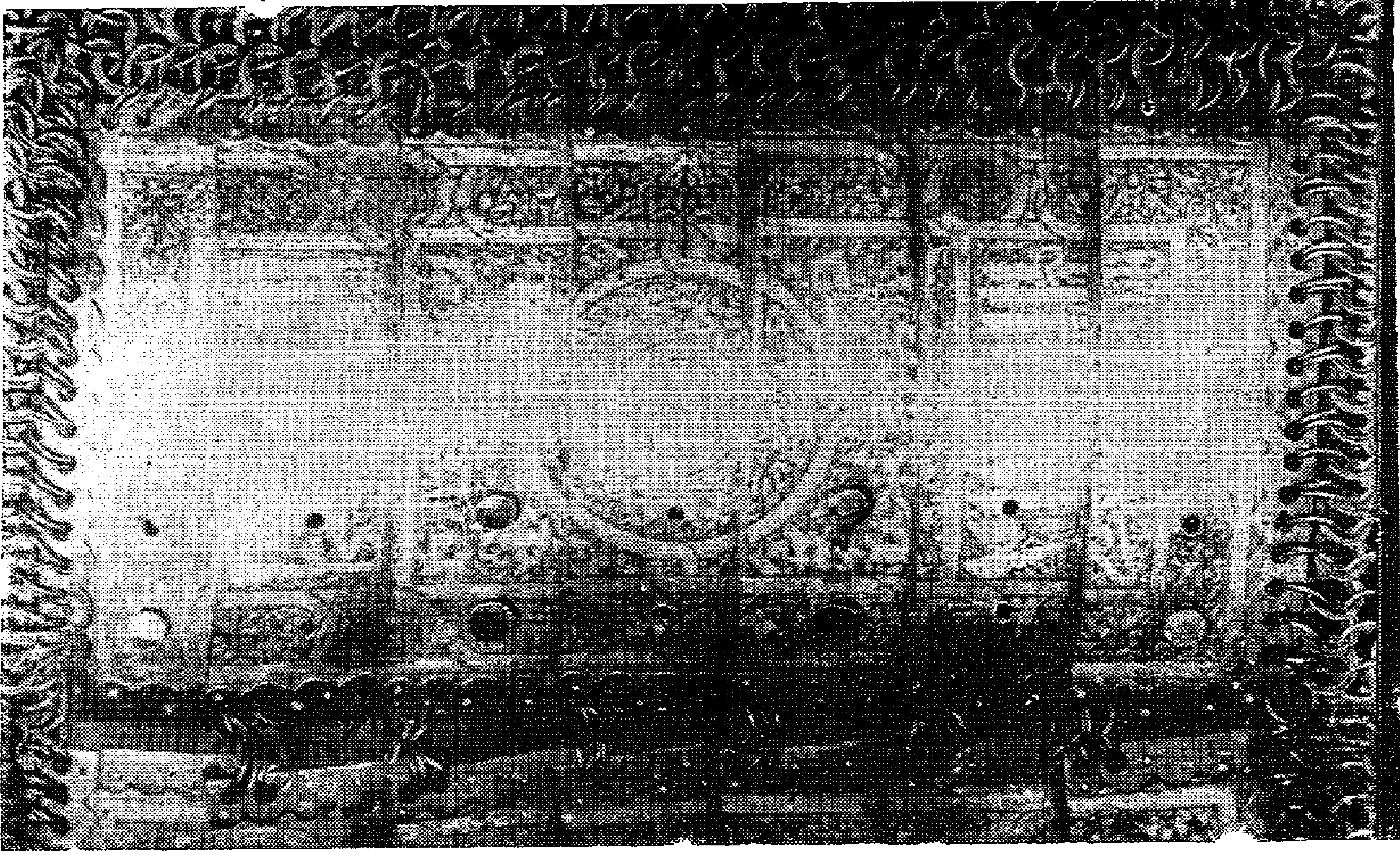


(٣) حامل صينية ـ تفضلا من السادة اخوان كالبدجيان
Kalabdjian Frères

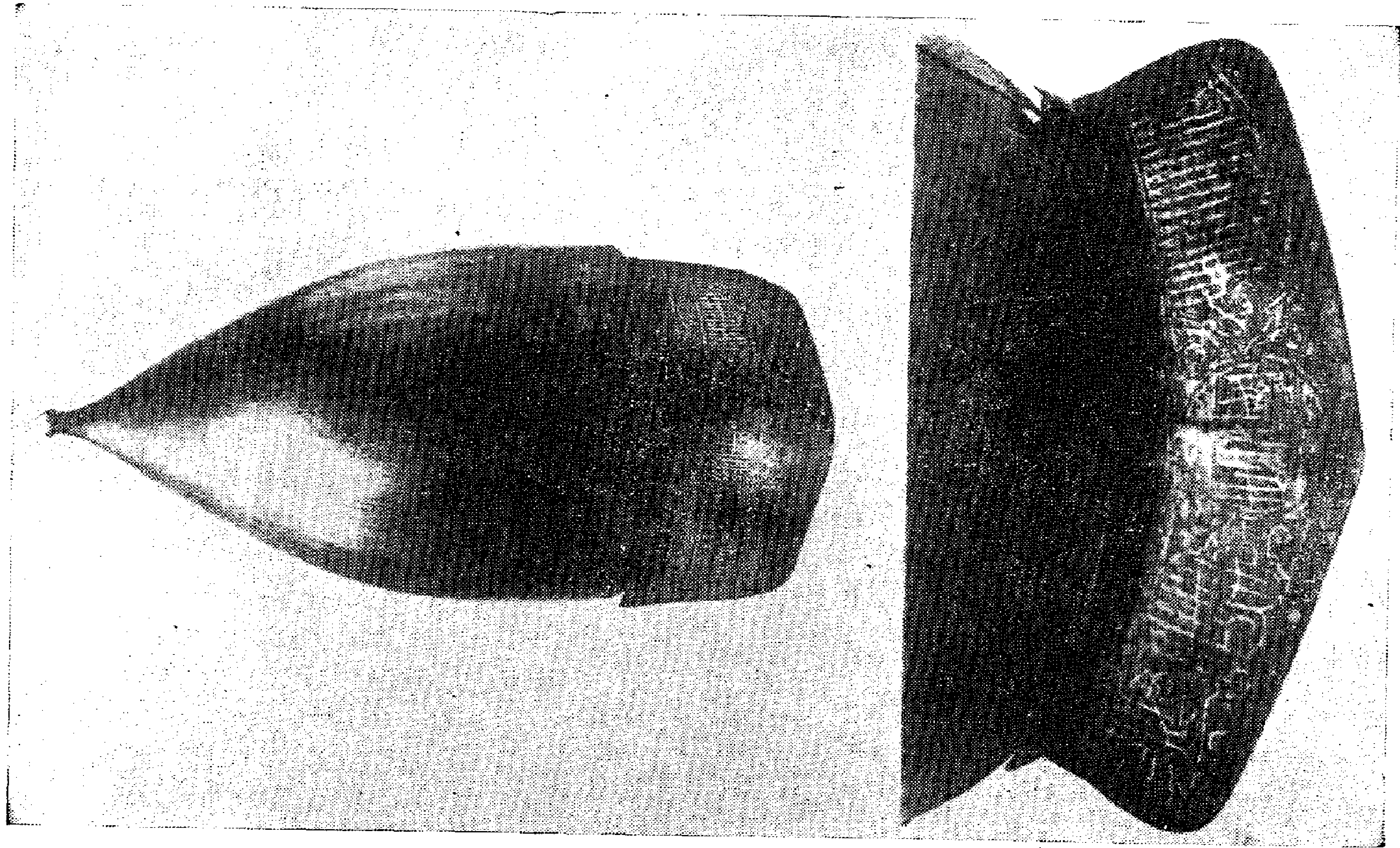




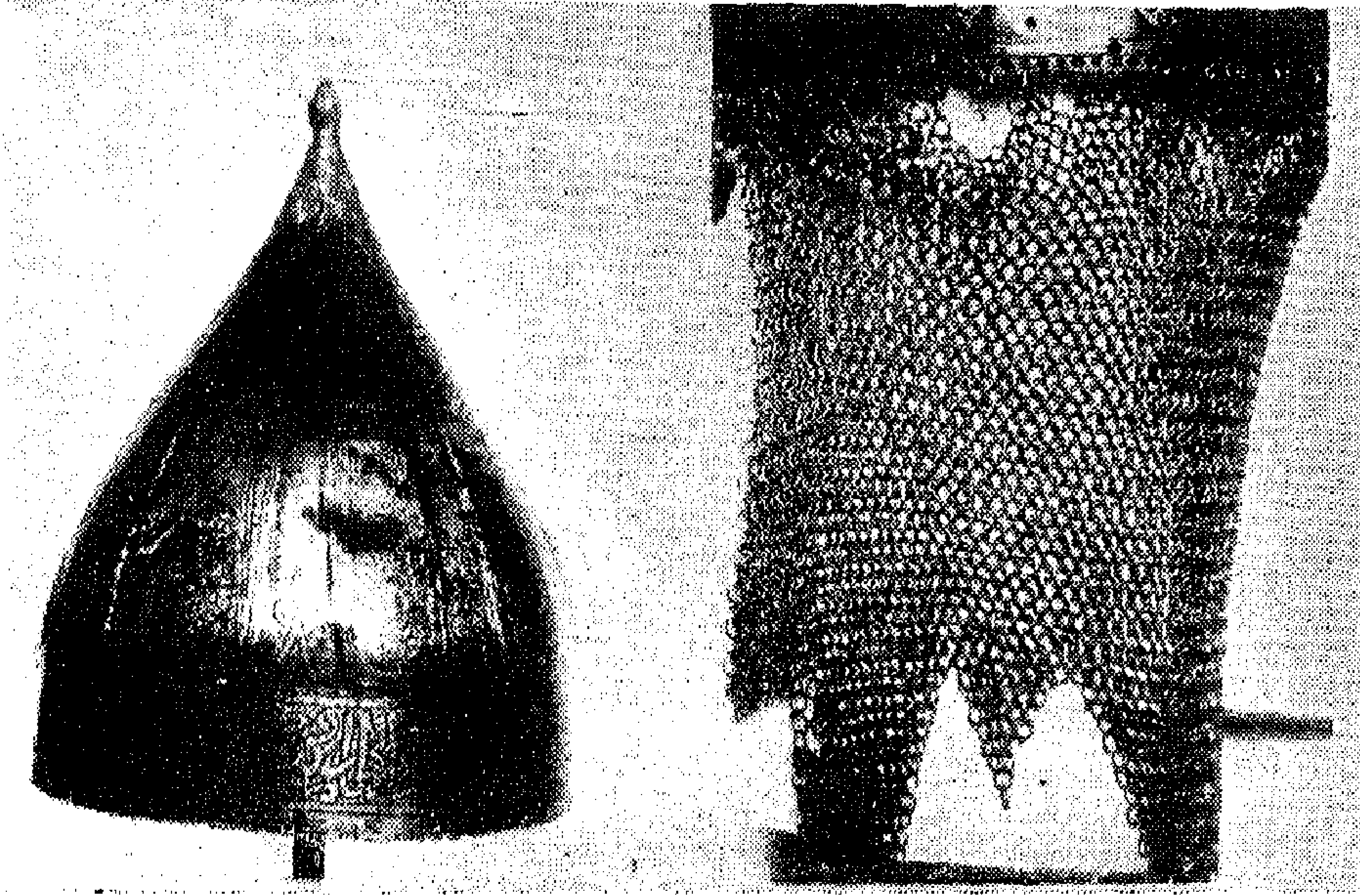
(٤) ، (٥) صورتان لطست من النحاس ـ تفضلا من السيد / هـ . كيفوركيان
H. Karorkian



(٦) صفائح معدنية لدرع لأحد المماليك الجراكسة ـ تفضلا من السيد /م. جورج بولياك . M. Georges Pauilhac



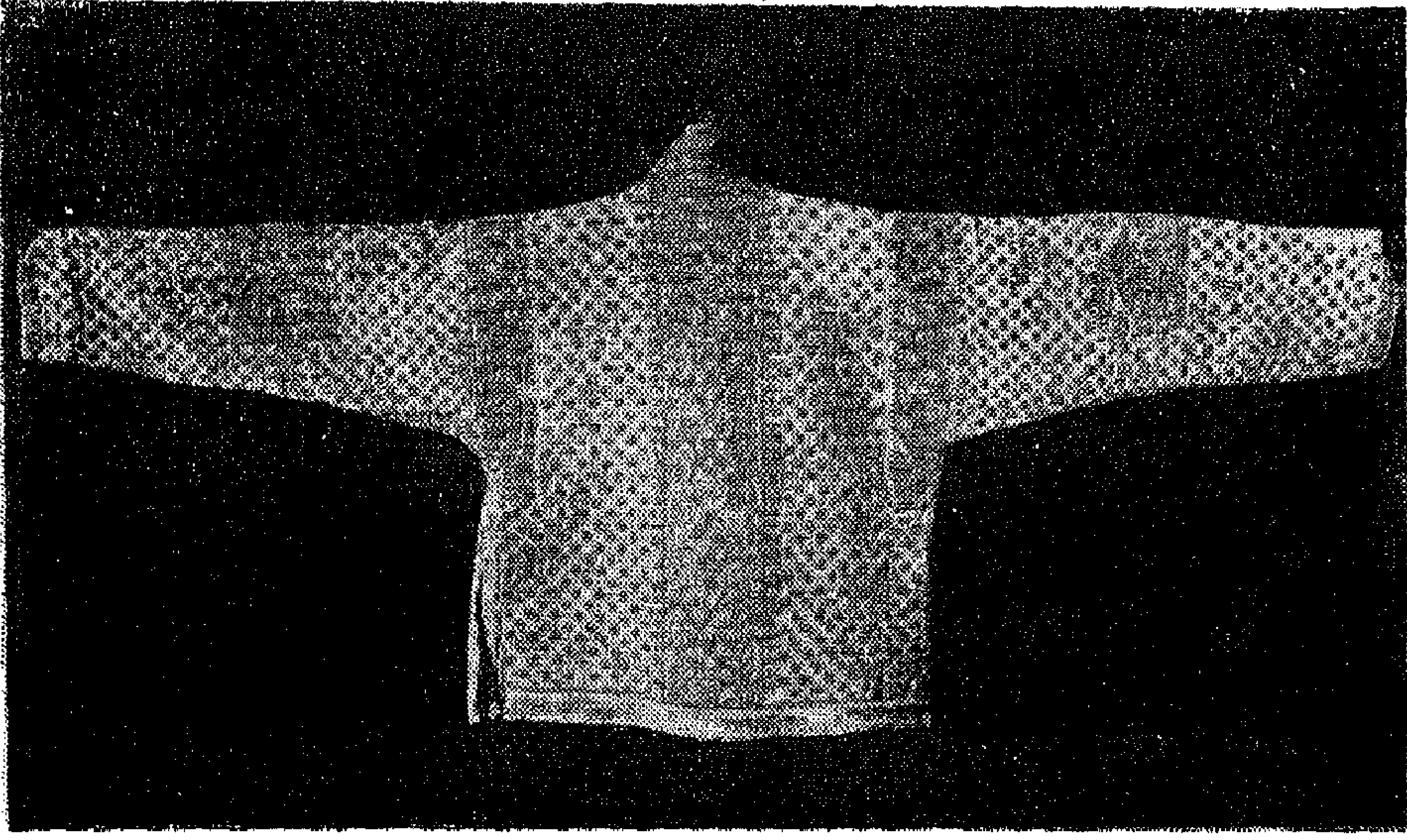
(٧) خوذة برسباى – تفضلا من متحف اللوفر وادارة محفوظات الصور الفوتوغرافية •

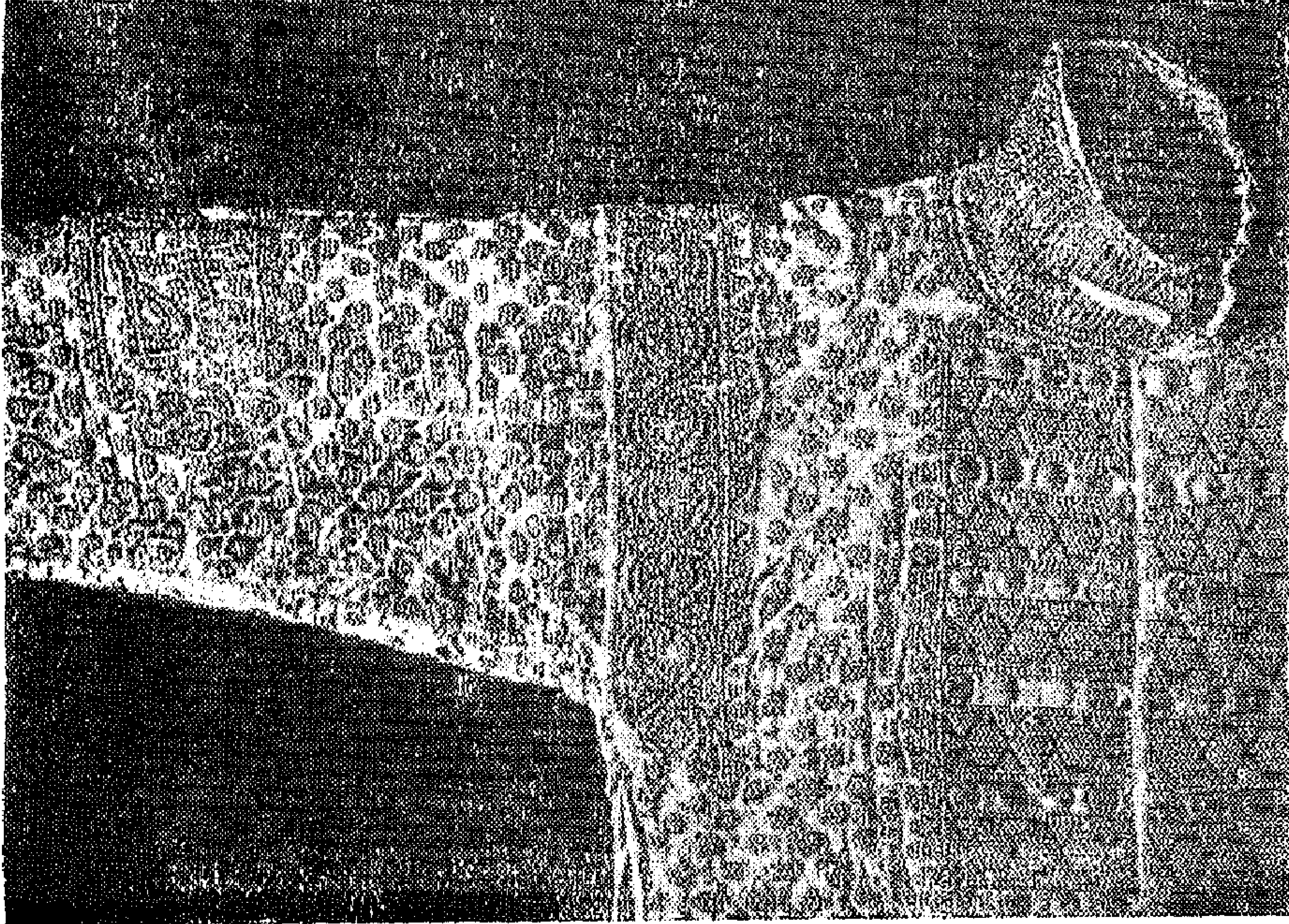


(٨) الصـورة رقم (١) لخوذة مملوكية ، والصـورة رقم (٢) من الزرد لحماية العنق .
وهى خاصة بالسلطان محمد بن قلاوون – تفضلا من متحف بورت دى هال
Musée de la Porte de Hal

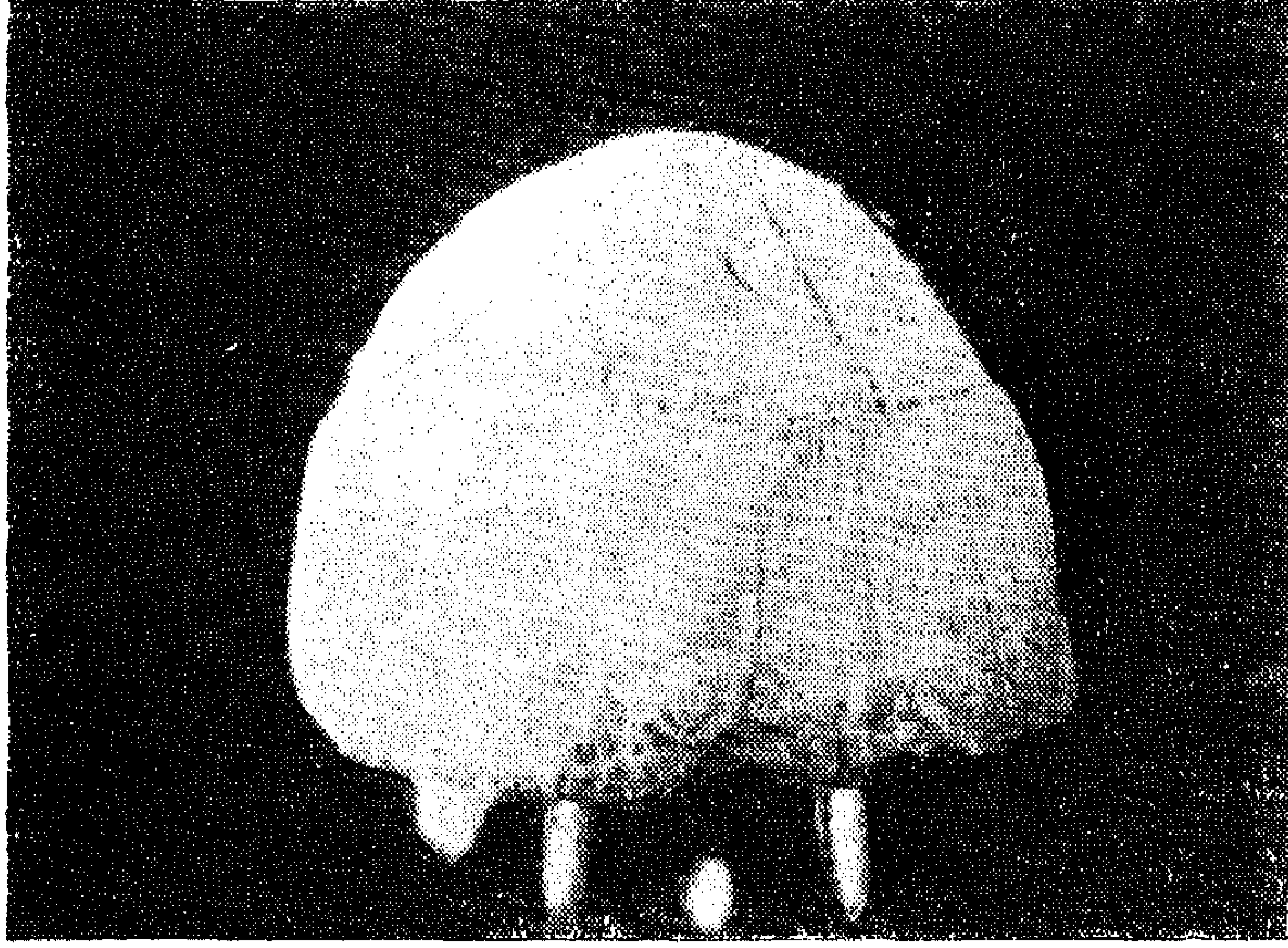


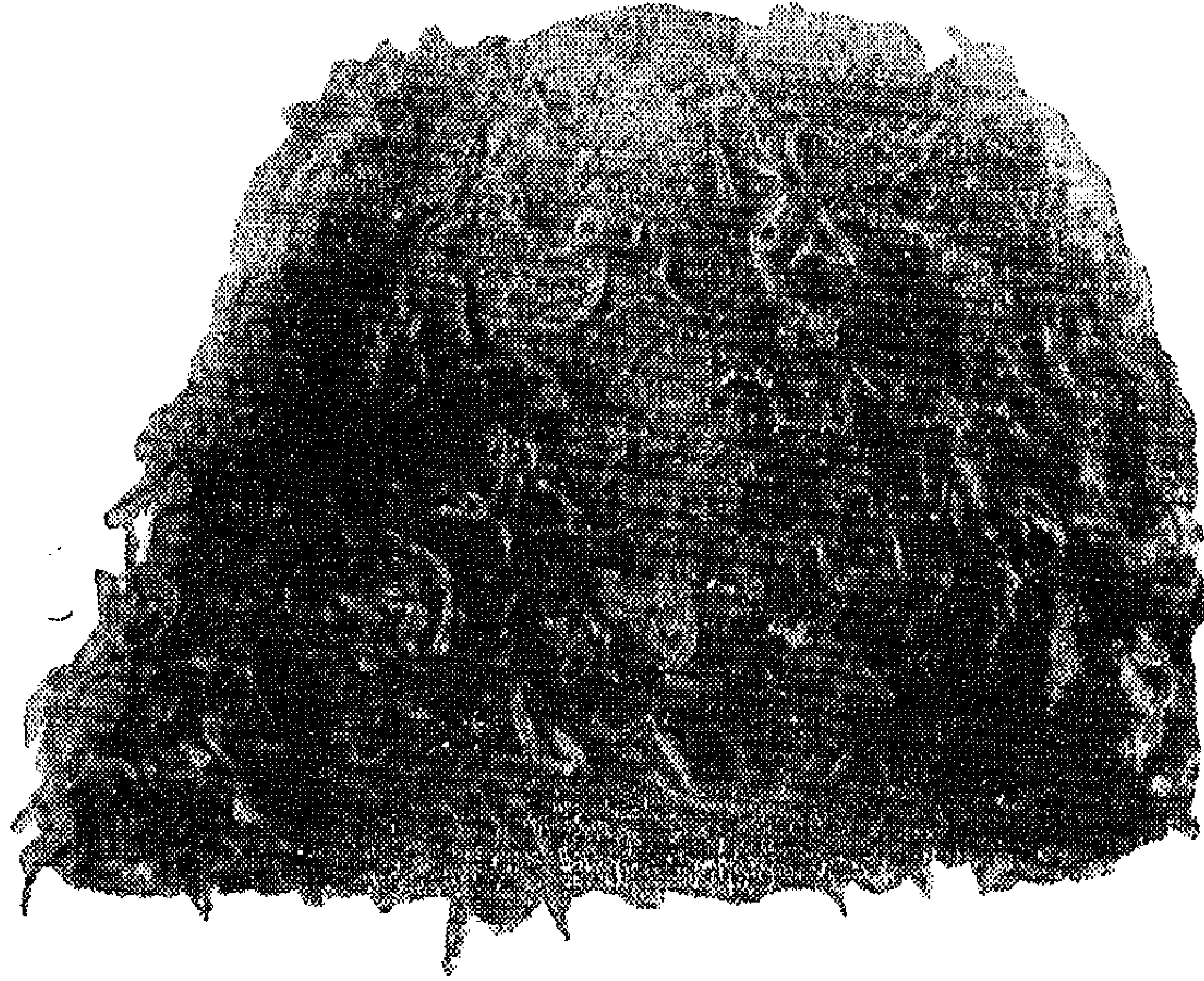
(٩) اجزاء من حياصة الملك الصالح اسماعيل - تفضلا من دافيد سالمونز David Salmons تعبيرا عن المحبة والتقدير



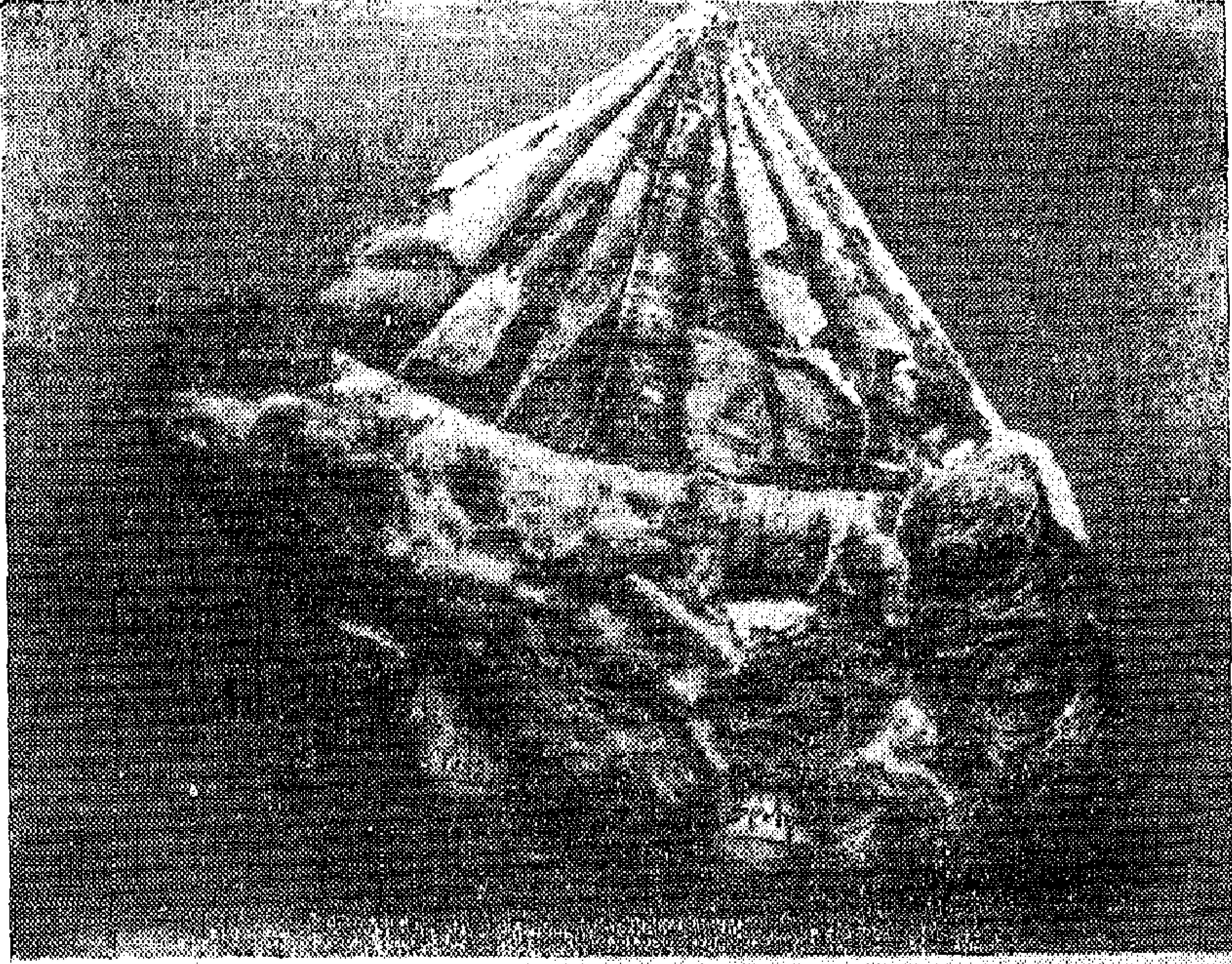


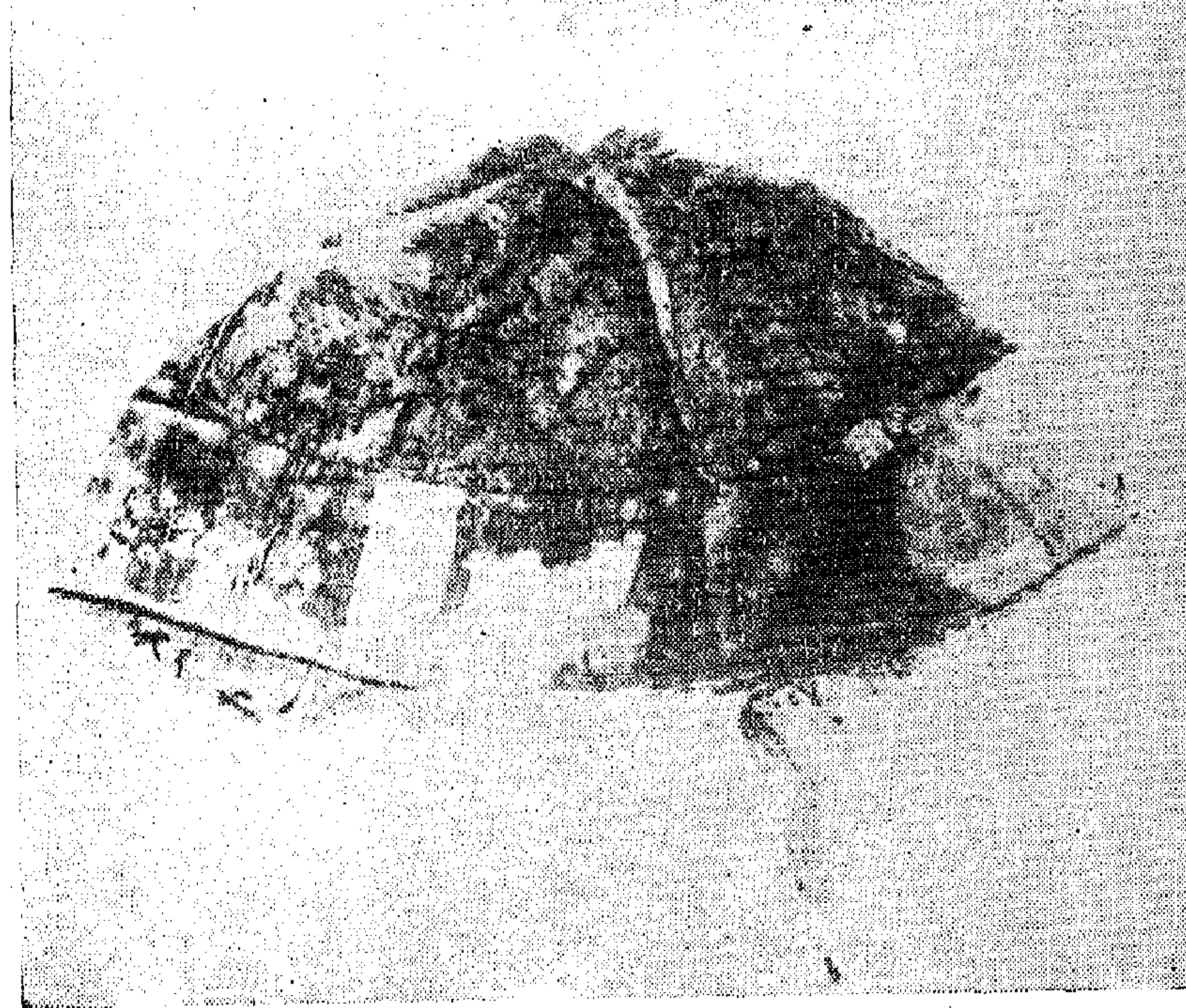
(١٠) صورتان لدرع بريجانذين باسم السلطان جقمق – تفضلا من المتحف الأهلي بفلورنسا ، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية



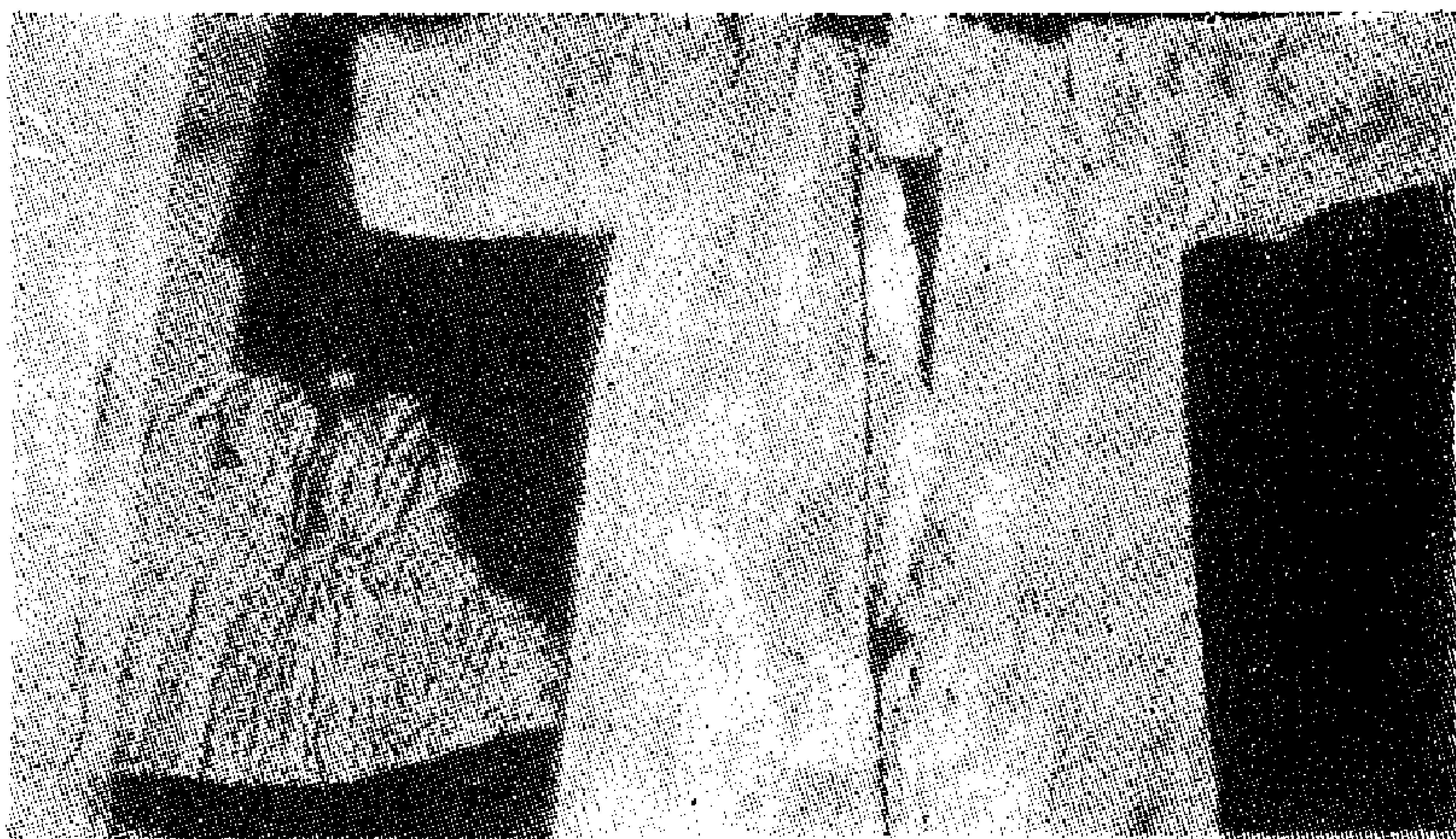


(١١) الصورة رقم ١ الطاقية ـ تفضلا من دار الآثار العربية / متحف الفن الاسلامى ، والصورة رقم ٢ لزنط ـ تفضلا من المتحف القبطى .

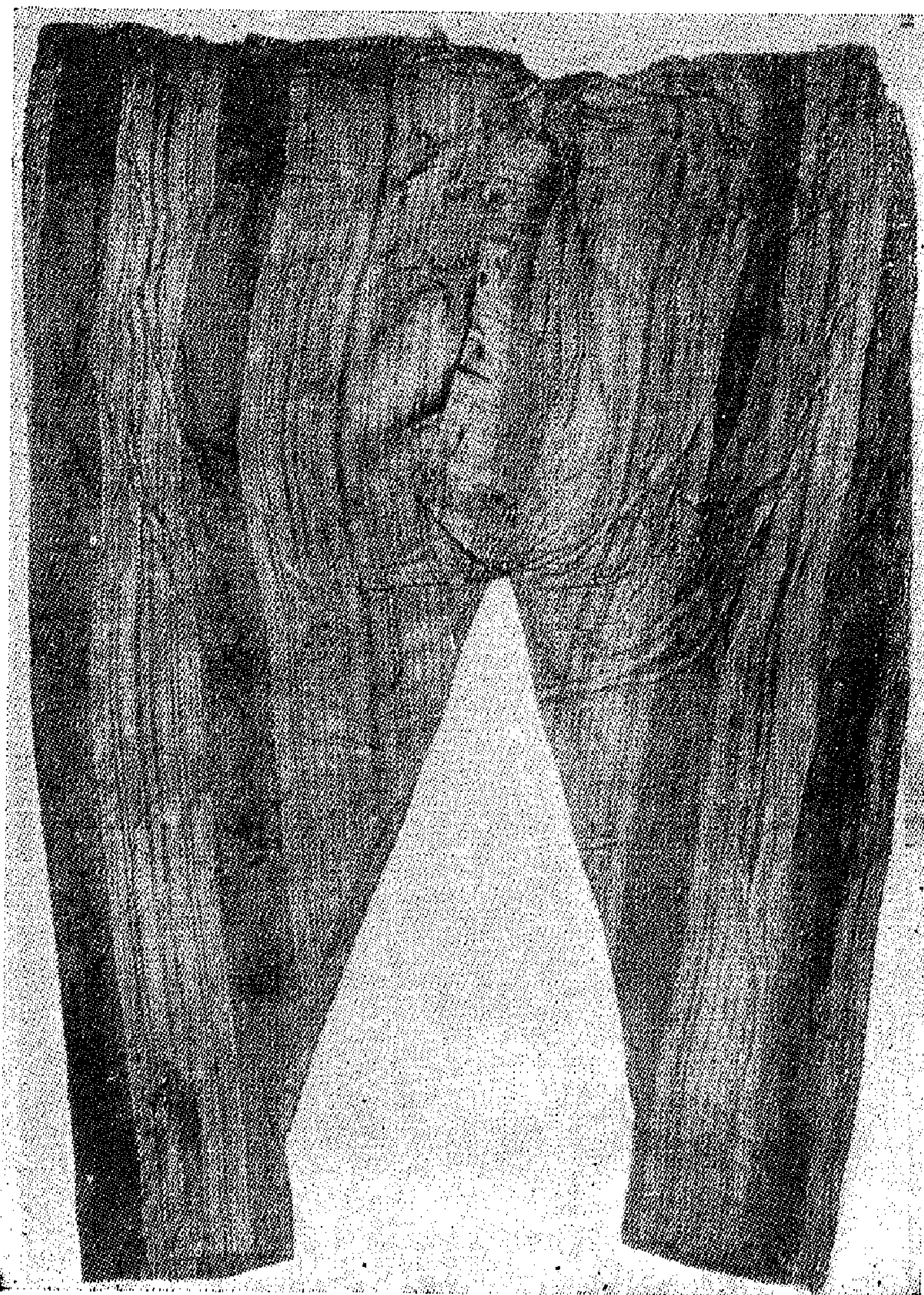




(١٢) الصورة رقم (١)! لطاقية أعدت أصلا بالريش ، ومن المحتمل أن تكون نموذجا مبكرا للكوفية ـ تفضلا من متحف فكتوريا والبرت • والصورة رقم (٢)! لطاقية ـ تفضلا من اتحاد كوبر بنيويورك



(١٣) (١) ثوب تحتانى (تحتانية) ـ تفضلا من دار الآثار العربية
« متحف الفن الاسلامى »



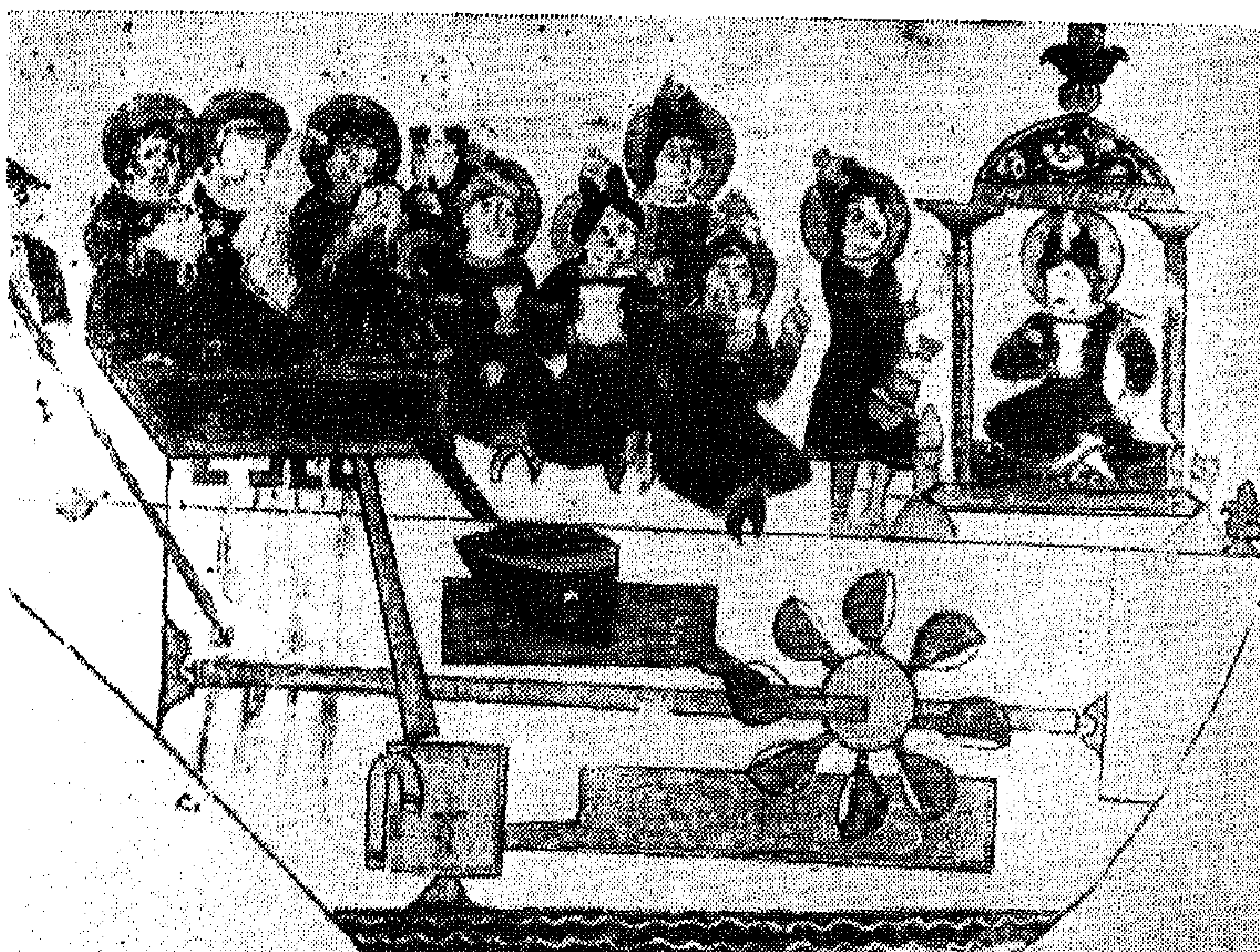
(١٣) ـ (٢) سروال ـ تفضلا من تحف السانكانتينير
Museede Cinquantenaire





(١٤) أنماط متنوعة من الملابس القاهرية ، عن رحلة أرنولد
فون هارف بعنوان Pilgerfahrt





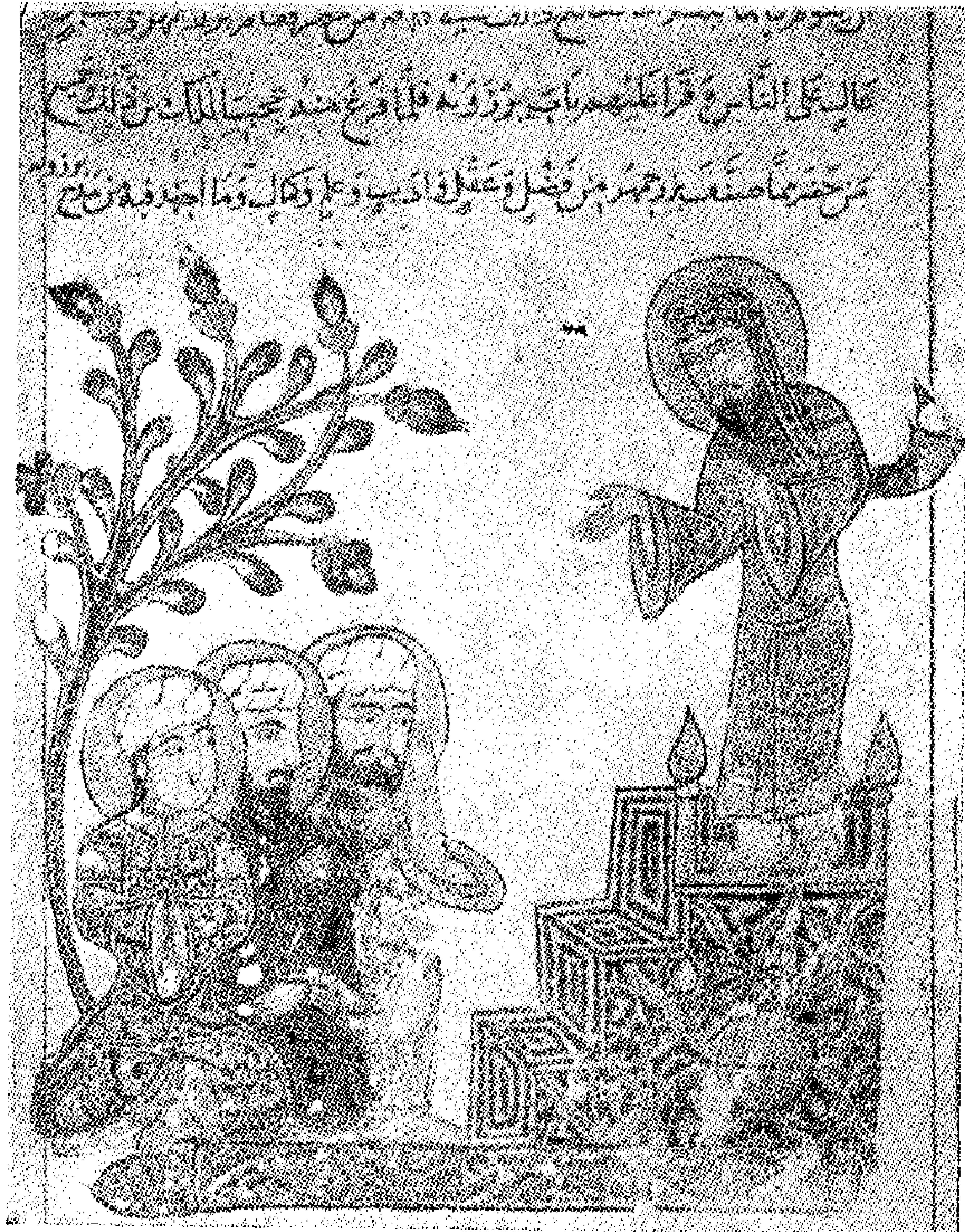
(١٥) صورة لأحد أمراء المماليك مع ضيوفه وخدمه وهى صحيفة من كتاب « معرفة الخيل »
للجزرى « ١٣١٥ / ميلادية » تفضلا من متحف قاعة فرير للفنون Freer Gallary



(١٦) صورة لأحد المماليك يتدرب على ألعاب الفروسية ـ تفضلا
من السيد شستربيتى Chesterbeaty



(١٧) – (١) الصورة رقم (١) لبيديا الفيلسوف من كتاب كليلة ودمنه ، مكتبة Bodleian Library



الصورة رقم (٢) من نفس المرجع ظهر الورقة ٤٨





(١٨) الصورة رقم (١) من مقامات الحريري المتحف البريطاني تحت رقم ٢٢١١٤ .Add
ورقة ٦٨ – والصورة رقم (٢) من نفس المرجع ورقة ٩٤ تفضلا من المتحف البريطاني



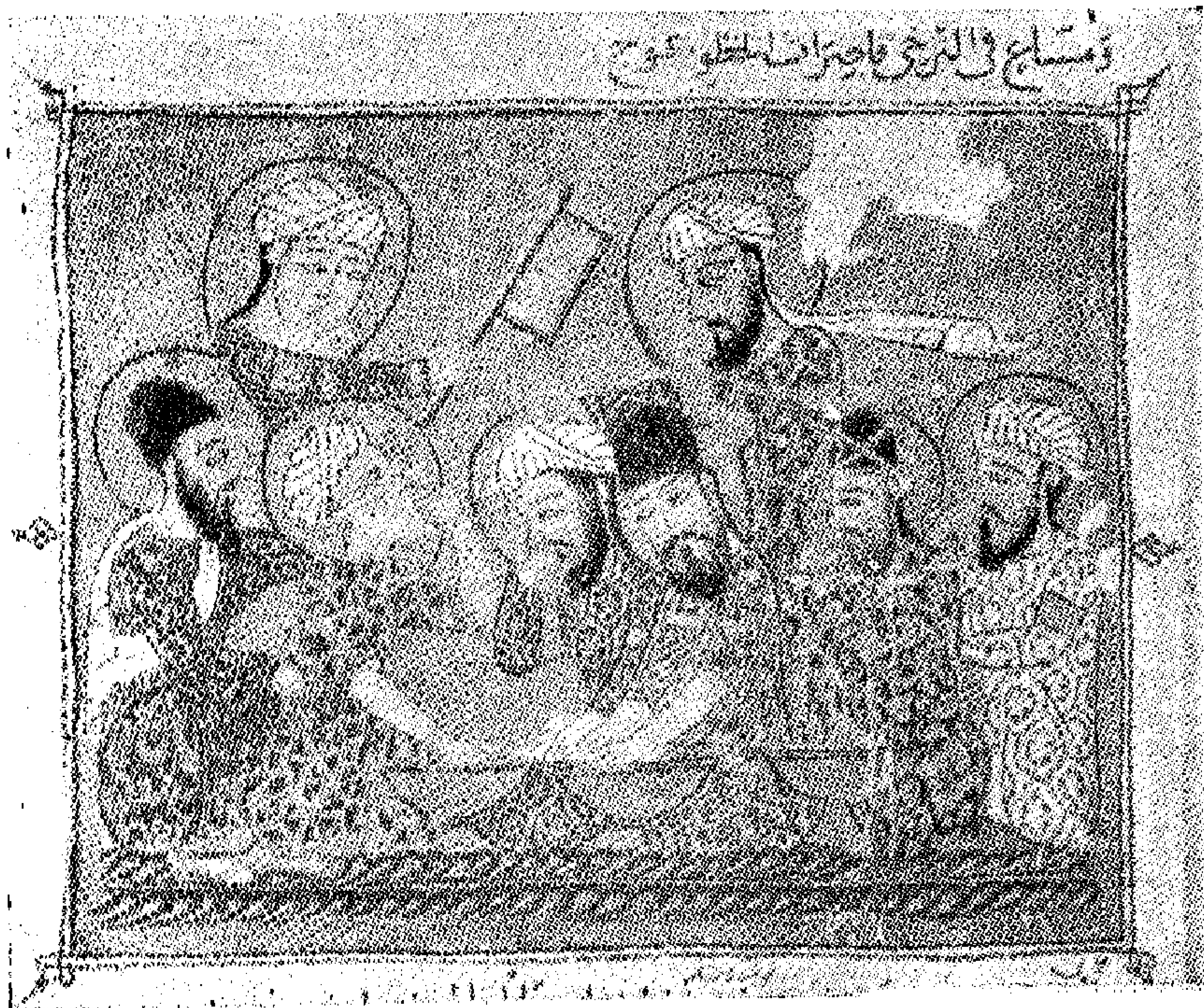
(١٩) الصـــورة رقم (١) من مقامات الحــريرى ـ المتحف البريطـانى ـ تحت رقم Add. ٢٢١١٤ وجه الورقة ١٧٣ • والصورة رقم (٣) من نفس المرجع رقم ٧١٨ ورقة رقم ٧١٣٥ تفضلا من المتحف البريطانى •



(٢١) من مقامات الحريرى ، مكتبة بودليان تحت رقم Marsh 458 والصورة فى صدر الكتاب



(٢٠) — (١) من مقامات الحريرى ، مكتبة بودليان تحت رقم
Marsh 458 الصورة فى صدر الكتاب .



(٢٠) — (٢) من نفس المرجع السابق ، وجه الورقة ٥٦
« تفضلا من مكتبة بودليان »

قائمة اللوحات

(١) استقبال سفير من البندقية ـ تفضلا من متحف اللوفر ، وارشيف الصور الفوتوغرافية .

(٢) معمدانة القديس لويس ـ تفضلا من متحف اللوفر ، والدكتور د.س.ريس Rice

(٣) حامل صينية ـ تفضلا من السادة اخوان كالبدجيان Kalebdjian Frères

(٤ ، ٥) صورتان لطست من النحاس ـ تفضلا من السيد / هـ . كيفوركيان H. Kavorkian

(٦) صفائح معدنية لدرع لأحد المماليك الجراكسة ، تفضلا من السيد/م. جورج بولياك M. Georges Pauilhac

(٧) خوذة برسباى ـ تفضلا من متحف اللوفر وادارة محفوظات الصور الفوتوغرافية .

(٨) الصورة رقم (١) لخوذة مملوكية ، والصورة رقم (٢) لمغفر من الزرد لحماية العنق ، وهى خاصة بالسلطان محمد بن قلاوون ـ تفضلا من متحف بورت دى هال . Musée de la porte de Hal

(٩) اجزاء من حياصة الملك الصالح اسماعيل ـ تفضلا من دافيد سالمونز David Salmons تعبيرا عن المحبة والتقدير .

(١٠) صورتان لدرع بريجاندين باسم السلطان جقمق ـ تفضلا من المتحف الأهلى بفلورنسا، والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية .

(١١) الصورة رقم (١) لطاقية ـ تفضلا من دار الآثار العربية « متحف الفن الاسلامى » والصورة رقم (٢) لزنط ـ تفضلا من المتحف القبطى .

(١٢) الصورة رقم (١) لطاقية اتخذت اصلا بالريش ، ومن المحتمل أن تكون نموذجا مبكرا للكوفية ـ تفضلا من متحف فيكتوريا والبرت . والصورة رقم (٢) لطاقية ـ تفضلا من اتحاد كوبر بنيويورك .

(١٣) الصورة رقم (١) لثوب تحتانى (تحتانية) ـ تفضلا من دار الآثار العربية ـ « متحف الفن الاسلامى » .
والصورة رقم (٢) لسروال ـ تفضلا من متحف السانكانتينير Musée de Cinquantenaire

(١٤) انماط متنوعة من الملابس القاهرية ، عن رحلة ارنولد فون هارف بعنوان Pilgerfahrt

(١٥) صورة لأحد أفراد المماليك مع ضيوف وخدمه ، وهى صحيفة من كتاب « معرفة الخيل » للجذرى « ١٣١٥ ميلادية » ـ تفضلا من قاعة فرير .

(١٦) صورة لأحد جنود المماليك يتدرب على ألعاب الفروسية ـ تفضلا من السيد شستربيتى .

(١٧) الصورة رقم (١) لبيديا الفيلسوف ، من كتاب كليلة ودمنة ، مكتبة Bodleian Library POC 400 ـ وجه الورقة ٤٨ ـ ورقم (٢) : من نفس المرجع ظهر الورقة ٤٨ ـ تفضلا من مكتبة بودليان .

(١٨) الصورة رقم (١) من مقامات الحريرى ـ المتحف البريطانى ، تحت رقم Add-22114 وجه الورقة ٦٨ ، والصورة رقم (٢) من نفس المرجع ـ ورقة ٩٤ ـ تفضلا من المتحف البريطانى .

(١٩) الصورة رقم (١) من مقامات الحريرى ـ المتحف البريطانى ـ تحت رقم Org. 718 وجه الورقة ١٧٣ ـ والصورة رقم (٢) نفس المرجع تحت رقم Add. 22114

(٢٠) الصورة رقم (١) من مقامات الحريرى ، مكتبة بودليان تحت رقم والصورة فى صدر الكتاب . والصورة رقم (٢) من نفس المرجع وجه الورقة ٥٦ ـ تفضلا من مكتبة بودليان .

« الفهـــارس »

تقـــديم :

بعـــد أن قمت بترجمة الفهـــارس تبين لى أنها لا تشـــمل كافة المصطلحات ، كما تبين لى أنها بصورتها لن يستفيد منها الباحث العربى الافادة الكاملة ، ذلك لأنها لم تبرز المصطلحات الحضارية بالنسبة للأزياء والأسلحة وغيرها وفقا للألفاظ التى كانت مستعملة فى العصر المملوكى ، الى جانب أنها اختصرت الأســماء الى حد الاكتفاء بلفظ واحـد كبيبرس مثلا فى حين أن هذا اللفظ يعنى ســلطانين تغايرت الأزياء فى عصريهما تغايرا كبيرا • وأنها جمعت المصطلحات والأعـلام والبلدان والطوائف والجماعات والمراجع فى أبجدية واحدة •

وأمام هذا كان لابد من عمل فهارس كاملة للألفاظ الاصطلاحية مع اضافة الأوصاف التى تحدد الشىء بالنسبة لبقية أفراد نوعه حتى يجـــد الباحث العربى بغيته فى يسر وسهولة •

ونوعت الفهارس بين المصـــطلحات والأعـلام والطوائف والبلدان والمراجع كل نوع على حدة ولم أدرجها كلها مختلطة كما وردت فى الأصل المترجم عنه •

والرقم الأول يعنى رقم الصفحة وحرف (حـ) يعنى حواشى الصفحة وعلامة (*) تعنى تكرار اللفظ فى نفس الصفحة •

وانى لأشكر العالم المحقق الأستاذ فهيم شلتوت لمعاونته الصـادقة فى هذه الفهارس •

المترجم

صالح الشيتى

فهرس الألفاظ الاصطلاحية

(ز)

(س)

(ع)

(ق)

(ل)

(م)

فهرس الاعلام

فهرس الأمم والقبائل والطوائف والجماعات

فهرس الأماكن

فهرس أسماء الكتب والمراجع من لوحات ومقالات

فهرس الموضوعات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٤١/١٩٧٢



مطابع الهيئة المصرية العامة ال

الثمن ٦٠ قرشا